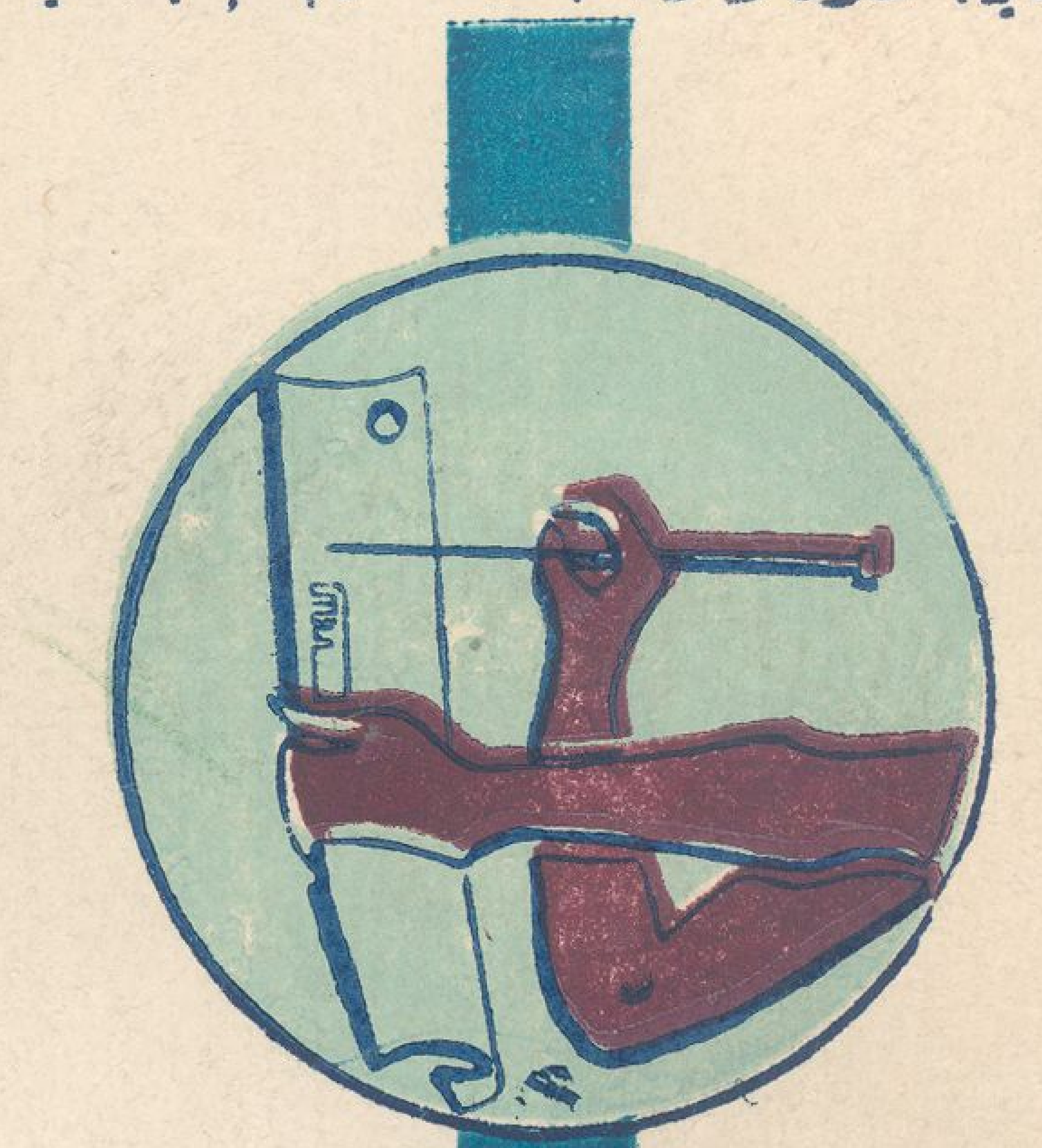
محافظة الإسكندرية



الهيئة المحلية
لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية



الإسكندرية القديمة

كما اكتشفها المؤلف بأعمال الحفر وسبر الغور والمسح
وطرق البحث الأخرى

تأليف : محمود باشا الفلكي

ترجمة : محمود صالح الفلكي

مراجعة : الدكتور محمد عواد حسين

الناشر دار نشر الثقافة بالإسكندرية

١٩٦٧

محافظة الأسكندرية

الهيئة المحلية

لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

رسالة
عن
الأسكندرية القديمة

وضواحيها والجهات القريبة منها

التى اكتشفت بالحفريات وأعمال سبر الغور والمسح

وطرق البحث الأخرى

تأليف : محمود الفلكى

ترجمة : محمود صالح الفلكى

مراجعة : الدكتور محمد عواد حسين

الناشر : دار نشر الثقافة بالاسكندرية

١٩٦٦



السيد الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية



المغفور له محمود الفلكي
مؤلف الكتاب

MÉMOIRE

SUR

L'ANTIQUE ALEXANDRIE,

SES FAUBOURGS ET ENVIRONS DÉCOUVERTS, PAR LES FOUILLES, SONDAGES, NIVELLEMENTS ET AUTRES RECHERCHES,

PAR

MAHMOUD-BEY

ASTRONOME

COPENHAGUE.

IMPRIMERIE DE BIANCO LUNO, PAR F. S. MUHLE.

1872.

تقديم الكتاب

بقلم: السيد / محمد حمدى عاشور

محافظ الإسكندرية

ورئيس الهيئة المحلية

لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم السيد / **محمد حمدى عاشور**
محافظ الاسكندرية
ورئيس الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

من مآثر ثورتنا المباركة أنها عملت وتعمل دائبة على إحياء تراثنا القومى، وبعث تاريخنا القديم : فبينما تشيد بأمجاد العرب وترفع لواء القومية العربية عالياً خفاقا ، إذا هى تعنى فى الوقت نفسه بتاريخ قدماء المصريين وآثارهم ، وتبرز فضل مصر على العالم ، بما نشرته من علم وفن وعرفان .

ذلك أن قائد ثورتنا البطل جمال عبد الناصر قد أرادها نهضة شاملة ، تصل حاضرنا بماضينا ، وتعيد إلى بلادنا مكانتها وعزتها ، وتبنى مستقبلها على أسس متينة ، من المجد القديم الذى سجله التاريخ لأمة العرب ولقدماء المصريين ، ومن القوة الحاضرة فى كل نواحيها ومظاهرها : قوة العلم ، وقوة السلاح ، ، وقوة العمل والإنتاج ، مستمدة كلها من قوة الإيمان والعزيمة ، ومعتمدة على الاشتراكية السليمة النابعة من بيئتنا ، والقائمة على تحالف القوى العاملة للفلاحين والعمال .

ونحن إذا ذكرنا تاريخ مصر القديمة ، وجدنا أن مدينة الاسكندرية الخالدة تحتل منه مكانا مرموقا ، فإنها لم تكن عاصمة مصر وحدها ، بل كانت

عاصمة العالم أجمع ، وكانت مركز التجارة وموطن المدنيـة والحضارة ، ومجمع العلوم والفنون ، يحج إليها الناس من كل حدب وصوب ، وترنو إليها أبصار الشعوب فى نواحى العالم القديم .

ولا تزال الإسكندرية وستظل العاصمة الثانية لجمهوريتنا العربية العظيمة ، وقد بدأت منذ قيام ثورتنا المجيدة تضيف صفحات فخر جديدة إلى صفحات ماضية ، ودخلت مع الثورة عهداً جديداً من الازدهار والتقدم ، وعادت بجامعتها ومعاهدها مناراً للعلم ، بل زاد حاضرها على ماضيها قوة فى الصناعة والإنتاج أضعافا مضاعفة ، وأضحت تسهم بأوفى نصيب فى تجارة البلاد ، وفى اقتصادها القومى بوجه عام .

وإذا ذكرت الإسكندرية ، ذكر معها دائما جهاد أهلها فى مختلف العهود فى سبيل الحـرية والاستقلال ، ومقاومة أهلها للحكم الأجنبى ، مهما تعددت ألوانه واختلفت أساليبه ، ومن أجل ذلك بذلوا الدماء ، وجادوا بالأرواح كراما سراعا ، صادقين ثابتين فى الجهاد وحسن البـــلاء ، وقد سجلت الإسكندرية لنفسها فى الثورة فوق كل ماسجلته ، فخر طرد الملك منها ، وانتهاء النظام الملكى الرجعى الفاسد على أرضها المباركة .

مدينة مجيـدة عظيمة كهذه جديرة بعدة كتب تؤلف عنها ، ومن ثم فقد أصدرت محافظة الإسكندرية فى سنة ١٩٦٣ كتاب « الإسكندرية منذ أقدم العصور » وهو مجموعة بحوث تاريخية وأثرية ، وضعها لفيف من أساتذة جامعة الإسكندرية وغيرهم من الباحثين والأخصائيين .

واليوم تصـــــدر الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمحافظة الاسكندرية كتابا آخر عن هذه المدينة بعنوان « الإسكندرية القديمة » وضعه بالفرنسية العالم المصرى الكبير المرحوم محمود (باشا) الفلكى منذ مائة عام ، وانتهى من وضعه على وجه التحديد يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٨٦٦ ، وقد طبع فى كوبنهاجن سنة ١٨٧٢ ؛ وقام أخيراً حفيده الأستاذ محمود صالح الفلكى ، سفير جمهوريتنا السابق فى باريس ، بنقله إلى اللغة العربية ، فزاد به مكتبتنا العربية ثروة ، كما زادنا ، بهذه الترجمة ، معرفة بتاريخ مدينتنا المحبوبة وتخطيطها القديم وآثارها المختلفة وأحوال أهلها فى الغابرين ، وقام بمراجعة الترجمة الأستاذ الدكتور محمد عواد حسين رئيس قسم الآثار بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

ولقد كان محمود الفلكى من العلماء العرب الأفذاذ . كان ابن فلاح بسيط ، فلما أتيحت له الفرصة نهل من العلم ما بز به علماء أوروبا أنفسهم ، وخصوصاً فى علم الفلك ، حتى لقد نوهت به أكبر المجامع العلمية فى فرنسا وبلجيكا ، ونشرت له مجلاتها العلمية بحوثا دقيقة ، كانت بمثابة فتح علمى جديد فى ميادين الفلك وقياس المغناطيسية الأرضية وكسوف الشمس الخ . . . الخ . . .

ولم يقتصر محمود الفلكى على دراسة الفلك والنبوغ فيه حتى لقد نسب إليه بل كان الباحث المبرز والعالم العامل أيضا فى ميدان الهندسة (التى كان أستاذا لها بمدرستها العليا إذ ذاك) وفى ميدان الآثار الذى هو موضوع هذا الكتاب ، وفى ميدان التاريخ ونواح علمية أخرى .

ومع أنه ولد بإحدى قرى مديرية الغربية ، فقد كانت له صلة وثيقة بمدينتنا الإسكندرية ، ففيها تلقى دراسته الابتدائية والفنية المتوسطة بعد أن وفد إليها غلاما صغيرا فى التاسعة من عمره ، وإنما غادرها إلى القاهرة ليدرس بمدرسة « المهندسخانة » (كلية الهندسة الآن) التى لم يلبث بعد تخرجه فيها بتفوق سنة ١٨٣٤ حتى عين مدرسا بها ومكث يحاضر بها إحدى عشرة سنة ثم سافر فى بعثة إلى باريس حيث درس علم الفلك تسع سنوات .

وهو فى هذا الكتاب لم يكتف بأن رجع إلى كل ما كتبه الكتاب السابقون من اليونان والرومان القدماء ، والعرب وعلماء الحملة الفرنسية ، عن الإسكندرية القديمة وتخطيطها وآثارها وأحوال أهلها — لم يكتف بالرجوع إلى ذلك وبحثه وتمحيصه ومقارنة بعضه ببعض واستخلاص النتائج — بل قام بنفسه بحفريات عميقة عديدة تحت شوارع وأماكن شتى من الإسكندرية فى عصره ، ووصل من هذه الحفريات المجهدة المضنية إلى نتائج هامة اكتشف بها مدينة الاسكندرية القديمة من جديد ، وحدد مثلا شوارع هذه المدينة وميادينها وبين موقع منارها القديم الشهير ومينائها الكبير وقصورها الملكية ومعابدها وأحيائها وضواحيها ، كما حدد أماكن الملعب الرياضى والمتحف والمسرح ومجرى النيل القديم وفرعيه السابقين والمدن التى كانت تقع عليه وعلى فرعيه الخ . . بل اكتشف بحفرياته مدينة من قنوات الماء وأحواضه كانت تحت المدينة الآهلة بالسكان لتزودهم بالماء إلى غير ذلك من الاكتشافات الأثرية .

ولم يقنع المؤلف بذلك بل رسم خريطة دقيقة للإسكندرية القديمة بين

فيها مواقع شوارعها وميادينها ومعابدها وأحيائها ، كما رسم خريطة أخرى لضواحيها والجهات القريبة منها ، وأرفق هاتين الخريطتين بكتابه .

وإنى لأرجو أن تكون المحافظة بإسهامها مع الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى إصدار هذا الكتاب مع خريطتيه ، قد أدت خدمة لمدينتنا ، وهيأت للباحثين والمثقفين العرب ، مرجعا يعتبر من أهم المراجع عن الإسكندرية القديمة ، والله الموفق إلى أقوم سبيل .

محمد حمدى عاشور
محافظ الاسكندرية

مقدمة المترجم

السيد/ محمود صالح الفلكى

الوكيل السابق لوزارة المالية والاقتصاد
وسفير الجمهورية العربية المتحدة فى فرنسا "سابقا"

مقدمة المترجم

محمود صالح الفلكي
الوكيل السابق لوزارة المالية والاقتصاد
وسفير الجمهورية العربية المتحدة فى فرنسا سابقاً

هذه الرسالة — « الإسكندرية القديمة » — هى أحد مؤلفات عديدة وضعها جدى العالم الفلكى الكبير المغفور له محمود الفلكى ، وقد انتهى من كتابتها فى سنة ١٨٦٦ وطبعت فى كوبنهاجن سنة ١٨٧٢ ، وقد وضعها باللغة الفرنسية التى نفذ بها إلى المجتمعات العلمية فى أوروبا ، فأكسبته مع مؤلفاته العلمية العديدة الأخرى فى ميدان الفلك بنوع خاص ، شهرة علمية واسعة وأكسبت بلاده مجدا علميا مقيما.

وهذه الرسالة ، كما يدل عليها عنوانها ، تتناول وصف الإسكندرية القديمة كما أنشأها مؤسسها العظيم الإسكندر الأكبر ، ثم كما كانت فى عهد الرومان ، وأخيراً كما كانت فى عصر مؤلفها أى منذ مائة عام .

وقد تطلب وصف الإسكندرية القديمة ، كما اكتشفها من جديد ، جهداً مضنياً من المؤلف ؛ إذ أجرى رغم كل الصعاب التى صادفته — كما بين فى هذه الرسالة — حفائر عميقة لا حصر لها فى مواطن شتى من مدينة الإسكندرية وعلى مسافات منها ، كما قام بأعمال سبر الغور فى الميناء الكبير ، فكشف الصخور التى جعلت مدخل ذلك الميناء القديم وعراً جداً ، واكتشف ميناء

الملوك وجزيرة أنترهودس وقصرها الملكى ومرفأها الصغير، وطريق أنطونيوس، والتيمونيوم وبقايا رصيف الميناء الكبير، وكانت كلها وقتئذ مغمورة تحت سطح البحر، وأجرى أيضا قياسات عديدة مختلفة، ومسح أراضى هنا وهناك ورجع إلى ما كتبه المؤلفون القدماء من اليونانيين والرومان والعرب، أمثال هيرودوتوس، وسترابون، وهيرتيوس، وفلافيوس، وجوزيفوس، وبلنيوس وديودور الصقلى، والمقريزى وغيرهم — وقارن بين ما كتبه كل منهم وما كتبه الآخر عن الإسكندرية القديمة، وبين ما وصل هو اليه من نتائج عن طريق الحفر وغيره، وبالإجمال أجرى بحوثا لا تحصى فى باطن الأرض وتحت سطح البحر وعلى نهر النيل، حتى وصل إلى نتائج وكشوف أثبتها بالبراهين القاطعة ودونها على الخرائط التى أرفقها برسالته.

وقد عاونه فى هذه الأعمال عدد من المهندسين المصريين ومائتان من العمال وضعتهم الحكومة المصرية إذ ذاك تحت تصرفه.

ومما يدل على عظم العمل الذى قام به محمود الفلكى بإجرائه هذه الحفائر المميتة، ما ذكره الأستاذ الدكتور محمد عواد حسين الأستاذ بجامعة الإسكندرية فى الكتاب الذى عنى السيد/محمد حمدى عاشور، محافظ الإسكندرية، بإصداره عن تاريخ « الإسكندرية منذ أقدم العصور » وقدم له بقلمه، فقد قال الدكتور محمد عواد حسين ضمن بحث له عن تخطيط مدينة الإسكندرية القديمة، ما يلى (صفحة ١٥ من الكتاب) « ونحن لا نعثر الآن على مخلفات العصر الرومانى إلا بعد أن نحفر مسافة ستة أو سبعة أمتار فى باطن الأرض، ولا شك أن العثور على مخلفات العصر البطلمى يتطلب مزيدا من

الحفر ، وهذا يصل بنا إلى مستويات تغمرها الميـاه ، الأمر الذى جعل مهمة علماء الآثار فى محاولة رسم صورة كاملة لمدينة الإسكندرية ،مهمة جد عسيرة ، وبرغم ذلك ، فقد قام العالم الأثرى المصرى « محمود الفلكى » بجهود عظيمة فى هذا الميدان ، وسجل النتائج التى توصل إليها بعـد عشرة أعوام من العمل المتواصل فى كتابه « الإسكندرية القديمة » كما رسم خريطة للمدينـة القديمة أفادت فائدة كبيرة فى توضيح كثير من معالمها » .

ومن ثم فإن هذه الرسالة (الإسكندرية القديمة) وما يتبعها من خرائط ، تحوى الـكثير من الدراسات الأثرية والتاريخيـة والهندسية والرياضية بل والفلـكية كذلك ، ولا عجب فقد بدأ مؤلفها حياته مهندسا ، فدرسا بمدرسة المهندسخانة (كلية الهندسة الآن) زهاء إحدى عشرة سنة ، ثم درس الفلك تسع سنوات فى باريس على أيدى علماء الرياضيات والفلك ، متخـذا مرصد باريس الفلـكى مقرا له ، وكانت باريس حينذاك مركز العلم فى أوروبا بل فى العالم أجمع ؛ ونبغ فى العلوم الفلـكية نبوغا تحدثت به الأوساط العلمية فى الخارج، حيث أجرى بحوثا ودراسات فلكية وجيوفيزيقية نشرت بالمجـــلات العلمية الأوروبية ولفتت أنظار العلماء الذين أشادوا بما فيها من فتح علمى جديد . ومن ذلك صار علم الفلك هو الغالب عليه حتى لقـد نسب إليه فصار لقبه « الفلـكى » . ولم تشغله دراساته وأبحاثه الفلكية عن الاهتمام بالآثار والتاريخ اهتمام العالم المدقق الباحث المنقب كما يرى القارىء فى هذه الرسالة .

* * * *

و « الإسكندرية القديمة » مع هذا كله وفوق هذا كله ؛ مؤلف تاريخى

شائق ، لا يمل القارىء قراءته رغم مضى قرن بالضبط على وضعه ، فقد حوى الكثير من الحوادث والوقائع ، وحدد مثلا مواقع المعارك البحرية والبرية التى دارت بين يوليوس قيصر وبين الملك بطليموس ، وبيّن كيف احتشد أهالى الاسكندرية لمحاربة يوليوس قيصر وجيشه الرومانى دفاعا عن مدينتهم ، وكيف انضم اليهود إلى جيش الغزاة خيانة للبلاد وغدرا ، كما حدد أيضا الطرق التى سار فيها كل من متريداتس ويوليوس قيصر لكى يضما قواتهما معا قرب « كوم شريك » ، ويحاربا الملك بطليموس فى المعركة الفاصلة ، وكيف كانت هزيمة الملك بطليموس رغم مناعة موقعه ، وكيف لقى حتفه فى النهاية ..

ومن الشائق أن المؤلف بعد أن حدد مكان مدينة (ماريا) القديمة التى سمى باسمها إقليم مريوط وبحيرة مريوط — قد أشار إلى مناعتها إذ قال عند الكلام على أطلالها ما يلى : «وموقع هذه الأطلال يدل كذلك على نقطة ستراتيجية كبيرة الأهمية ، فإن يوليوس قيصر ما كان ليستطيع أن يسير برا ويتصل بجيش متريداتس إلا بالالف حول ماريا » .

« وعمرو بن العاص ما كان بوسعه أن يأتى من الفسطاط ليحاصر الإسكندرية إلا مارا بماريا ، وأخيرا فإن نابليون الأول سار تقريبا فى نفس الطريق الذى سار فيه يوليوس قيصر لكى يدخل فى قلب مصر مع الجيش الفرنسى ، وبالاختصار فإن هذه النقطة هى مفتاح مصر من ناحية إفريقيا كما أن بيلوزيوم هى مفتاحها من ناحية آسيا » .

* * * *

هذا ومدينة الإسكندرية — كما جاء فى هذه الرسالة — قد اختار

الاسكندر الأكبر موقعها لاعتبارات عديدة هامة ، فهى فى مكان يحيط به البحر من جانب وبحيرة مريوط من جانب آخر ، ولا يمكن الوصول إليها برا إلا من ناحيتين ضيقتين يسهل الدفاع عنهما ، وقد حبتها الطبيعة بميناء فريد على شاطىء منخفض تتخلله صخور ، أى أن موقعها يجمع فى ذاته كل المزايا الممكنة لمدينة منيعة ومركز تجارى حصين .

ثم إن مدينة الاسكندرية — على خلاف المدن الأخرى — لم تنشأ صغيرة ثم كبرت مع الزمن بل لقد تصورها مؤسسها كبيرة منذ البداية وشيدت أسوارها المحيطة ورسمت أحياؤها وشوارعها وميادينها ، وخططت على الورق قبل أن تنفذ على الطبيعة ، وقد جعلت شوارعها الطولية والعرضية متوازية تماما مع إنتظام المسافة بين جميع الشوارع الرئيسية وقد حددت بـ ٢٧٨ مترا كما جاء فى هذه الرسالة ، وهذا أمر جدير بالأعجاب فى التخطيط .

وفى مجال الكلام عن القنوات الجوفية العجيبة التى أكتشفها المؤلف عن طريق الحفر ، قال : « إن مدينة الاسكندرية القديمة مقامة فوق مدينة أخرى من خزانات المياه ، شوارعها هى القنوات التى تمتد تحت الأرض » . أما عن الشوارع فقد اكتشف المؤلف أنها كانت مرصوفة بأحجار رصف متماثلة فى كل مكان ، وهى كتل سوداء أو رمادية بأحجام محددة من أسوان وهى نفس الأحجار المغطى بها الهرم الثالث بالجيزة ، وهى شديدة الصلابة ومماسكة جداً .

وجدير بالذكر أن المؤلف قد قدر — بعد بحث — عدد سكان الاسكندرية القديمة بنحو نصف مليون نسمة . وعند الكلام عن ملعب الإسكندرية القديم حدد مكانه بالضبط وهو الملعب الذى كانت تقام فيه ألعاب

ومباريات كل سنة على ما ذكره المؤرخون العرب أو كل خمس سنوات على ما ذكره الكتاب اليونانيون، وكانت هذه الألعاب تجتذب نحو مليون شخص من كل حدب وصوب .

ومما يدل على الأهمية العلمية الأثرية لهذا الكتاب أن مؤلفه رحمه الله قد صوب بعض أخطاء وقع فيها علماء الحملة الفرنسية على مصر فيما يتعلق بمكان السور القديم الذى كان يحيط بالإسكندرية حين أنشأها مؤسسها الاسكندر الأكبر ، وربما كان تحديد مكان ذلك السور من أهم ما قام به المرحوم محمود الفلكى فى هذا المجال ، كما صوب أخطاء أخرى وقع فيها بعض المؤرخين فيما يتعلق بأماكن مدن قديمة وجهات أخرى ومجرى النيل القديم .

وكذلك حدد المؤلف موقع فرعى النيل القديم والترع والمدن المقامة عليها . من ذلك مثلا أنه بحث وحدد الموقع القديم الذى كان للفرع الكانوبى لنهر النيل من مصبه عند سفح الكوم الأحمر — هيراكليوم — حتى قمة الدلتا بالقرب من شبرا على مسافة ٢٠ أو ٢٢ كيلو مترا من أطلال ممفيس ، وقاده هذا البحث إلى الكلام عن المدن القديمة : هيراكليوم ، وشيرو ، وهيرمو بوليس ونقراطيس ، وموممفيس (منوف الآن) التى كانت فى العصر القديم واقعة على شاطىء النيل ، وقد حدد لهذه المدن الخمس مواقع أخرى غير التى كانت معروفة حتى عهده ؛ ومما يتصل بذلك أيضا أن مدينة كانوب قد وجد أنها لم تكن فى الموضع الذى عينه لها علماء الحملة الفرنسية والذى كان مقبولا قبل ذلك .

وعين مثلا — بناء على أعمال الحفر والبحوث التى أجراها — أماكن

الشوراع القديمة والميادين والقصور الملكية والمسرح والمتحف والموانى، والمنار القديم ومعبد السرابيوم وأحياء المدينة القديمة وضواحيها مثل نكروبوليس (مدينة الأموات) وسرمونيزس (الآن العجمى) ونيكوبوليس واليوزيس التى كانت تضم أماكن اللهو والمتعه .

وكذلك بين ما كان لإقليم مريوط من خصب ووفرة فى المحاصيل وكيف كانت الكروم منتشرة به ، وحدد أماكن معاصر الكروم (أكتشف منها أثنى عشر معملا) التى كانت تمون روما بالنبيذ وكذا معاصر الزيوت منذ العصور الرومانية الخ . . . الخ . . .

* * *

وقد أورد المؤلف ما قاله المؤرخ اليونانى القديم سترابون Strabon من أن المكان المسمى « بالسوما Soma (بمعنى الجثمان) كان مكانا محاطا بأسوار ، وهو جزء من القصر الملكى نفسه ويضم قبور الملوك وقبر الإسكندر الأكبر . وإن بطليموس بن لاجوس قد نقل جثمان الإسكندر إلى الاسكندرية وافرد له الضريح الذى بالجهة التى لا يزال موجوداً بها الآن .

بعد ذلك أشار محمود الفلكى إلى ما قاله تاتيوس Tatius ونقله عنه جراتين ليبير Gratien Lepére من أن « السوما » تقع فى وسط المدينة فى حى يسمى باسم السوما . وقال محمود الفلكى إن إجتماع هاتين الشهادتين معا من سترابون وتاتيوس مما يحدد موقع السوما عند سفح كوم الدكة فى مكان التل المسمى بكوم الديماس الذى تكون من الأنقاض والفضلات المتراكمة من

المدينة كما دلت عليه الحفائر التى قام بها المؤلف نفسه ، وراح يثبت ذلك بأدلة بينها فى هذا المقام على الطبيعة ، ومن الشائق قوله فى ذلك . « إن الحفائر قد دلتنا على أن المكان الذى يشغله كوم الديماس قد تحول إلى مقابر منذ عصر عبادة الأصنام إلى وقتنا هذا ، وقد أكتشفنا به حفرا خاصة بديانات مختلفة تبعاً لطبقاتها : فقبور المسلمين تشغل الطبقات العليا ، والطبقات التى تليها تحتوى قبور مسيحيين وربما أيضاً قبور يهود ، وأخيرا فان حفر الوثنيين تشغل الطبقات الدنيا » .

وخلص المؤلف من ذلك إلى القول بأن مكان « السوما » الذى يوجد به ضريح الإسكندر الأكبر وملوك البطالمة كما قال الكتاب القدماء قد أصبح مقابر عامة لشعوب مختلفة ذات ظروف متباينة وديانات شتى .

ومن الطريف أن المؤلف فى هذا المقام قد أجرى مقارنة بين كلمة « السوما » التى تعنى الجثمان كما ذكرنا ، وبين كلمة « الديماس » جمع كلمة «الدمس» التى تعنى أيضا الجثمان ، كما تعنى القبر والسراب والكهف ، ثم قال : « وإذن فان كلمة « السوما » لم تنقطع عن الدلالة على قبر الاسكندر الأكبر وملوك البطالمة حين فتح العرب الإسكندرية ، بحيث أستطاعوا أن يترجموا هذه الكلمة بالكلمة العربية « الدمس » أو « الديماس » التى لا تؤدى معنى كلمة « السوما » فحسب ، بل تؤدى أيضا كل المعانى المادية أو الأدبية التى يسمح بها موضوع التسمية ، وهذا لايدع لنا أى مجال للشك فى أن موقع « السوما » هو فى « كوم الديماس » .

ثم قال المؤلف إن أهالى الإسكندرية يعتقدون أن النبى دانيال مدفون

فى هذه المدينة عند سفح كوم الديماس ، وأشار إلى ضريح النبى دانيال بالمسجد المعروف باسمه ، ثم قال إن المعروف بشكل أكيد أن النبي دانيال مات فى السنوات الأولى من حكم كورش Cyrus قبل تأسيس مدينة الاسكندرية بأكثر من ثلاثة قرون وأنه قضى حياته كلها تقريبا أسيرا فى بابل .

وجدير بالذكر فى هذا المقام أن المؤلف قد أفرد ملحقا برسالته حقق فيه طول القدم ، والادستاديوم ، والألفى عند الرومان طبقا لمقاسات مقارنة ذكرها الكتاب القدماء ثم طبقا لمقاسات أجراها بنفسه لجوانب الأهرام وأبى الهول ، كما قاس فى مذكرة ملحقة طول القدم الرومانى تبعا لمشاهدته لنماذج هذا القدم بنفسه فى بومبي القديمة بجوار روما .

* * * *

ولعل القارىء يتساءل لماذا قمت بترجمة هذه الرسالة إلى اللغة العربية مع أنى لست من رجال الآثار التى هى أصلا موضوع هذه الرسالة ؟ والواقع أنى ، فضلا عن رغبتى الطبيعية فى إظهار أثر علمى مفيد للمرحوم جدى محمود الفلكى بلغتنا العربية المحبوبة ، قد أردت من ناحية أخرى أن أزيد المكتبة العربية بهذا المؤلف النفيس الذى يحكى نشأة وحياة مدينة عريقة كانت فى الزمن القديم أولى مدن العالم أجمع والمأوى الساطع للعلوم والمعارف ولا تزال العاصمة الثانية للجمهورية العربية المتحدة وماضية معها بخطى واسعة فى سبيل التقدم والازدهار .

كذلك أردت أن أبرز فى إبان تطورنا الاشتراكى القائم على تضامن

قوى الشعب العاملة من الفلاحين والعمال ، كيف أن غلاما مصريا صغيراً من أبناء الفلاحين ، جيء به من الريف ، لما أتيحت له الفرصة لينهل من العلم ، قد استطاع أن يلحق بأكبر علماء الغرب فى البحوث العلمية فى ميدان الكشوف الأثرية حتى صوب أخطاء علماء الحملة الفرنسية أنفسهم ؛ وبخاصة فى ميدان الفلك الذى هو موضوع مؤلفات أخرى عديدة له. وتبيانا لذلك ننشر فيما يلى مذكرة موجزة عن حياة عالمنا الكبير محمود الفلكى .

المترجم

محمود صالح الفلكى

ترجمة حياة المؤلف

محمود الفلكي

ترجمة حياة

محمـــــود الفلكي

بقلم حفيده محمود صالح الفلكي

١ — ولد محمود أحمد (الملقب بمحمود حمدى الفلكى ثم بمحمود الفلكى فيما بعد) سنة ١٨١٥ ببلدة الحصة بمديرية الغربية ، من أبوين فلاحين من صميم الشعب . نشأ فى الريف وعاش فى القرية ، وتلقى مبادىء القراءة والكتابة والدين والحساب بالكتاب أسوة بأبناء القرية حتى بلغ التاسعة من عمره .

٢ — فى هذه السن المبكرة اصطحبه شقيقه الأكبر إلى الاسكندرية حيث ألحقه سنة ١٨٢٤ باحدى المدارس الإبتدائية . ولما أتم سنى الدراسة فيها الحقه بالمدرسة البحرية (التى تخرج هو فيها ضابطا بحريا من قبل) ، وكانت تسمى (مدرسة الترسخانة) ويديرها مهندس فرنسى خبير فى بناء السفن وتعاونه طائفة من الفنيين الفرنسيين والإيطاليين .

٣ — ظل محمود أحمد فى هذا المعهد الفنى المتوسط خمس سنوات ، وتخرج فيه سنة ١٨٣٣ برتبة (البلوك أمين) ، ولكن طموحه الدافع لم يقف به عند هذا الحد ، فانتقل إلى القاهرة والتحق سنة ١٨٣٤ بمدرسة المهندسخانة (كلية الهندسة الآن) ، وكانت قد انتقلت إلى بولاق وأعيد تنظيمها فضمت إليها مدرسة المهندسين ، التى كانت فى القناطر الخيرية ، ومدرسة المعدنين التى كانت بمصر القديمة . وكان ناظر المهندسخانة وقتئذ المسيو لامبير .

٤ — تخرج المهندس محمود أحمد فى مدرسة المهندسخانة سنة ١٨٣٩ وكان أول دفعته ، فمنح رتبة (الاسبران) — الملازم — وعين مدرساً بالمهندسخانة للرياضيات ، وهى مادته المفضلة وقتئذ . وقد برز فى هذا العلم ، كما اتجه إلى إتقان اللغة الفرنسية ، مما مكنه من الاطلاع على المراجع العلمية بهذه اللغة ، وكذا من ترجمة كتاب فى علم التفاضل والتكامل من الفرنسية إلى العربية فكان أول كتاب من نوعه بلغتنا المحبوبة .

وفى سنة ١٨٤٢ حصل على رتبة اليوزباشي ، وشغف بدراسة علم الفلك ، مستعينا بالمراجع الفرنسية ، ومنذ ذلك الحين بدأ يدرّس علم الفلك الذى أدخل عندئذ فى المهندسخانة لأول مرة ، وذلك بالاضافة إلى قيامه بتدريس علم الرياضيات ، وبجانب إدارته المرصد الفلكى الذى أنشىء آن ذاك وألحق بالمهندسخانة . وفى هذه الفترة — وكان قد عين أستاذاً للرياضيات والفلك — وضع مؤلفاً باللغة العربية ، عنوانه : « نبذة مختصرة فى تعيين عروض البلاد وأطوالها وأحوالها المتحيرة ؛ وذوات الأذناب واللحى » ؛ وهو مخطوط محفوظ بدار الكتب برقم ك ٣٩٩٦ . وقد كتبه بأسلوب علمى رصين يختلف عن أسلوب الكتب العربية الأخرى فى ذلك الحين .

٥ — ولقد كرس المهندس محمود أحمد الفترة الأولى من حياته العلمية ، أثناء قيامه فى مدرسة المهندسخانة بتدريس الرياضيات والفلك وإدارة المرصد الملحق بها — كرّسها للاطلاع والاستزادة من العلم والتحصيل ؛ وذلك فى عهد شديد التقلبات والأنواء . وظل هكذا منفردا للعلم طوال إحدى عشر سنة من من سنة ١٨٣٩ إلى أن بعثه فى سنة ١٨٥٠ على (باشا) مبارك ؛ وزير المعارف

حينذاك وتلميذه السابق فى المهندسخانة ، فى بعثة إلى باريس ، التى كانت فى ذلك الحين موطن العلوم والفنون فى العالم أجمع ، وكان محمود أحمد قد بلغ الخامسة والثلاثين من عمره ورقى إلى رتبة الصاغ .

٦ — وفى باريس أتخذ المرصد الفلكى مقراً له ، ودرس على أيدى علماء الطبيعة والفلك مدة تسع سنوات كاملة ، تنقل فى خلالها بين العواصم والمدن الأوروبية المختلفة ، وزار المراصد والجامعات الكبيرة ، وأتم عدة بحوث فلكية وجيوفيزيقية ، ونشرت له المجلات العلمية الاوروبية بحوثا فلكية لفتت إليه أنظار العلماء فى أوروبا .

٧ — وفى سنة ١٨٥٤ قام المهندس محمود أحمد برحلات إلى المانيا وبلجيكا لزيارة مراكز الأرصاد لأجل قياس شدة المجال للمركبة الأفقية للقوى المغناطيسية الأرضية فى ثلاثين مدينة ، وقدم رسالة بنتيجة أبحاثه هذه إلى أكاديمية العلوم البلجيكية ، نشرتها سنة ١٨٥٤ فى مطبوعاتها ضمن الأبحاث المتوجه للعلماء الأجانب . وقد كانت هذه الرسالة فاتحة لذيوع شهرته كعالم فلكى فى الاوساط العلمية الاوروبية .

وفى العام التالى — بعد ذلك التوفيق الذى قدر له فى قياساته وأرصاده الأولى بالمانيا وبلجيكا — عهدت إليه الحكومة المصرية أن يواصل تلك الابحاث فى بريطانيا ، وأن يزور مراكز الرصد الرئيسية فيها لأجل قياس العناصر المغناطيسية . وقد كتب محمود الفلكى عن هذه المهمة ، أن رحلته هذه إلى بريطانيا قد لازمها التوفيق ، وأنه أجرى أرصاده فى مساحة من أرض بريطانيا تبلغ ١٤ درجة طولا و ٧ درجات فى العرض ، ابتداء من

بحـدود نهر الرين حتى دبلن شمالا فى الطول ، ومن باريس حتى أدنبره فى العرض ، وبذلك شملت إرصاده الجزر البريطانية وهولندا وبلجيكا وشمـال فرنسا . وقد عين الميل المغناطيسى للمحصله الكليه للمجال المغناطيسى الأرضى فى خمس وأربعين محطة أرصاد فى المدن الرئيسية ، وحقق شدة المجال فى أثنتين وعشرين محطة ، وأنهى أرصاده بايجاد خطوط تساوى الميل فى بريطانيا وهولندا وبلجيكا وفرنسا ، ورسم خريطة دقيقة لهذه المنطقة (وهو العالم الجغرافى أيضا بالاضافة إلى علمه فى المغناطيسيات) وذلك لأمكان مقارنتها بالخطوط التى سبق أن حققها العالم الفلكى الانجليزى أدوار سابين التى تمت سنة ١٨٣٧ وكانت قاصرة على الجزر البريطانية وحدها . هذا فيما يختص بالميل . أما عن شدة المجال المغناطيسى فقد قارن بين قياساته وبين القياسات التى كان قد أجراها سنة ١٨٢٩ العالم الفلكى البلجيكى كونليت ، واستنتج محمود الفلكى من أبحاثه أن المركبـة الأفقية للمجال المغناطيسى قد زادت فى المدة بين القياسين وخاصة فى منطقة النمسا .

وقد نشر هذا البحث بشقيه الذى وضعه محمود الفلكى فى مطبوعات أكاديمية العلوم البلجيكية سنة ١٨٥٦ تحت عنوان « أبحاث ودراسات متوجة لعلماء أجانب » .

وفى نفس السنة نشرت له مجلة أكاديمية العلوم بباريس — عدد ١٢ مايو ١٨٥٦ — دراسة مفصلة لزاوية الميل وشدة المجال المغناطيسى بمنطقة باريس وما حولهـا .

٨ ـ وكانت دراسة المغناطيسية الأرضية إذ ذاك حديثة العهد فى العالم .

وكان أول معمل خاص بهذه الدراسات قد أنشىء سنة ١٨٣٤ على يد الرياضى الفلكى « جاوس » فى جوتنجن بالمانيا . ولم يبدأ هـذا النوع من الابحاث فى الامبراطورية البريطانية الا سنة ١٨٤٠ على يد العالم الفلكى إدوار سابين الذى جاء ذكره فيما تقدم . وكانت القياسات التى أجراها فى هذا المجال قاصرة على الجزر البريطانية وحدها كما ذكرنا . فجاء الفلكى المصرى محمود أحمد فوسع من دائرة هذه الدراسات والقياسات إلى حد بعيد . وبذا كان من رواده البارزين .

٩ ـ وقد أتجه محمود الفلكى إلى خدمة دينه القويم بما حصله من علم غزير ، فوضع فى سنة ١٨٥٨ رسالة فلكية هى الأولى من نوعها ، فى تحقيق تاريخ ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا موعد الهجرة النبوية ، مستندا بالطرق الفلكية إلى تحديد تاريخ يوم موت ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم بكسوف الشمس . وقد حدد موعد كسوف الشمس هذا باليوم والساعة . كما أرفق برسالته دراسة مستفيضة فى التقويم العربى قبل الاسلام . ونشرت هذه البحوث الفلكية الثلاثة فى سنة ١٨٥٨ باللغة الفرنسية فى المجلة الاسيوية التى كانت تصدرها أكاديمية العلوم البلجيكية .

وفى ذلك يقول الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش فى كتابه عن (محمود حمدى الفلكى) الصادر عن الدار المصرية للتأليف والترجمة (سلسلة أعلام العرب رقم ٤٩) :

« لم ينس محمود الفلكى وهو فى غمرة الثقافة الفرنسية ، أن يبعث الدفء فى التراث

الاسلامى، ثم يقدمه محققا إلى محافل العلم بأوروبا ، فبذلك يزيح الغبار الذى تراكم فوقه منذ سنين ، وينأى به عن ترهات المستشرقين الذين أصابوه بظلال قاتمة » .

«لقد كان الفلك مجال تخصصه فى باريس ، بعد أن أولع به فى مرصد بولاق ، وكانت هناك فجوات فى اللبنات التى تتألف منها التقاويم الشرقية، فقام بدراستها وألقى ضوءاً عليها ، بعد أن حجبها ستار كثيف من الهامشية، وساعدته نشأته الدينية الأولى فى الكتاب والقرية على ذلك » .

«لم تتأثر مقومات تفكيره الشرقى ، رغم انهماكه فى أنماط الفكر الأوروبى، فكان نضال بين روحه الشرقية وبين ثقافته الفرنسية المستحدثة ، حتى وصل به المطاف إلى نوع من اليقين المستقر بين التراث وبين العلم الأوروبى فى مجال العلوم الفلكية ، إذ ربط بينهما بعد دراسات مبتكرة ، ثم تقدم بها إلى محافل العلم بفرنسا وبلجيكا ، ليعرف القوم هناك أصالة الأحاديث النبوية المتواترة والمستندة ، وأصالة المعارف الفطرية التى أبرزها العرب إلى الوجود فأضافوها إلى العرفان المتراكم » .

« ويستند محمود الفلكى فى بحوثه إلى أحداث فلكية ظهرت فى أزمنة مختلفة ، وكانت بمثابة الركائز التى اتكأ عليها فى رسالته » .

١٠ — وفى سنة ١٨٥٩ عاد محمود الفلكى إلى مصر بعد غياب تسع سنوات ، وكان قد بلغ الرابعة والأربعين من عمره ، فرقى إلى رتبة الأميرالاى، ومنح رتبة البيكوية ، وانتخب عضوا بالمجمع العلمى المصرى (الذى كان

نابليون قد أنشأه أثناء الحملة الفرنسية وكان هذا المجمع قد أغلق ثم أعيد فتحه)
وبعدئذ صار وكيلا لهذا المجمع ثم رئيسا له ، كما انتخب وكيلا للجمعية الجغرافية
المصرية منذ تأسيسها ، وكان رئيسها العالم الالمانى شفينفورت ، ثم صار محمود
الفلكى رئيسا لها فى أواخر حياته .

ومنذ عودته إلى أرض الوطن واصل السير فى طريق البحث والتقدم
العلمى . وقد عهدت إليه الحكومة المصرية استكمال أجهزة المرصد فطلبها من
أوروبا ووصلت سنة ١٨٦٤ ونقل المرصد من مكانه القديم فى بولاق إلى
العباسية فى السنة التالية مع استكمال معداته . وقد أشرف محمود الفلكى على
إدارة هذا المرصد سنوات عديدة إلى جانب مهامه الأخرى .

١١ — وفى نفس الوقت أخذ يعمل — بتكليف من الحكومة — فى
رسم خريطة فلكية طوبوغرافية كاملة للقطر المصرى ، واستغرق رسمها عشر
سنوات على فترات ، من سنة ١٨٥٩ إلى سنة ١٨٦٩ . وفى أثناء قيامه بعمل
هذه الخريطة ذرع القطر المصرى من أقصاه إلى أقصاه ، واهتم بالدراسات
الجغرافية والأثرية ، وكشف عن طريق حفريات قام بها عن آثار البطالمة
والرومان فى منطقة الاسكندرية ورسم خريطة أثرية لها حقق فيها مواقع
المدينة القديمة ومعالمها ، وألف فى ذلك كله رسالة ضافية طبعت فى كوبنهاجن
باللغة الفرنسية سنة ١٨٧٢ ، كما اكتشف عند أسوان مقياس النيل القديم بعد
أن اختفى زهاء ألف سنة ، وتحقق من تدرجه ، ورسمه ، كما رسم بجواره مقياسا
جديدا ضبط مستواه . أما مقياس النيل القديم بأدفو فقد اكتشفه أيضا عند
زيارته للهيكل سنة ١٨٧٠ .

١٢ — وفى تلك الفترة أيضا — فترة رسم الخريطة الطوبوغرافية — بحث أيضا أمر الموازين والمكاييل وكتب عن معاييرها وتحقيق أطوالها ونسبة بعضها إلى بعض ، ورجع إلى الكتب القديمة لمعرفة نشأة كل معيار ، ونظم الموازين والمكاييل فى مصر على أساس علمى سليم . ثم حقق طول الذراع البلدى والذراع المعمارى والقصبة ووزن الرطل والدرهم وحجم القدح والأردب الخ .. كما قاس مساحة الفدان وصوب طول القصبة . وقد نشرت نتائج هذه الأبحاث باللغة الفرنسية بالمجلة الأسيوية التى كانت تصدرها أكاديمية العلوم البلجيكية سنة ١٨٧٣ .

١٣ — وفى سنة ١٨٦٠ أوقف محمود الفلكى عمل الخريطة الفلكية مؤقتا لكى يتفرغ لرصد كسوف الشمس فى ١٨ يوليو من تلك السنة ، وبعد عدة مراسلات بينه وبين علماء الفلك فى باريس ، سافر إلى السودان لهذا الغرض وكانت المراصد الكبرى فى أوروبا قد أوفدت عدة بعثات لرصد ذلك الكسوف فى أسبانيا وغيرها ، وكانت منطقة الكسوف الكلى تمتد من كاليفورنيا عبر المحيط الأطلنطى إلى أسبانيا ثم إلى الصحراء الغربية فى أفريقيا منتهية عند الحبشة . ولا تزيد مدة الكسوف الكلى عادة على دقيقة واحدة . وخوفا من أن تكون السماء فى اثنائها مغطاة بالغيوم ، انتشرت بعثات الرصد فى أماكن عديدة .

وسافر محمود الفلكى بطريق النيل إلى مديرية دنقلة بالسودان التى اختارها مكانا يرصد منه الكسوف ، واستقر فى بلدة المراغة بعد رحلة عشرة أيام على ظهور الجمال وتحت الشمس المحرقة . وفى خلالها تلف جهاز

(التيودوليت) الخاص بالرصد من نقله على ظهور الجمال . فلم ييأس محمود الفلكي واستعاض عنه بآلة ذات السدس كما صادفته صعوبة فنية أخرى عند تعيين خط الطول فانه لم يتيسر له الرؤية لاستتار النجم وراء القمر فاضطر إلى الاعتماد على الكرونومترات .

وقد شاهد كسوف الشمس وعين زمن ابتداء الكسوف الجزئى وزمن ابتداء الكسوف الكلى وانتهائه وما يقترن بذلك من ظواهر فلكية . كما أجرى بحوثا أخرى جغرافية ومغناطيسية ومتيورولوجية . وبعث بنتائج ارصاده وبحوثه هذه إلى أكاديمية العلوم بباريس فأحالتها إلى لجنة من اثنين من أعضائها وهما العالمان ديلاناى Delannoy وفاى Fay . وقد كتبا عن تلك الأرصاد تقريراً أثنيا فيه على دقتها ، وختماه بأن اقترحا على الاكاديمية أن تزجى شكرها إلى محمود الفلكى على العمل العلمى الدقيق الذى قام به فى رصد كسوف الشمس على الرغم من كل الصعوبات الفنية التى اعترضته .

١٤ — وفيما يلى ترجمة فقرة من ذلك التقرير الضافى المشار إليه بعاليه ، الذى كرم فيه العالمان الفرنسيان الكبيران سالفا الذكر ، جميع الأمة العربية فى شخص العالم محمود الفلكى ، فقد قالوا فيه :

« ولكن العرب اليوم يفهمون بشكل أفضل السحر الحديث الذى هو العلم نفسه ، حتى أنهم لم يعودوا يحتاجون إلى أجانب ، فان لديهم علماءهم الوطنيين . إن العرب اليوم يسيّرون العلم وبذا يبينون أن الجنس الذى نقل العلوم القديمة لم يتأخر اطلاقا » .

ونورد فيما يلى الأصلى الفرنسى لهذه الفقرة الواردة ضمن تقرير العالمين

الفرنسيين المذكورين ، والذى نظرته وأقرته الاكاديمية بجلستها المعقودة فى ٢٢ يوليو ١٨٦١ . وتوجد نسخة منه (مطبوعة فى باريس فى سنة ١٨٦١) بمكتبة الجمعية الجغرافية المصرية بالقاهرة برقم ٣٩٤٧ — ٧١١٤ ضمن مكتبة محمود الفلكى :

Mais les Arabes d'aujourd'hui comprennent mieux la magie moderne, qui est la science elle- même, déjà même ils n'ont plus besoin d'étrangers : ils ont leurs savants indigènes, des Arabes aujourd'hui font marcher la science, montrant ainsi que la race qui a transmis à l'Occident la science de l'antiquité n'a point dégénéré.(1)

وأحسب أن هذا التقرير من عضوى أكاديمية العلوم لعالمنا العربى يغنى عن كل تعليق .

١٥ — وفى سنة ١٨٦٩ انتهى محمود الفلكى من رسم الخريطة الفلكية الطوبوغرافية للقطر المصرى كله . وتبيانا لأهمية هذه الخريطة قال الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن فى محاضرته التى القاها حين كان مدرسا للفلك فى كلية العلوم عام ١٩٤٥ : ولا يستقلن أحد عمل الفلكى فى الخريطة الفلكية الطوبوغرافية ، لأنه عمل علمى من الدرجة الأولى يعتبر حديثًا جداً فى الوقت الذى بدىء فيه سنة ١٨٥٩ . فأول قياس فلكى لمساحة الجزائر البريطانية عمل سنة ١٧٨٧ ولم تتم عملية المثلثات الأولية الا سنة ١٨٥٨ ، وخرائط كسينى القديمة فى فرنسا

(١) راجع التقرير المقدم الى الاكاديمية العلمية الفرنسية من العالمين المقررين سالفى الذكر والذى نظرته واقرته بجلستها المنعقدة يوم ٢٢ يوليو ١٨٦١ والمنشور ضمن محاضر جلساتها الجزء ١٠٣ .

جددت سنة ١٨١٧ ، واستكملت سنة ١٨٨٠ . واكملت مثلثات سويسرا سنة ١٨٣٣ . وأول خريطة بريطانية على مقاس ستة بوصات للميل ظهرت فى سنة ١٨٤٦. فضلا عن أن عمله كان الأول من نوعه فى مصر دقة واحكاما» .

ولم يقف فضله العلمى عند هذا السبق الذى جعله من أوائل رواد العالم فى هذا المجال ، بل أن فضله هذا يتضاعف قدرا ، إذا علمنا أنه بينما كانت لدى اقرانه من العلماء الأوروبيين كل الوسائل والأدوات اللازمة لابحاثهم وقياساتهم ، وبينما كانوا يجدون كل أنواع التسهيلات من سلطات بلادهم ، كان محمود الفلكى تعوزه تلك الوسائل وهذه التسهيلات والى القارىء ما كتبه الاستاذ احمد سعيد الدمرداش عن ذلك فى كتابه عن (محمود حمدى الفلكى)

« عهد الى محمود (بك) الفلكى القيام بمساحة القطر المصرى ، وطلب منه رسم خريطة شاملة له ، غير أن الاستعدادات التى تلزم عمل كبير كهذا له هذه الأهمية العظيمة سواء كانت مالية أو إدارية قد حطمتها فوضى القيود والجهل ، ولم ينل محمود الفلكى سوى بعض المساعدات الطفيفة التى لا تحقق الغرض المنشود ، لم يكن لديه آلة لقياس القواعد ولا تيودوليت مضبوط لذلك ، ولا عمال مدربون » .

« لقد كان أمام محمود الفلكى مهمة عسيرة ، وعيون الادارة التركية والأجنبية ترقبة وتتمنى له الفشل ، فهل يتقاعس عن أداء تلك المهمة فيفقد بذلك ثقة الوالى ، أم يستمر فى العمل بأى شكل كان ، وهو الرجل الذى تعود على القياسات المغناطيسية الدقيقة والارصاد الفلكية ذات الابعاد العميقة فى أوروبا ؟ »

لقد تحايل على هذه الاوضاع فاختار وجهة أخرى إذ عين خطوط الطول والعرض لنحو ثلاثين نقطة فى الدلتا ، ولنقط أخرى فى الوجه القبلى بواسطة آلة السكستانت وآلة السكرونومتر ، وهما الآلتان الوحيدتان اللتان كانتا فى حوزته » .

«وجرت المساحة التفصيلية بواسطة بلنشيطات استعملها المساحون فى وضع الترافرس على شواطىء النيل والترع المهمة ، وعينوا ثكنات النواحى بواسطة التقاطع » .

١٦ — وفى سنة ١٩٦٢ نشرت له مجلة اكاديمية العلوم البلجيكية بحثا فريدا عن الظواهر الفلكية المتصلة ببناء الأهرام بعنوان« عمر الاهرام والغرض من بنائها كما يقرآن على نجم الشعرى» . والى القارىء ما كتبه محمود الفلكى نفسه ووضح فيه كيف هبطت إلى خاطره فكرة ربط ميل أشعة نجم الشعرى بعمر الاهرام ، تلك الفكرة التى ابتكرها ولم يسبقه إليها أحد . قال :

«لازمت الذهاب إلى تلك الأهرام لأجل تحرير خط نصف النهار المار برأس الهرم الأكبر واعتباره مبدأ للاطوال فى الخريطة المصرية التى كلفت انشاءها ، وكان يندهش عقلى ولا ينطق لسانى عند رؤية تلك المبانى الجسيمة العظيمة ، والتأمل فى دقائقها وأجزائها ، والتفكير فى أسباب بنائها ، وكم مضى عليها من الاعوام ، وما الحكمة فى كون اضلاع قواعدها جميعها واضلاع المقابر المجاورة لها محررة على الجهات الأربع ، وأى سر أوجب كون وجوه هذه الأهرامات كلها مائلة على الأفق ميلا واحداً (مقدار زاوية الميل ٥٢٫٥ درجة) .

ثم استرسل يصف كيف ذهب إلى الأهرام قبل الاعتدال الربيعى بيومين وأمضى أربع ليالى فى خيمة بجوار الهرم الأكبر ، ليقوم بقياساته وأرصاده وبصحبته اثنان من اخوانه هما الأستاذ أحمد فايد أستاذ الكيمياء بالمهندسخانة والأستاذ مصطفى شوقى ، إلى أن قال :

« أن منظر النجوم وهى ترسل شعاعها بطلاقة ، فى هذه الليالى الجميلة الخالية من الغيوم ، وتضىء الأرض ، وتبدو وكأنها جاءت بالتتابع تحى هذه الآثار الخالدة لمجد الانسان ، وملاحظة حركاتها فى تأمل ، كل ذلك قد قادنى بالطبع إلى أن أرقب بعناية خاصة أسطع تلك النجوم ضوءا وهو نجم الشعرى Sirius .

« وما كان أشد دهشتى حين رأيت نجم الشعرى فى ذروته تسقط أشعته عمودية تقريبا على الوجه الجنوبى للأهرام .

« لقد تذكرت على الفور افتراضاتى القديمة ، واستعدتها فى ذاكرتى ، وأدرت حلقاتها على التوالى ، ولم ألبث حتى وصلت إلى فكرة ثابتة :

«لا بد أنه كانت هناك علاقة — غير ملحوظة حتى ذلك الحين — بين السماء وبين الاهرام .

«أن هذه الاهرام كانت آثارا نذرت لربانية تنجيمية فلكية ما ، ولا بد أن الشعرى هو النجم الذى كرست له .

«هذه هى الافكار التى استحوذت على ذهنى ، وقادتنى إلى سلسلة من الارصاد أكدت الفكرة السابقة لدى ، من أن عمر الاهرام والغرض من بنائها ، لابد أنهما مكتوبان على نجم الشعرى ».

لقد توصل محمود الفلكى بطريقة فلكية إلى الربط بين ميل نجم الشعرى وموعد سقوط أشعته عمودية على جوانب الأهرام ، وبين تاريخ بناء هذه الأهرام . وهى فكرة مبتكرة لم يسبقه أحد اليها من قبل . فضلا عن كون التاريخ الذى حدده لبناء هذه الآثار بطريقته الفلكية — وبعد عمليات حسابية معقدة — يتفق مع ما وصل اليه المؤرخون العرب وعلماء الآثار الغربيون بطرق أخرى ، وهذا يؤكد دقة النتيجة التى انتهى اليها محمود الفلكى ، مما يدعو إلى الاعجاب حقاً بعبقريته الفذة .

وفى ذلك يقول محمود الفلكى نفسه : « والتاريخ الذى حددناه مطابق لما كان عليه جمهور المتقدمين من مؤرخى العرب[1] ، ولما جرى عليه مؤرخو الفرنج ممن اشتغل بالآثار المصرية[2] » .

١٧ — وفى خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته ، زاد اهتمامه بالدراسات المتيورولوجية والجغرافية ومناسيب النيل . وقد قام بعمل هام إذ جمع بيانات عن فيضان النيل وتحاريقه لمدة أربعين سنة من سنة ١٨٢٥ إلى ١٨٦٤ . وصارت هذه البيانات بعد ذلك أساسا لتقديرات الرى ولا تزال مرجعا هاما لمهندسيه . ووضع باللغة العربية رسالة عنوانها «فى التنبوء عن مقدار فيضان النيل قبل فيضانه » . كما ألقى عدة محاضرات علمية بالجمعية الجغرافية المصرية — التى كان رئيسا لها حتى وفاته — نذكر منها محاضرة عنوانها : أعالى

---

(١) وقد ذكر محمود الفلكى منهم . القضاعى وابن عبد الحكم والمسعودى والمقريزى

(٢) وذكر من علماء الآثار الاجانب . بنسن Bunsen وبروجش Brugsch

النيل لزيادة مياه الفيضان وأخرى عنوانها : « تقدم دراسة الجغرافيا فى مصر » واقترح إنشاء محطات متيورولوجية فى أنحاء القطر المصرى ، ووضع رسالة باللغة العربية عنونها : « بيان المزايا التى تترتب على انشاء مرصد فلكى للحوادث الجوية » . كما نشر ملخصا للارصاد الجوية التى تحت ادارته من ١٨٦٨ إلى ١٨٧٧ .

هذا وقد مثل الحكومة المصرية فى المؤتمر الجغرافى الدولى بباريس سنة ١٨٧٥ ثم فى المؤتمر الجغرافى الدولى فى فنيسيا سنة ١٨٨١ وهى السنة التى منح فيها رتبة الباشوية .

١٨ — تولى عالمنا محمود الفلكى وزارة المعارف مرتين كانت آخراهما من يناير ١٨٨٤ إلى ١٩ يوليو ١٨٨٥ يوم وفاته .

١٩ — ولعل خير ما نختم به ترجمة حياة محمود الفلكى أن نورد هنا بعض ما قاله عنه الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن فى محاضرته التى ألقاها بكلية العلوم سنة ١٩٤٥، فقد وصفه بقوله :«وكان محمود احمد عالما من أكبر علماء العصر» .وكذا ما كتبه عنه الاستاذ مصطفى الشهابى فى كتابه «الجغرافيون العرب » الصادر عن دار المعارف ، فقد وصفه بقوله : «وهو يعد أنبغ من أنجبتهم مصر الحديثة فى الفلك والرياضيات » وأخيراً ما ذكره عنه الاستاذ احمد سعيد الدمرداش فى كتابه عن « محمود حمدى الفلكى » الصادر عن الدار المصرية للتأليف والترجمة سلسلة أعـــــلام العرب ، فقد قال عنه : « ولم يندمج فى التيارات السياسية بل أكتفى برفع راية البلاد فى البحوث

العلمية ومحافل العلم فى بلجيكا وفرنسا وانجلترا وألمانيا والنمسا ، فكان خير عالم أنجبته مصر فى القرن التاسع عشر الميلادى » .

محمود صالح الفلكى

المراجع :

١ — « حياة محمود (باشا) الفلكى »

خطبتا تأبين له من اسماعيل بك محمد والاميرالاى ا.ح. محمود بك مختار وردتا ضمن محضر جلسة الجمعية الجغرافية المصرية فى ٨ يناير ١٨٨٦ .

٢ — « الخطط التوفيقية » بقلم على مبارك

٣ — « تقويم النيل » بقلم أمين سامى

٤ — « تراجم أعيان القرن الثالث عشر » بقلم أحمد تيمور القاهرة فى سنة ١٩٤٠ .

٥ — « محمود الفلكى » بقلم الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن .

ضمن سلسلة أحاديث كلية العلوم جامعة القاهرة المجموعة الثانية فى سنة ١٩٤٦

٦ — « الأعلام » بقلم خير الدين الزركلى .

٧ — « محمود حمدى الفلكى » بقلم أحمد سعيد الدمرداش .

ضمن سلسلة أعلام العرب رقم ٤٩ للدار المصرية للتأليف والترجمة .

٨ — « الجغرافيون العرب » بقلم مصطفى الشهابى الصادر عن دار المعارف

٩ — مؤلفات ورسائل محمود الفلكى ضمن مكتبته المحفوظة بدار الجمعية الجغرافية المصرية بالقاهرة .

تمهيد

أو خلاصة الرسالة

للمؤلف المرحوم محمود الفلكي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد
أو
خلاصة الرسالة

حققت الاسكندرية المستقبل الباهر الذى حلم به مؤسسها العظيم — الإسكندر الأكبر — فلم تلبث أن غدت أولى مدن العالم كله فى عهد البطالمة الأول ، غير أن الأسباب التى أدت إلى عظمتها السريعة كانت هى نفسها التى جعلتها عرضة لكثير من تصاريف القدر ، وكان لا بد أن تقذف بها — عاجلا أو آجلا — إلى هاوية الدمار ، والواقع أنها أصبحت بفضل موقعها ومرافئها الجميلة مركزا لتجارة الهند ومقراً لامبراطورية عتيدة، ولكنها بعدم تجانس أهلها اجتذبت أنظار جميع الفاتحين الغزاة وصارت فريسة طبيعية لمطامعهم .

ولم يكد يمضى على تأسيسها قرنان ونصف قرن من الزمان حتى جعل يوليوس قيصر من أجمل أحيائها ميدان قتال ، ومن بقايا آثارها استحكامات لتعزيز مواقعه الدفاعية وتيسير انتصاره ، وهكذا شهدت المدينة جزيرتها فاروس Pharos وقد خربت ، ومكتبتها التى كانت أعظم مكتبات العالم وقد فتكت بها النيران وأسلحة القتال .

وقد شاركت الإسكندرية مصير البلاد المصرية كلها حين هبط بها أغسطس بعد فترة وجيزة إلى مجرد ولاية رومانية ، إلا أنها بقيت مع ذلك ثانية مدن العالم بأسره ، وأعظم مركز للعلوم والمعارف الإنسانية .

ولكنها لم تكد تخلص من أثر هذه الرجة حتى شهدت فى النصف الأخير من القرن الثالث ، فى عهد كلوديوس الثانى وأوريليوس ، تخريبا حربيا بلغ من الشناعة أن هدمها تهديما يكاد يكون شاملا .

وقرب نهاية القرن الرابع ، فى عهد ثيودوسيوس ، قام البطريرك تيوفيلوس بتهديم معابدها ، وغمرت سماءها أضواء جديدة سطعت بفضل كنيستها المسيحية ، ولكن هذه الأضواء سرعان ماطمستها قوى جديدة .

ففى سنة ستمائة واثنتين وأربعين بعد الميلاد دخلها عمرو بن العاص ، وكان الحى الملكى « حى بروخيوم — Bruchium » قد أصبح أرضا جرداء ، وكانت القصور القديمة التى استحالت أطلالا قد انفصلت عن بقية المدينة .

ومع هذا فقد احتفظت المدينة ببعض سمات فخامتها الماضية إلى أن اختفى شعاعها الخافت نهائيا فى أوائل القرن السادس عشر حين خضعت للحكم العثمانى . ومنذ ذلك الحين أخذت المدينة تواجه أياما عصيبة حتى كاد يطويها النسيان ، فلما كان النصف الأول من القرن التاسع عشر الذى ازدهرت فيه التجارة ، عادت الإسكندرية تحاول أن تستعيد شيئا من مكانتها القديمة وتجنى بعض ثمار موقعها الفذ ، فأقيمت أسوار جديدة تحيط بها وتعيد إليها بعض رونقها القديم ، وعادت السفن تفد من أرجاء العالم إلى مرافئها ، وشيدت بها دور جديدة ، وعبدت طرق وأنشئت متنزهات وميادين عامة ، واكتسبت الاسكندرية وشيكا مظهر المدينة التجارية والصناعية الذى لا تفتأ أن تنميه كل يوم ؛ وكأنما دفعها مجدها الماضى إلى الإسراع فى استرجاع ما فقدته ونزع الأكفان التى دفنتها فيها عوادى الزمن .

إن هذه التقلبات العديدة التى شهدتها الاسكندرية خلال تاريخها الطويل على نحو ما أوضحنا ، فضلا عن اضطرابات أخرى أقل شأنا ، قد تمثلت كلها أمام عينى حين شرفتنى الحكومة المصرية فعهدت إلى بالمهمة الدقيقة الخاصة بوضع خريطة للاسكندرية القديمة .

وإذ توقعت الحكومة المصرية صعوبة مثل هذا المشروع ، فقد أمدتنى بمائتين من العمال للقيام بالحفر ، بالإضافة إلى هيئة المهندسين الذين تتكون منهم إدارتى الأصلية ، وهم : عبد الحليم أفندى الذى عهدت إليه بالإشراف على أعمال الحفر ، وأحمد السبكى وابراهيم سالم الشربينى ، ومحمود أفندى وخليل أفندى اللذان كلفتهما بوضع خريطة للاسكندرية الحالية وضواحيها كما هى فى الوقت الحاضر ، وقد اتخذت مجموعة مثلثات طولها ٨٠ كيلو متراً وعرضها يزيد على ٣٠ كيلو مترا أساسا لرسم هذه الخريطة التى حددت تفاصيلها بالبرجل من أبى صير حتى مصب الفرع الكانوبى للنيل طولا ، ومن الاسكندرية إلى ما وراء كريون عرضا .

ولم يكن ثمة مفر من رسم هذه الخريطة التى تحدد المواقع الحالية كنقطة ابتداء ، لكى أضع عليها أماكن المبانى القديمة بالاسكندرية ، وكذا مواضع المدن والقرى القديمة التى أمكننى تحديدها حول هذه العاصمة .

وبعد أن حسبت رؤوس المثلثات ، قربتها من خط الزوال الذى يمر الآن بباب رشيد الحالى وبخطه العمودى ، وذلك سواء بالنسبة لخريطة الاسكندرية الحالية أو خريطة الاسكندرية القديمة وضواحيها ، مصغرة إحداهما إلى معدل

واحد من مائتي ألف والأخرى إلى واحد من عشرين ألفا كما يراهما القارىء في هذه الرسالة .

وتحت إشرافى الدقيق قام الرسام الذى يعمل معى السيد أمين صباغ بتنسيق تفاصيل الرسوم وجمعها مصغرة فى ورقة واحدة .

أما عن الموضوع الرئيسى لمهمتى ، وأعنى به خريطة الاسكندرية القديمة ، فمن الواضح أن التغييرات المتتابعة التى أشرت اليها ، وما تلاها من إعادة تشييد بعض المبانى ، كانت صعابا وعقبات تعترض طريقنا فى كل خطوة ، ولم أستطع أن أذللها إلا بدراسات وبحوث كثيرة ومقارنة . ولقد كانت المحاولات التى بذلتها الحكومة لإعادة المدينة إلى سابق مجدها ، كانت هذه المحاولات فى حد ذاتها عقبة أخرى فى طريقى كنت أخشى ، خلال فترة طويلة ، أن تقوض كل جهودى .

والواقع أن معظم الأماكن التى بدا لى أن أقوم بالحفر فيها ، قد أصبحت ممتلكات خاصة ، ولم أستطع أحيانا أن أتابع بحوثى بها إلا بعد القيام باجراءات عديدة . وقد كنا نتوقف عن العمل مضطرين فى كثير من الأحيان ، الأمر الذى تطلب منا عملا مزدوجا لكى نطابق النتائج بعضها ببعض . وعندئذ أدركت مدى الصعاب المادية التى واجهت أولئك الذين حاولوا القيام بهذا المشروع قبلى ، دون أن تكون لهم الوسائل التى وضعتها الحكومة تحت تصرفى ، كما أمكننى أن أقدر ما تنطوى عليه النتائج التى وصلوا إليها من قلة الحقائق .

* * * *

وقد كدت أنا نفسى أشك فى إمكان بلوغ هدفى ، وإذا بى لحسن الحظ أكتشف أثناء الحفر أرضية أول شارع ويبلغ طوله أكثر من كيلومتر ونصف كيلومتر ، وكان هذا دليلى الأول فى اكتشاف سبعة عشر شارعا طوليا وسبعة شوارع مقاطعة كانت أرضيتها سليمة إلى حد ما . وكانت الأولى متوازية تماما تمتد بزاوية مقدارها ٢٤ درجة و١٥ دقيقة من الشمال إلى الغرب . أما الشوارع المقاطعة فعمودية عليها ، وبمسح جميع هذه الشوارع الأثرية مسحاً شاملا ، أمكننى أن أحدد طبيعة أرض الأسكندرية القديمة بهذه الخطوط الكنتورية التى يمكن تتبعها على خريطة الاسكندرية القديمة . وبمتابعة الحفر والمسح وجدت مكان المسرح ، وهذا المسرح مع القيصرون Caesareum الذى عرف بمسلتيه ، قد ساعدنى — بالاضافة إلى رأس لوخياس — على تحديد مواقع القصور والآثار والمبانى العامة طبقا لما ذكره الكتاب القدامى .

وقد مكنتنى أعمال سبرالغور التى قمت بها فى الميناء الكبير (ماجنوس بورتس Magnus Portus) من أكتشاف الصخور التى جعلت مدخل الميناء وعراً جداً، وكذا ميناء الملوك وجزيرة أنتيردوس — Antirrrhodus وقصرها الملكى ومرفئها الصغير وطريق أنطونيوس والتيموزنيوم Timonium وبقايا رصيف الميناء الكبير ، وكلها الآن مغمورة فى أعماق الماء

وساعدتنى إعمال المسح ، واكتشاف قنوات المياه الممتدة تحت الأرض على مقربة من ميناء إينوستوس Eunostos داخل المدينة وفى جزيرة فاروس ، على تحديد مكان طريق الهبتاستاد — Heptastade الذى يمتد من الشمال إلى الغرب مكونا مع خط الطول زاوية مقدارها ٤٥° . أما أسوار

المدينة القديمة فقد اكتشف أساسها عن طريق الحفر وأعمال سبر الغور التى قمت بها فى منطقة يبلغ محيطها أكثر من عشرة كيلومترات . وأخيراً فإن قنوات المياه القديمة الممتدة تحت الأرض والتى لا تزال تحمل الماء العذب إلى الخزانات ، وكذلك ترعة الاسكندرية القديمة وترعة شيديا Shedia والفرع الذى يمتد منها إلى كانوب Canope ، وضواحى اليوزيس ونيكروبوليس Necropolis وبحيرة مريوط Maréotis والفرع الكانوبى للنيل — كل أولئك قد عولجت بالتفصيل فى هذه الرسالة وحددت مواقعها على الخريطة . ودفعنى الاهتمام بمعرفة مكان ميدان المعركة التى وقعت بين يوليوس قيصر والملك بطلميوس على النيل ، إلى أن أبحث لأحدد الموقع القديم للفرع الكانوبى لهذا النهر من مصبه عند سفح الكوم الأحمر (أو خرائب هيراكليوم — Heracléum) حتى قمة الدلتا بالقرب من شبرا ، على مسافة عشرين أو اثنين وعشرين كيلومتر من أطلال ممفيس وقد قادنى هذا البحث إلى الكلام عن مدن هيراكليوم Heracléum وشيرو وهرموبوليس Hermopolis ونوكراتيس Naucratis وموممفيس Momemphis التى كانت واقعة على شاطىء النهر ، وقد حددت لهذه المدن مواقع أخرى غير التى كانت معروفة حتى اليوم . وسيرى القارىء من خلال هذه الرسالة الأسباب التى حفزتنى إلى ذلك . ومدينة كانوب Canope أيضا ليست فى الموضع الذى عينه علماء الحملة الفرنسية والذى كان مقبـــــولا حتى الآن ، وقد وجدت أطلال مدن ماريا Marea وتابوزيريس Taposiris وفوموتيس Phomotis وأطلال المدينتين الأخيرتين لا تزال تحمل الاسمين القديمين تقريبا ، إذ تسميان أبو صير وأبو مينا .

أما عن معسكر قيصر فانه بالرغم من إمكان تحديد موقعه بجمع التفاصيل الواردة فى هذه الرسالة ، إلا أنى آثرت أن أفرد له ملحقا خاصا فى آخر هذه الرسالة .

وفى ملحق آخر سأذكر القيم المترية الخاصة بالقدم والاستاد Stade والألفى الرومانى mille كما استنتجتها من مقارنة مقاييس الأهرام وأبى الهول بالمقاييس التى ذكرها بلنيوس Pline بالأقدام الرومانية .

هذا وقد قسمت هذه الرسالة إلى مقدمة وثلاثة فصول وملحقين :

— فالمقدمة تحوى فكرة عامة عن أرض الاسكندرية وطبيعتها .

— والفصل الأول يعالج الأسوار المحيطة بالاسكندرية القديمة وشوارعها ومناسيبها الخ ..

— والفصل الثانى يعالج قنوات المياه الجوفية والأحواض وجزيرة فاروس وبرج المنار وطريق الهبتاستاد والميناء والمرافىء والقصور الملكية والمعابد والدور الخ ..

— والفصل الثالث يبين الضواحى المحيطة بالاسكندرية القديمة وكذا الفرع الكانوبى للنيل ومواقع المدن التى كانت قديما على شاطئيه الخ .. الخ ..

وأخيرا فإن الملحق الأول يعالج معسكر قيصر ، والملحق الثانى خاص بالقيم المترية للقدم والاستاد والألفى الرومانى .

ولست أختتم هذه الكلمة التمهيدية دون أن أرجو تسامح القارىء إذا ما وجد فى ثنايا هذه الرسالة أخطاء خاصة بقواعد اللغة الفرنسية ربما وقعت أثناء كتابتى بلغة غير لغتى الأصلية .

والذى يدعونى إلى الطمأنينة هو أنه فى مثل هذا البحث لا يهتم عالم من العلماء برشاقة الأسلوب قدر اهتمامه بصحة النتائج .

مقدمة المؤلف

نظرة عامة

إلى أرض الإسكندرية وطبيعتها

مقدمة المؤلف

نظرة عامة الى أرض الاسكندرية وطبيعتها

تقع مدينة الاسكندرية فوق سلسلة صغيرة من الجبال المنفصلة عن سلسلة الجبال الليبية التى وراء برج العرب وتنقطع فجأة عند رأس أبى قير ومدينة كانوب القديمة . فهى بذلك تغلق وادى النيل إذ تتاخم فى الشمال الغربى بحيرة مريوط وأقليم مريوط .

وطول هذه السلسلة ، أو المسافة بين البحر وبحيرة مريوط ، تتراوح بين ١٠٠٠ و ٣٠٠٠ متر . وطبيعة الأرض صخرية جيرية بوجه عام ، وبالحفر فيها ينبثق دائما ماء الشرب على عمق يتراوح بين أربعة أمتار وخمسة أمتار فى الأجزاء المنخفضة ، وقد شربت منه ماء لا بأس به مستخرجا من آبار حفرت فى جزيرة فاروس نفسها .

وفوق هذه الأرض يرى الانسان فى جهات معينة مرتفعات من الرمل نسبة السيلكا فيه ضئيلة جداً . وأعلى التلال التى تتكون منها هذه السلسلة لايكاد يزيد ارتفاعه على ٣٥ مترا عن سطح البحر والجزء المقابل لجزيرة فاروس من الأرض يتراوح عرضه بين ١٦٠٠و ٢٠٠٠متر وطوله ٥ كيلو مترات تقريبا . وارتفاعه عن سطح البحر يبلغ فى جهات عديدة نحو ثلاثين متراً ، وإلى اليمين واليسار نجد أن الأرض تتناقص كثيرا فى العرض ولا ترتفع عن مستوى سطح البحر الا بنحو عشرة أمتار .

هذه المنطقة التى يحيط بها البحر من جانب وبحيرة مريوط من جانب

آخر ، والتى لا يمكن الوصول اليها براً إلا من جانبين ضيقين يسهل الدفاع عنهما ،والتى حبتها الطبيعة بميناء فريد على شاطىء منخفض تتخلله الصخور — هذه المنطقة تجمع فى ذاتها كل المزايا الممكنة لمدينة منيعة ومركز تجارى .

ولا ريب أن هـذه الاعتبـارات هى التى جعلت الاسكندر الأكبر يختارها ، لأننا فى هذه الحدود قد اكتشفنا بالحفر آثار الأسوار التى كانت تحيط بمدينة الاسكندرية القديمة ، كما سيرى القارىء فى الفصل الأول من هذه الرسالة .

على أن أهمية هذا الموقع لم تكن خافية عن الفراعنة القدماء الذين خشوا الغزو من جانب الأغريق الذين أخرجتهم المجاعة والفاقة من بلادهم ، فعهدوا بحراسة هذا الموقع إلى القبائل المجاورة ، وخصصوا لاقامة هذه القبائل — كنقطة مراقبة — برج راكوتيس Racotis الذى أصبح فيما بعد حياً كبيراً من أحياء الاسكندرية .

الفصل الأول

أسوار الأسكندرية القديمة وشوارعها

الفصل الأول

أسوار الأسكندرية القديمة وشوارعها

إن الأسوار التى لا تزال قائمة إلى الآن والتى أصلح بعضها فى عهد محمد على ، وتهدم الجانب المواجه منها للمدينة الحديثة ـ ليست مطلقا الأسوار التى كانت تحيط بمدينة الاسكندرية القديمة ، بل انها لا تشغل نفس مكانها ، ولعل العرب قد أقاموها فى القرن الثالث الهجرى أيام ابن طولون ، كما يؤكد «المسكين» الكاتب العربى ذو المكانة الكبيرة .

وقد اكتشفت الأسوار القديمة على الوجه الآتى :

أثناء القيام بالحفر وراء رأس لوخياس Cap Lochias (السلسلة) اكتشفت على مستوى سطح البحر تقريبا أساسات يبلغ عرضها خمسة أمتار ، وقد بنيت بأحجار صغيرة وملاط مكون من الجير وقطع الطوب الصغيرة . ولا تزال بقايا هذا السور تشاهد اليوم من شواطىء البحر بامتداد ٣٠٠ متر من ا إلى ب على خريطة المدينة ، وقد استمر الحفر بين الأطلال وظهرت بقايا نفس السور وهى من نفس نوع البناء وبنفس العرض على عمق ثلاثة أو أربعة أمتار تحت الأطلال، ممتدة مسافة كيلو مترين تقريبا ، أى من ب إلى جـ على الخريطة .

وفضلا عن ذلك ظهر أن انتزاع أحجار هذا السور من عمق ثلاثة أو أربعة أمتار تحت الأطلال هو أمر حديث العهد ، لأن أولئك الذين انتزعوا هذه الأحجار والذين لا يزالون على قيد الحياة قد أكدوا لى أنهم هدموا

هذا السور وأخذوا الأحجار لاستخدامها فى إقامة مبان أخرى .

وعند نقطة ح تبدأ الأرض فى الانخفاض ، ولا تكاد ترتفع خمسة أمتار فوق سطح البحر ، وهى أقل من ذلك ارتفاعا بكثير وراء هذه النقطة ، بحيث أنه لم يمكن الاستمرار فى الحفر من ح إلى د فى مساحة قدرها ٧٠٠ متر ، فقد ضايقنا الماء الذى ينبثق من عمق مترين اثنين . ولحسن الحظ أبلغنى الباحثون عن الأحجار أنهم عند تشييد المسجد الصغير والبيوت الصغيرة الواقعة على ارتفاع قليل فى النقطة د من خريطتنا ، قد رأوا سورنا هذا مستمرا بنفس العرض وبنفس نوع البناء . ويبدو لى أن شهادتهم هذه صادقة ، وخصوصا أن هذه النقطة توجد على امتداد الجزء الأخير الذى اكتشف بالحفر وينتهى بها لسان من الأطلال ، ولسنا نرى سببا يدعو المهندس دينوكراتس Dinocrate إلى الانحراف بالسور فى هذه المساحة الموحدة .

وهكذا أصبحنا على يقين من مكان السور القديم المحيط بمدينة الاسكندرية ابتداء من برج السلسلة (رأس لوخياس) حتى المسجد الصغير الموجود بالحضرة فى مسافة تمتد أكثر من ثلاثة كيلو مترات طولا (من ا حتى د على خريطتى) ولما تزايدت صعوبة مواصلة الحفر فيما بين ترعة المحمودية والتلال حتى الميناء الغربى ــ لوجود منازل خاصة وحدائق تشغل مكان السور الذى نبحث عنه ــ فقد وجب الاقتصار على الحفر على طول الطرقات والدروب التى تمتد من الحى العربى حتى الترعة والتى لابد أنها تقطع المكان المفروض للسور القديم المحيط بالمدينة .

وبناء على ذلك قمت بالحفر فى ثمانية دروب يبعد بعضها كثيرا عن

بعض ، ولـكنى لم أكتشف بقايا أساسات الأسوار إلا فى خمسة من هذه الأقسام ، عند النقط المبينة على الخريطة بالأحرف هـ و ز ح ط . وهذه البقايا عبارة عن كتل كبيرة من البناء يبلغ عرضها خمسة أمتار وتتكون من أحجار سميكة إلى حد ما ، ويختلف ملاطها عن ملاط الجزء المكتشف فى المكان الأول .

إن هذه البقايا المكتشفة على عمق ثلاثة أو أربعة أمتار تحت الأرض هى بلا نزاع من بقايا السور القديم الذى كان يحيط بالمدينة ، بدليل ما يلى :

أولا — فيما وراء هذه المبانى الكبيرة ، من جانب الترعة ، وخلف كل قسم أجريت فيه الحفر ، لم أكتشف أساسات لمنازل قديمة ، بينما تناثرت فى أماكن الحفر ذاتها أطلال البيوت القديمة تحت الأرض على عمق ثلاثة أو أربعة أمتار ، من جانب المدينة . ومن ثم يتضح أن المدينة كانت تنتهى فى ذلك المكان بكل تأكيد .

ثانيا — أن هذه النقط الخمس وجدت منسقة مع الجزء الذى تم كشفه من السور المحيط ، وتتفق تماما مع الحالة الطبيعية للأرض . وسأتحدث فيما بعد عن ذلك .

ثالثاً — أن من الصعب أن يتصور الإنسان أن هذه الأساسات كانت لشىء آخر غير سور محيط ، وذلك نظراً إلى سمكها غير العادى .

وهكذا وصلنا بالسور المحيط إلى مسافة كيلومترين تقريبا من ميناء إينوستوس Eunoste أو الميناء الغربى . وما كان يمكن مطلقا القيام بالحفر

فى هذه المساحة القليلة وقد اضطررت إلى إكمال رسم السور المحيط حتى البحر على خريطتى طبقا لموقع الأرض واعتبارات أخرى بدا لى أنها تتفق مع توزيع الأماكن .

أما الجزء الذى يكمل الأسوار المحيطة على طول البحر من رأس لوخياس حتى الميناء الغربى ، فمن المرجح جداً أنه قد استمر فى شكل رصيف لتيسير شحن وتفريغ السفن التى كانت تأتى إلى الميناء حتى درجات من الرصيف ، كما ذكر سترابون Strabon .

وأيا كان الأمر فقد اكتشفت بقايا هذا الأساس فى البحر على عمق مترين أو ثلاثة أمتار تحت سطح الماء . وكان صيادو الميناء يعرفون المكان جيدا ، لدرجة أنى استطعت بفضلهم أن أتابع فى زورق ووسط جو هادىء جدا ، جزءاً كبيراً من بقايا هذا السور بكل تعرجاته ، من رأس لوشياس إلى ما وراء القيصرون Cesaréum وأن أرسم تصميمه وأن أحدده على خريطتى الخاصة بالاسكندرية القديمة ا ب ج د هـ و ز ح ط ك ل .. .. وأخيراً فإن بقايا الرصيف بين ل و ع قد اكتشفت عند م و ن منذ بضع سنين عند وضع أسس بيوت حديثة تحتل الآن مكان تلك البقايا .

وتعرجات السور بين ل و ع وكذا فى الجزء الذى بين ع و د قد حددت وسجلت على الخريطة — كما يرى القارىء — طبقا لتوزيع الأماكن ، مع مراعاة الحالة الأصلية للأرض وطبقا للنقط التى حددتها أعمال الحفر .

ولما كان السور المحيط بمدينة الاسكندرية القديمة قد وجد هكذا وحدد بالرسم بمقياس كبير ، فإن من السهل تحديد امتداده : والواقع أن

الإنسان يرى ، والبرجل فى يده ، أن امتداده يبلغ ١٥٫٨٠٠ متر تقريبا ، بما فيه كل تعرجاته ، فيما عدا طريق أنطونيوس مع التيمونيوم ، وهو ما يزيد ذلك الرقم بنحو ٦٠٠ متر .

وطول المدينة ٥٫٠٩٠ مترا كما يرى القارىء فى الرسم . أما العرض فإنه متغاير ، فهو ١٫١٥٠ مترا من ناحية نكروبوليس ونحو ١٫٤٠٠ مترا من ناحية الباب الكانوبى ، وهو فى الداخـــل نحو ١٫٥٦٠ مترا تجاه طريق الهيبتاستاديو ٢٫٢٥٠ مترا تجاه رأس لوشياس . وهو أخيرا ١٫٧٠٠ مترا تقريبا فى الجزء الأكبر من المدينة ، ولذا لا يدهش الإنسان حين يرى سترابون يقول إن عرض الاسكندرية هو بين ٧ و ٨ أستاد stade ، بينما فلافيوس جوزيف Flavius Joseph وفيلون Philon يؤكدان أنه عشرة أستاد ، هذا فى الوقت الذى يتفقون فيه جميعا على أن طول الاسكندرية هو ٣٠ أستاد .

وإذا كان ديودور الصقلى قد قدره بأربعين استاد ، فلا ريب أنه كان يضيف إلى المدينة جزءاً من نكروبوليس المجاورة لها .

وطبقا لكونيتوس كورتيوس فان المهندس المعارى دينوكرات قدر لمحيط المدينة ٨٠ استاد . واتيين دى بيزانس Etienne de Bysance يقدر له ١١٠ ستاد مع حسبانه ٨ ستاد للعرض و٣٤ ستاد للطول . والخمسة عشر الفيا رومانيا mille التى يقدر بها محيط الاسكندرية تشمل بالتأكيد المدينة مع ضاحيتها نكروبوليس .

ولكن ما هى القيمة المترية لمقياس الستاد stade والالفى mille اللذين كان الكتاب القدماء يتخذونهما ؟

إن الحيرة التى عانيتها حين رجعت إلى المؤلفات الحديثة بهذا الشأن ، والحاجة إلى معرفة القيمة الحقيقية لهذين المقياسين ، قد دفعتانى إلى عمل بحوث خاصة ، وقد وصلت فى الواقع إلى أن أعرف بطريقة مؤكدة مستعينا بقياس جوانب أهرام ممفيس وجوانب أبى الهول ، وبالمقارنة مع المقاييس التى أوردها بلنيوس بالأقدام الرومانية — أقول إننى توصلت على هذا النحو إلى طول القدم الرومانى — على الأقل القدم الذى ذكره بلنيوس — هو ٢٩٥٩ر٠ من المتر[1] . وعلى ذلك فان طول البليتر Pléthre هو ٥٩ر٢٩ مترا وطول الاستاد stade الرومانى هو ٩٥ر١٤٧ مترا . وأخيراً فان الألفى الرومانى mille يساوى ٥ر١٤٧٩ مترا والرسم الذى وضعته للاسكندرية القديمة قد قادنى إلى أن أكتشف طول الاستاد الحقيقى الذى اتخذ عند إنشاء المدينة : إنه الاستاد اليونانى وطوله ١٦٥ مترا كما سأبين عند ختام هذا الفصل حين أتحدث عن شوارع الإسكندرية وامتدادها .

وعلى ذلك فإن الانسان يرى دون جهد أن سترابون حين قدر عرض المدينة بما يتراوح بين ٧ و ٨ استاد ، كان يقصد العرض عند طرفيها حيث يبلغ عند أحدهما ١١٥٠ متراً وعند الآخر ١٤٠٠ مترا طبقا للخريطة المرفقة ، والرقم الأول يمثل ٧ استاد يونانى مع فارق خمسة أمتار تقريبا ، بينما يمثل الثانى ٨ استاد ونصف . أما فلافيوس جوزيفوس وفيلون فقد أخذا فى اعتبارهما متوسط العرض حين قدرا له ١٠ أستاد ، أى ما يساوى ١٦٥٠ مترا ، لأن المتوسط الفعلى يصل إلى ١٧٠٠ مترا . وأما مسافة الثلاثين استاد التى حددها

(١) هذا البحث لم ينشر بعد وآمل أن أنشره قريبا أو أن أفرد له ملحقا فى آخر هذه الرسالة (المؤلف) .

لطول المدينة ، فإنها تتفق مع المقياس المتخذ لخريطتى ، إذ تساوى هذه المسافة ٤٩٥٠ متراً فهو طول المدينة فى الخريطة بفارق يبلغ ١٤٠ مترا تقريبا .

وبالقاء نظرة على الخريطة نفسها يرى القارىء أن الأربعين استاد التى ذكرها ديودور الصقلى تشمل طول المدينة ذاتها مع جزء من ضاحية نكروبوليس .

أما تقدير « كوينيوس كوريتوس » محيط المدينة بثمانين ستاداً ، فذلك لأنه اعتبر هذا المحيط على هيئة مثلث وأغفل ما فى أضلاعه من تعرجات ، متخذا له نفس المقاييس التى جاءت فى جوزيفوس وبلنيوس .

أما المقاييس التى ذكرها إتيين البيزنطى الذى عاش فى نهاية القرن الخامس الميلادى ، فانها بلا أدنى ريب قد قدرت بالستاد الرومانى البالغ ١٤٧ر٩٥ مترا ، وهى أيضا تتفق تماما مع خريطتى ، لأن الثمانية ستاد الرومانية التى قدر بها العرض تساوى ١١٧٣ر١ مترا و٦٠ سنتمتر ، وهو رقم داخل بين أقصى العرضين ١٥٠ر١ مترا و١٤٠٠ متر . والـ ٣٤ ستاد المقدرة لطول تساوى ٥٠٣٠ر٣٠ متر ، وهذه المسافة على خريطتى هى ٥٠٩٠ مترا .

والـ ١١٠ أستاد التى ذكرها المؤلف نفسه كمقياس لمحيط الإسكندرية لا تزال مضبوطة جداً ، فالواقع أن ١١٠ ستاد رومانية تساوى ١٦٢٧٤ر٥ مترا ومحيط المدينة بكل تعرجاته — بما فيها طريق أنطونيوس والتيمونيوم اللذان تضمنتهما خريطتى — يبلغ ١٦٤٠٠ متراً ، وهذا هو مقدار الـ ١١٠ ستاد التى ذكرها إتيين البيزنطى ناقصة أستادا واحدا تقريبا .

ومن النظرة الأولى إلى خريطتى يرى الإنسان أن بلنيوس لم يبالغ مطلقا حين ذكر ١٥ ألفيا رومانيا mille أو ٥ر٢٢١٩٢ متراً لمحيط الاسكندرية ، فانه بكل بساطة قد أدخل فى اعتباره المدينة وضاحية نكروبوليس المجاورة لها ، مع إغفال التعرجات فى الأسوار المحيطة .

إن المقارنة التى قمت بها الآن ، والبرجل فى يدى ، تدل على صحة الفقرات الخاصة بأبعاد الاسكندرية التى أوردها المؤلفون الإغريق والرومان. وهذه المقارنة تدل أيضا على أننى لم أبعد عن الحقيقة حين سمحت لنفسى ببعض التجاوز لكى أقدر تعرجات الأسوار المحيطة بالمدينة والتى — طبقا لما ذكره المؤلفون — يشبه شكلها العام فى الواقع شكل معطف مقدونى ياقته هى الجزء الواقع بين البوسايديوم (معبد بوسيدون) وبين رأس لوخياس (السلسلة) .

شوارع الاسكندرية القديمة

اكتشفت فى مدينة الاسكندرية — نتيجة لأعمال الحفر — أحد عشر شارعا رئيسيا مرصوفة كانت تخترقها عرضا ، وسبعة شوارع مرصوفة كانت تخترقها طولا . والأولى مبينة على خريطتى بالأحرف ص١ ، ص٢ ، ص٣ ، ص٤ ، ص٥ ، ص٦ ، ص٧ ، ص٨ من ناحية صَ٢ ، صَ٣ ، صَ٤ ، من ناحية أخرى .

والشارع الذى يتوسط الشوارع الطولية هو الشارع الكانوبى Canopique والشوارع الثلاثة التى من ناحية البحر مؤشر عليها بالأحرف ل٢ ، ل٣ ، ل٤ والشوارع الثلاثة الأخرى التى من ناحية الترعة مؤشر عليها بالأحرف لَ٤ ، لَ٢ ، لَ٣ .

ومن بين هذه الشوارع الثمانية عشرة الرئيسية لا يوجد سوى خمسة لم تبق أرضيتها سليمة ، وهى الشوارع المؤشر عليها بالأحرف ص٨ ، صَ٤ ، ص٤ ، بين الشوارع التى تخترق المدينة طولا ، وأرضية الشوارع الأخرى — أعنى حجارة رصفها — قد بقيت سليمة على طول امتدادها تقريبا .

الشارع الكانوبى :

أجريت الحفريات فى ست نقط من الشارع الكانوبى الذى يسمى الآن (شارع باب شرق) ، وموضع إحدى هذه النقط تجاه مكان كنيسة سانت أثناسيوس التى صارت فى وقت ما مسجد العطارين وأصبحت الآن ملكا خاصا ، وتبعد هذه النقطة مسافة ١٢٨٥ر١ مترا من عمود السوارى Pompée

على مسافة ثمانمائة متر من السلسلة التى لا تزال قائمة ، وعلى مسافة ١٨٣٥ مترا من باب رشيد الحالى أو الباب الشرقى . ولا تزال الأرضية سليمة ويبلغ ارتفاع هذه النقطة عن سطح البحر ٧ر٤ مترا ، وهى على عمق ٣ أمتار تقريبا تحت الأرض الحالية ، والنقطة الثانية على بعد عشرة أمتار تقريبا فى غرب الباب الشرقى ، وليست الأرضية المرصوفة سليمة ، وهى على ارتفاع ٥ر٢ مترا من سطح البحر وعلى عمق ٥٠ر٢ متر من الأرضية الحالية ، والنقط الأربع الأخرى تقع خارج السور المحيط الذى بناه العرب ، وتبعد عن باب رشيد الحالى ، الأولى بمقدار ٢٤٥ مترا والثانية بمقدار ٣٤٥ مترا والثالثة ٤١٥ مترا والأخيرة ٤٦٥ مترا ، والأرضية المرصوفة سليمة فى النقط الثلاث الأولى، وهى على ارتفاع ٥ر٥ مترا و٦ أمتار و٧ أمتار عن سطح البحر ، بينما لا يزيد عمقها على ٥ر١ مترا تحت الأرض . وأحجار الرصف فى النقطة الأخيرة قد أزيلت ولم يبق منها سوى ثلاث أو أربع قطع على مستوى سطح الأرض الحالية وعلى ارتفاع تسعة أمتار عن سطح البحر ، وهذه النقط الست التى تبلغ المسافة بين طرفيها ٣٠٠ر٢ مترا موجودا على خط مستقيم يمتد من جانبيه حتى السور المحيط ويكون الشارع الكانوبى الذى يبلغ عرضه ١٤ مترا تقريبا بين جانبى الأرضية المرصوفة ، ويبلغ طوله ٠٩٠ر٥ مترا ، وهذا الشارع يمتد من الشرق والشمال الشرقى إلى الغرب والجنوب الغربى ، مكونا زاوية قدرها ١٥ر٢٤° مع الخط الشرقى الغربى ، ومسافة محور هذا الشارع حتى عمود السوارى هى ١٦٥ر١ مترا و٥١٧ مترا إلى المسلة التى لا تزال قائمة .

وفيما وراء النقطة الأخيرة المحددة بالحفر ، وعلى مسافة ٤٦٥ مترا من باب رشيد الحالى ، اختفت الأرضية المرصوفة ، كما سبق القول ، حين نظم

الشارع فى العهد الحديث ، واتسم بما فيه الآن من انحدار بطىء وهو الانحدار الذى تطلب خفض الطريق عدة أمتار عن مستوى الأرض الأصلية ، كما تدل عليه مقارنة مسح الأرضية المرصوفة للشارع القاطع ص-٣ مع مسح الأرض الحالية لطريق باب رشيد ، ذلك لأن أرض الطريق مرتفعة الآن بمقدار عشرة أمتار عن سطح البحر فى هذه النقطة من التقاء الشارعين ، بينما الأرض المرصوفة التى إلى اليمين وإلى اليسار فى الشارع القاطع ص٣ ترتفع عن سطح البحر خمسة عشر مترا من جهة ، وأربعة عشر مترا من جهة أخرى .

وفيما وراء التلال ينحدر الشارع الكانوبى انحدارا سريعا جدا ثم يستمر حتى الباب الكانوبى ، الأمر الذى يستطيع القارىء أن يستوثق منه بالاطلاع على انحرافات مسح الأرض المرسومة على خريطتى الخاصة بتخطيط المدينة القـديمة .

إن آثار مواقع المبانى الكبيرة وقطع الأعمدة المحطمة التى يكتشفها الناس عند تأسيس المبانى التى تشيد كل يوم على جانبى هذا الطريق العريض ، تدل بالطبع على أهميته ، وقد رأى «جراتين ليبير[1]» هنا ثلاثة أعمدة تجاه موقع كنيسة القديس أثناسيوس أثناء الحملة الفرنسية على مصر ، ورأى منها ثمانية أخرى على امتداد الشارع تجاه قرية شاركويه (باب شرقى) غير بعيد من باب رشيد ، وأخبرنى أحد سكان الاسكندرية أنه رأى فى حديقة جبارة تجاه كوم الدكة عدة صفوف على خط مستقيم وموازية لجانب الشارع ، وأخيرا قد اكتشفت أنا نفسى بعضا منها أثناء الحفر ، ولكنى آسف لأنى لم أستطع العمل هناك بحرية ، لأن

---

(١) وصف مصر — الآثار — صفحة ٤٢٣ .

الشارع يموج بالحركة وقد أصبح جانباه كلاهما من الممتلكات الخاصة . وإذا كان وسط الشارع قد بقي سليما فذلك بفضل قناته التى تمتد تحت أرضه والتى تحمل الماء العذب من الترعة وتغذى خزانات المدينة وتزود به الفقراء الذين يغترفون منه كل يوم ما يلزم لحياتهم .

الشوارع الطوليه الأخرى :

إن أعمال الحفر التى أجريت فى عشرين مكانا من الشارع ل٢ على امتداد ألفين وأربعمائة متر ، وفى اثنى عشر مكانا من الشارع على امتداد ألفين وتسعين مترا ، لَ٢ قد بنيت لى فى البداية أن الأرضية المرصوفة سليمة نوعا ما ثم دلتنى على أن عرضها ٧ أمتار ، وهذا العرض يعتبر عاما بالنسبة لجميع شوارع المدينة ما عدا الشارع الكانوبى والشارع المقاطع ص١ اللذين يبلغ عرض كل منهما ١٤ مترا ، وبعد أن سجلت مجموعتى نقط الحفر على خريطتى بواسطة البلنشيطة ونقط التثليث التى وضعتها لتخطيط المدينة الحديثة — اتضح أن هذه النقط التى حدد بعضها مستقلا عن البعض الآخر ، تقع على خطين مستقيمين موازيين تماما للشارع الكانوبى السابق تحديده بنفس الطريقة مستقلا عن الشوارع الأخرى ، وبعد كل من هذين الشارعين عن الشارع الكانوبى هو ٢٩٤ مترا ، والشوارع الطولية الأخرى المبينة على خريطتى طبقا لمجموعة نقط الحفر الخاصة بكل منها ، وبواسطة البلنشيطة والتثليث مستقلا كل منها عن عن الأخرى مثل غيرها من الشوارع ، هذه الشوارع الطولية قد وجدت بالمثل موازية للشارع الكانوبى .

وتوازى هذه الشوارع ليس وحده مثار الإعجاب والتقدير فى تخطيط

المدينة القديمة ، بل يضاف إليه انتظام المسافة بين جميع الشوارع الرئيسية ، فهى دائما ٢٧٨ مترا ، إلا بين الشارع ل٣ والشارع ل٤ حيث تبلغ من ناحية الترعة ١٧٧ مترا فقط . وبدا لى أن الشارع الأخير يتوسط شارعين ، وقد رأيت آثار الشارع الرئيسى التالى على مسافة أبعد قليلا فى مقبرة الأهالى بجوار العمود وعلى نفس مسافة الـ ٢٧٨ مترا تقريبا من الشارع ل٣ ، غير أنى لم أسجله على خريطتى إلا بخطين من النقط ، لأنى لم أقم هناك بالحفر لضيق الوقت ، وجميع النقط التى حفرت فيها بحثا عن الشوارع سواء منها الطولية أو المقاطعة ، قد أثبتها أيضا على خريطتى بشرطتين صغيرتين تقطعان الشارع كى يمكن إيجادها بسهولة والقيام بتحقيقات عندها إذا لزم الأمر ، غير أن الأرضية المرصوفة ليست ظاهرة فى جميع النقط ، وبالرغم من أنها رفعت فى مواضع معينة إلا أن الإنسان يتبين الطبقة التى كانت تحتها ، ولذلك من الدك المتقن الذى عمل هناك أو من نوع مادة البناء التى تتكون منها تلك الطبقة . وكانت هذه المادة من أحجار صغيرة من الجير والرمل ، وفى الأجزاء التى لا تزال أرضيتها المرصوفة سليمة لدرجة كافية ، يرى الانسان انتفاخا ظاهرا فى محور الشارع ومجرى جانبيا لتصريف المياه القذرة ، ويجب علينا أن نضيف أن أحجار الرصف متماثلة فى كل مكان ، وهى كتل سوداء أو رماديا سمكها نحو عشرين سنتيمترا ويتراوح طولها وعرضها بين ٣٠ و ٥٠ سنتيمترا ، ويبدو لى أن هذه الأحجار قد جلبت من أسوان أو من الجبال المجاورة لها ، وهى من نفس نوع الأحجار التى تكسو جانبا من الهرم الثالث بالجيزة ، وهى متماسكة جداً وصلبة للغاية .

الشوارع المقاطعة

كشفت أعمال الحفر عن هذه الشوارع بدورها ، وقد عينت على الخريطة بنفس الطريقة ، وبعد أن مرت بمجموعات نقط الحفر الخاصة بكل منها ، وجد أنها كلها فى خطوط مستقيمة ، متوازية تماما فيما بينها ، ومتعاقدة تماما على الشارع الكانوبى ، مكونة جميعا زاوية قدرها ٢٤٫١٥ درجة من الشمال إلى الغرب ، وممتدة من البحر إلى الترعة ، والإنسان يميز منها أحد عشر شارعا رئيسيا ، يبعد كل منها عن الآخر مسافة ٣٣٠ مترا . وعلى نفس المسافة من الشارع الذى يمر بعمود السوارى حسبت أنى رأيت شارعا رئيسيا هو الثانى عشر بينها ، وهو موضح على الخريطة بخط منقوط لأنه لم يتحدد بالحفر ، والشوارع الخمسة الأخرى التى ترى على الخريطة هى شوارع متوسطة .

والأول منها موجود بين الشارعين الرئيسيين ص١ ، ص٢ على مسافة ١١٠ متراً من الأخير ، والثانى بين الشارعين الرئيسيين المؤشر عليهما بـ ص٣ ، ص٤ على بعد ٥١ مترا تقريبا من الأخير ، والثالث يوجد بين الشارعين ص٥ ، ص٦ على بعد ٩٦ مترا تقريبا من الشارع ص٦ . وأخيرا فإن الشارعين المتوسطين الأخيرين يقعان على جانبى الشارع الذى يمر بعمود السوارى ، ويبعد كل منهما عنه بمسافة ١١٠ متراً .

ولابد أن أجمل الشوارع المقاطعة جميعا كان الشارع المؤشر عليه بـ ص١ ولا تزال أرضيته المرصوفة سليمة جدا ، وله نفس عرض الشارع الكانوبى أى ١٤ مترا . وهو يبعد مسافة ١١٤٩ مترا عن مسلة القيصرون و٢٣١٠ مترا عن عمود السوارى من ناحية الشرق ، وهو يبدأ من رأس

لوخياس حيث كان يوجد قصر ملكى ، ثم يمر قريبا جدا من ميناء السفن الملكية والترسانة ، وينتهى عند ميناء آخر على الترعة ، وهو ميناء اكتشفت رصيفه على بعد ١٣٠ مترا من السور المحيط تجاه قنطرة يرجح أنها قديمة .

وتحف به قناة تحت الأرض من ناحية الشرق ، توصل ماء الترعة إلى القصر وإلى المدينة لكى تزود به الخزانات . وهذا الشارع له خاصية تميزه عن جميع الشوارع الأخرى ، ففضلا عن عرضه المضاعف الذى يماثل عرض الشارع الكانونى ، نجده يتكون من طريقين على نفس المستوى وبنفس العرض مرصوفا رصفا عاديا ، والآخر مغطى بخليط من الجير والتراب وقطع الزلط والأحجار الصغيرة . وبين هذين الطريقين ، وعلى طول الشارع ، توجد مساحة صغيرة يبلغ عرضها نحو متر واحد ، وهى مغطاة بالطمى — الأمر الذى يجعلنى أعتقد أنه كان يوجد ثمة صف من الأشجار يقسم الشارع قسمين أحدهما مرصوف وربما كان مخصصا للعربات ، والآخر لراكبى الخيل .

إن كمية قواعد الأعمدة وقواعد التماثيل وقطع الأعمدة ، وكذا بقايا المبانى العظيمة التى اكتشفت ولا تزال تكتشف الآن بالحفر على جانبى هذا الشارع وعلى امتداده كله تقريبا — تدلنا كلها على غنى هذا الحى وفخامة الدور وجمال الشارع ، وهى تحملنا على الاعتقاد بأن صفين من الأعمدة والأقبية كانا يزينان إذ ذاك هذا الشارع الذى كانت تطل عليه عدة مبان أثرية عامة .

وعن هذا الشارع بالتأكيد أراد أشيليس تاتيوس Achillés Tetius أن يتحدث حين جعل بطل روايته ، يقول — وقد جاء إلى الاسكندرية عن طريق بحيرة مريوط :

« حين دخلت الإسكندرية من باب الشمس بهر عيني جمال هذه المدينة لأنه ابتداء من هذا الباب حتى باب القمر ، يرى الإنسان على الجانبين صفوف الأعمدة ، وفي الوسط ميدان يقطعه شارع طويل[1] » .

إن الميدان المذكور هنا ولا بد أن يكون ميدان هيبتاستاد Heptastade الواقع على الميناء ، وهو ميدان آخر غير الذي كان يقع عليه ملعب الجمباز Gymnase كما يراه القارىء على خريطتنا .

والشوارع الرئيسية الثلاثة المبينة بالأحرف ص٥ ، ص٦ ، ص٧ كانت دون ريب ذات أهمية في نقل البضائع ، وأحدها كان يتجه نحو الامبريوم Emperium والأسواق والمخازن ، والاثنان الآخران كانا يتجهان نحو (الترسانة) والميدان الكبير المطل على الميناء .

---

(١) وصف مصر القديمة الصفحة ٢٠٧ .

طول الاستاد اليونانى

طبقا لشوارع الاسكندرية

إن تحديد ٣٣٠ مترا كمسافة تفصل بين محاور الشوارع الاثنى عشر العرضية الرئيسية بالمدينة لا يمكن أن يكون محض الصدفة ، ومن ثم فلابد من وجود علاقة بين هذه المسافة الثابتة وبين وحدة المقاس الطولى أو الاستاد stade الذى اتخذه اليونانيون حين خططوا شوارع مدينتهم الاسكندرية ، وقد ثبت الآن بمقارنات لا تحصى أن مسافة ٣٣٠ مترا تزيد كثيرا على طول الاستاد الواحد ، وإذن فلابد أنه يدل على ضعف أو ثلاثة أمثال القيمة المترية للاستاد ، والواقع أننا نرى من كتابات ناقد بارع[1] أنه كان يوجد استاد طوله ١٦٦٫٦٧ مترا . ولما كان هذا الرقم لا يختلف عن نصف الـ ٣٣٠ إلا بمتر وثلثى المتر ، فيمكننى أن أقرر عن يقين أن ذلك الطول – ٣٣٠ مترا – الذى يفصل بين كل شارع وآخر من الشوارع الاثنى عشر الرئيسية العرضية التى اكتشفتها فى المدينة ، يساوى أستادين اثنين ، وبناء على ذلك فان قيمة الاستاد تكون ١٦٥ مترا ، ولما كان الاستاد ينقسم إلى ستة بليتر plèthres فان قيمة البليتر تكون ٢٧٫٥ مترا ، ومسافات الشوارع المتوسطة الخمسة والمقاطعة للشوارع الرئيسية المجاورة ، هى أيضا مضاعفات للبليتر يقبل القسمة عليها .

ولما كان الشارع المتوسط الذى يمتد بين الشارعين ص١ ، ص٢ ، يبعد

---

(١) رسالة جوسلان Gosselin عن المقاييس القديمة لليونانيين والشعوب القديمة الأخرى .

بمسافة ١١٠ مترا من الشارع ص٢ ، فنحن فلاحظ أن هذه المسافة تساوى أربعة بليترات بالضبط ، كذلك الشارع المتوسط بين الشارعين ص٤ ، ص٣ نجده يبعد ١٦١ مترا من الشارع ص٤ ، وهى مسافة تساوى ٥ر٥ بليتر أو المسافة التى تفصل الشارع المتوسط بين الشارعين ص٥ ، ص٦ عن هذا الاخير فان طولها ٩٦ مترا أى ثلاث بليترات ونصف . وأخيرا فان مسافة ٤١٠ مترا التى تفصل بين كلا من الشارعين المتوسطين وشارع العامود (الشارع ص٨) تساوى ٤ بليترات بالضبط .

كذلك المسافات التى تفصل الشوارع الطولية فيما بينها ، نراها تكون أعدادا كاملة من البليترات وأجزاء صحيحة من البليتر . كل ذلك يؤيد صحة احتساب ١٦٥ مترا طولا للاستاد stade الذى كان اليونانيون يستعملونه ، على الأقل فى الشرق ، عند تأسيس مدينة الاسكندرية .

وأخيراً فان الطول الذى قدره سترابون وجوزيف وفيلون للشارع الكانوبى ولطريق السبع أستادات Heptastade وللمسافة التى بين رأس شرسونيزس Chersonesus وبين المدينة ، مقدار ٧ و٣٠ و٧٠ من أستادنا ، فانه طبقا لشهادات هؤلاء المؤرخين لا يبقى ثمة شك فى صحة النتيجة التى انتهينا إليها ، وهى أن الاستاد اليونانى يساوى ١٦٥ مترا .

مسح شوارع وأرض المدينة القديمة

ومظهرها الخارجي

إن الأساس الذى اتخذته لوضع الأرقام الدالة على المسح فى كل ما قمت به من عمل ، هو سطح البحر الأبيض المتوسط وقت انخفاض المياه ، وفى هذا البحر لا يكاد الانسان يرى مداً أو جزراً ، ولا يزيد ارتفاع أعلى منسوب المياه على ٦٢ سنتمترا تقريبا فوق المياه المنخفضة ، طبقا للمعلومات التى أمدنى بها المسيو / د ارنوبك D'Arnaun Bey ، ومن ثم فإن الأساس الذى اتخذته ينخفض عن سطح البحر بمقدار ٣١ سنتمترا تقريبا .

إن أرقام مسح الأرضية المرصوفة التى كشفت عنها تقريبا الحفائر فى جميع الشوارع ، قد حددت بعناية فى ١٧٠ نقطة ، وفضلا عن ذلك فانه لما كانت الحفائر قد تمت فى نحو خمسين نقطة أخرى خارج الشوارع ، واكتشفت الأرض الأصلية ، فإن أرقام المسح الخاصة بها قد حددت أيضا ، وهكذا يرتفع عدد أرقام المسح التى حددت على الأرض القديمة للإسكندرية إلى ٢٢٠ رقما . وقد كان هذا كافيا لى لأن أتابع المنحنيات الدالة على تحركات الأرض فى عهد البطالسة ، أو على الأقل فى عهد الرومان ، وقد سجلت المنحنيات على خريطتى بـ ٦ و٨ و١٠ و١٢ و١٦ و٢٠ و٣٠ مترا فوق سطح المياه المنخفضة .

وبناء على ذلك فإن إلقاء نظرة على الخريطة يغنينى عن وصف جميع تحركات الأرض فى كل شارع من شوارع المدينة القديمة ، وهى التى ترتفع أو تنخفض تبعا للأرض ، كما يراه القارىء طبقا لأرقام الانحناءات المبينة .

طبيعة أرض المدينه القديمة

تدل انحناءات المسح على أن أرض المدينة تنقسم إلى قسمين ينفصل بعضهما عن بعض بواد يتراوح عرضه بين ٦٠٠ و ٧٠٠ متر، ويبدأ عند رأس لوخياس ويمتد حتى بحيرة مريوط .

وتقسم السلسلة الصغيرة — أو لسان الأرض الذى يتاخم البحر حتى كانوب — هذا الوادى إلى قسمين : أحدهما ناحية مصر ، والآخر ناحية ليبيا ، وهذا يفسر لنا رأى قدماء أهالى الإسكندرية القائل بأن جزءاً من مدينتهم تابع لمصر والجزء الآخر تابع لليبيا .

والأرضية المرصوفة لجميع الشوارع لا تقع فى الحقيقة فوق الأرض الأصلية مباشرة ، بل إن هذه الأخيرة تنخفض بوجه عام عن الأرضية المرصوفة بمقدار متر أو أكثر ، وهى فى الوادى الصغير وما يجاوره تنخفض أكثر من متر ونصف متر وهذا يدل على ما يأتى :

أولا — أن عملية الرصف لم تتم إلا بعد بضعة قرون من تأسيس المدينة ، أى فى عهد الرومان .

ثانيا — أن الجزء الشمالى الشرقى من المدينة قد دمر حتما أثناء بعض الحروب قبل إجراء عملية الرصف ، إذ توجد الأرضية المدمرة تحت الأرض المرصوفة . ثم إن الأرضية المرصوفة فى هذا الوادى ترتفع بمسافة تتراوح

بين خمسة أمتار وستة أمتار فوق مستوى المياه الواطئة للبحر الأبيض المتوسط وينتج عن ذلك أن سطح الوادى لم يكن مرتفعا فوق سطح المياه فى الأزمان الأولى إلا بنحو ثلاثة أو أربعة أمتار .

إن وجود هذا الوادى الفريد بالمدينة ، وقلة عمقه ، وموقعه الخاص ، والشكل العام للإسكندرية القديمة — كل ذلك يدلنا دلالة قاطعة على أن هذا الوادى نفسه هو الذى اعتبره هيرتيس Hirtius مستنقعا حين قال :

« إن قيصر فى تقدمه باستحكاماته لعزل بقية المدينة ، قد استخدم ذلك الجزء الذى يفصله مستنقع فى وسطه ، وبتقسيم المدينة هكذا إلى قسمين كان يأمل فى البداية أن يتمكن من إصدار الأوامر لقواته المحتشدة ، كما اعتقد أيضا أن ذلك ييسر له إرسال مدد إلى القوات التى تلقى ضغطا عليها ، وأن يتلقى هو نفسه نجدة من الجانب الآخر من المدينة ، ولكنه فوق كل ذلك قد ضمن لنفسه بهذه الطريقة موارد الماء ووفرة علف الخيل ، ولم يكن لديه قبل ذلك سوى قليل من الماء ، فى حين كان يعوزه العلف تماما ، وهكذا استطاع توفيرهما عن طريق هذا المستنقع » .

وإذا فحصنا هذه الفقرة فحصا دقيقا ، وجدنا أن القسم الذى احتله قيصر أثناء الحرب ، كان دون ريب الجزء المتاخم لمرفأ رأس لوخياس حتى البوزيديوم Posidium ، وهنا يقع الجانب الصغير من القصر الذى نزل فيه حين قدم إلى الاسكندرية .

غير أنى قد بعدت عن موضوعى كثيراً . والآن أترك قيصر ومعسكره

مؤقتا ، وسأتحدث عنهما بمزيد من الإفاضة فى ملحق أو فصل إضافى عند ختام هذه الرسالة .

ولم يحدد الإسكندر الأسوار المحيطة بالاسكندرية ، بذلك الوادى الذى نتحدث عنه والذى يبدو لأول وهلة كأنه الحد الطبيعى للمدينة ، إن البطل المقدونى ، بوحى من العبقرية العسكرية لعصره ، لم يشأ أن يترك خارج الأسوار المحيطة قسما تبلغ مساحته نصف الجزء الآخر من المدينة ، فضلا عن أنه يكاد يلتصق به . ولما كان مستوى الأرض فى ذلك القسم هو نفس مستوى بقية أرض المدينة ، فإنه كان يضر الدفاع عن ذلك المكان أكثر مما يفيده ، ولا سيما أن هذا المكان يعيبه الانخفاض الشديد .

وقد فعل الاسكندر ما هو أفضل : فقد أقام أسواره المحيطة على الخط الذى عينته له الطبيعة سلفا ، وأنشأ شوارع المدينة تبعا للأخاديد التى رسمها له زفير Zephir برياحه الشمالية السنوية التى يؤدى تأثيرها الطيب إلى طول الحياة ، كما كان أهالى الإسكندرية يعتقدون بوجه عام .

الفصل الثاني

القنوات الجوفية والأحواض وجزيرة فاروس

وبرج المنارة والهيبتاستاد والمواني والقصور الملكية

الفصل الثانى

القنوات السفلية – الخزانات – جزيرة فاروس – برج المنار – طريق الهيبتاستاد – الموانىء — القصور الملكية – المعابد – المبانى .. الخ .. الخ ..

القنوات السفلية :

لا تزال توجد اليوم خمس قنوات تحت الأرض تحمل ماء الترعة إلى المدينة وضواحيها ، والقناة الأولى امتداد للترعة القديمة حتى الميناء الغربى ، أما الثانية فتبدأ من الترعة على امتداد الشارع المقاطع ص ٨ الذى يمر بالعمود والقناة الثالثة تستمد ماءها من الترعة على بعد نحو أربعين مترا فوق امتداد الشارع المقاطع ص ٥ بينما تتصل الرابعة بالترعة على ارتفاع ١٢٠ مترا من نقطة التقاء الترعة والشارع العريض ص ١ أما القناة الخامسة فتمتد خارج الاسكندرية مقاطعة لاليوزيس Eleusis وتتصل بالترعة فى نقطة تبعد بمسافة ١٣٠٠ متر من الباب الكانوبى و ٢٣٥٠ مترا من ضريح سيدى جابر .

ولكل من القنوات الثلاث الوسطى فروع لا عدد لها فى داخل المدينة ، وهى تمتد على طول الشوارع كلها ، وكانت تمد الخزانات بالماء ، غير أن الزمن والإهمال ويد الانسان المخربة قد عجلت باختفاء جزء كبير من هذه الفروع ، والفروع الرئيسية نفسها قد طمرت تماما فى نواح كثيرة ، وحلت بعض أجزاء الفروع الثانوية محل الأجزاء التى اندثرت لكى تقوم من جديد بتوصيل المياه مباشرة إلى الأجزاء الباقية من القنوات الرئيسية . ولا بد أن هذه القنوات ذاتها كانت فى الأصل تمتد على جوانب الشوارع التى تعتبر ممتلكات عامة ، وهذا أمر له أهميته القصوى إذ يتيح إصلاح تلك القنوات بسهولة عند الحاجة ،

على أن القارىء يرى الدليل على ذلك فى القناة الرابعة من القنوات السفلية التى تتبع الشارع الطولى الكبير ص ١ بامتداده كله ، بالرغم من أنه مسدود وبطل استعمال الجزء الأخير منه ابتداء من التقائه بالشارع الكانوبى وحتى رأس لوخياس . ولكن حين تصل القناة السفلية إلى هذا الشارع الأخير نراها تتصل بقناة سفلية أخرى تمتد على طول الشارع الكانوبى بأكمله ، وتخرج عن يمينها ويسارها فروع عديدة ، ومن بين هذه الفروع يميز الانسان الفرع الذى يسير مباشرة إلى الميناء الصغير الخاص بالملوك وإلى (ترسانته) التى تقع أسفل رأس لوخياس ، كل ذلك مع متابعة الشارع المتوسط الذى يبعد ٨ بليترات أو ٢٢٠ مترا عن الشارع العريض ص ١ .

والقناة الثالثة التى تحت الأرض تختلف عن القنوات السابقة ، فهى تتكون حاليا من قسمين : القسم الأول ، من ناحية الترعة ، عبارة عن خط متعرج غير منتظم ، والقسم الآخر يتبع الشارع المتوسط الواقع بين الشارعين الرئيسيين ص ٥ ، ص ٦ . ولابد أن القسم الأول يسلك الآن طريقا غير الذى حدد له أصلا ، وذلك لمروره خلال أملاك خاصة مختلفة كما يرى القارىء ، بدلا من أن يمر بشوارع من الأملاك العامة ، وإذن فإن هذا القسم ليس إلا اجتماع عدة فروع صغيرة معا كانت ستحل محل الأجزاء الرئيسية من القناة السفلية .

وأيا كان الأمر فإن مياه هذه القناة تمتزج بمياه القناة الرابعة فى الشارع الكانوبى بالقرب من كنيسة القديس أثناسيوس ، بحيث تصبح القناتان ابتداء من هذا المكان قناة واحدة . أما القناة السفلية الثانية فأكثر انتظاما : فهى تستمد ماءها من الترعة ، بجانب القنطرة الثانية ، على امتداد الشارع ص ٨

من العمود ، وتسير فى خط مستقيم ، ثم تنحنى حتى الشارع المتوسط الذى يقع بين الشارعين ص ٧ ، ص ٨ وتتبع هذا الشارع المتوسط بمسافة طولها ٤٠٠ متر ثم تغادره بانقسام صغير لكى تتبع الشارع ص٨ ابتداء من السرابيوم Serapeum حتى إذا اقتربت من الميدان الكبير تفرعت فرعين: أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار، والفرع الأيمن يمزج ماءه بالماء الذى تحمله القناة المشتركة من القناتين الرابعة والثالثة ، مع متابعة الشارع الكانوبى .

وهكذا فإن هذه المصادر المائية الثلاثة تجرى مجتمعة فى قناة سفلية تقطع الميدان الكبير فى خط مستقيم ، وتتجه نحو جزيرة فاروس ، مكونة زاوية مقدارها ٤٥ درجة تقريبا من الشمال إلى الغرب ، وهذه القناة نفسها هى التى بلاشك كانت إذ ذاك تحمل الماء العذب إلى جزيرة فاروس متبعة طريق الهيبتاستاد .

ولا تزود القنوات السفلية خزانات المدينة كلها مباشرة بواسطة فروعها الصغيرة ، إذ توجد خزانات كثيرة منعزلة تماما ، وهى تملأ بواسطة آلات مقامة على سواق أو على آبار كبيرة تستمد الماء من أقرب فروع القنوات السفلية إليها ونستطيع أن نحصر فى الاسكندرية حاليا سبعمائة خزان ، كثير منها يتكون من طابقين ، وهى مدينة فوق أعمدة من الجرانيت الأحمر وهناك خزانات مكونة من ثلاثة طوابق أو أربعة ، ولكنها توجد بالطبع فى الأجزاء العالية من المدينة .

ويتطلب وصف جميع هذه الخزانات العجيبة رسالة قائمة بذاتها ، وأنا أحيل قرائى إلى بعض تفاصيل وردت فى المؤلف الكبير الذى وضعته الحملة الفرنسية عن مصر ، مقتصرا هنا على الشهادة بصحة ما قاله هيرتيس Hirtius وأضيف إليه أن مدينة الاسكندرية مقامة فوق مدينة أخرى من الخزانات ، شوارعها هى القنوات التى تمتد تحت الأرض .

جزيرة فاروس

أصبحت جزيرة فاروس الآن جزءاً من الأسكندرية الحديثة ولكنها كانت فيما مضى منفصلة تماما عن أرض القارة الإفريقية وعن مكان مدينة الإسكندرية القديمة، أما طولها المواجه للشاطىء ، ابتداء من الميناء الشرقى حتى طرفها من ناحية الغرب حيث أقيم المنار الحديث فى عهد محمد على بمعرفة مواطننا البارع المهندس مظهر باشا ـ فيبلغ نحو ٢٦٠٠ متر . بينما يتراوح عرضها بين ٤٠٠ و ٥٠٠ متر .

وعند طرف الجزيرة من ناحية الشرق توجد صخرة طولها ٢٣٠ متراً وعرضها مائتا متر وفوقها شيد منار الاسكندرية القديم ، والمسافة بين وسط هذه الصخرة وبين المنار الحديث ٣٠٦٠ متراً ، وهذه الصخرة كانت محاطة بالماء من جميع نواحيها كما يقول سترابون ، غير أن الطريق الذى يصلها الآن بالأرض كان له حتما أصل قديم .

أما الجزيرة الصغيرة التى ترى الآن جهة الشمال والتى تسمى (عاداه) فيبدو أنها لم تكن فى الماضى سوى خليج صغير بالجزيرة .

وأرض جزيرة فاروس لها شكل الساق : فهناك ثلاثة تلال عالية يتدرج ارتفاعها من عشرة أمتار إلى أحد عشر مترا تكون الكعب وبطن الساق والركبة ، ثم تنحدر منخفضة بالقرب من سيدى الموازينى والمدرسة الحربية ورأس التين .

والأسسات المنخفضة والصخور التى يراها الإنسان على امتداد جزيرة فاروس بين صخرة المنار القديم ورأس لوخياس من جهة ، وبين الطرف الغربى

ورأس شرسونيزس Chersonesus وبين ولى الله العجمى من جهـة أخرى . هذه الأساسات والصخور تدل على أن الجزيرة كانت جزءاً من أرض القارة ثم انفصل فى زمن قـديم غير معروف ، فقد تحدث عنها هومير فى الأوديسية Odyssée قبل أكثر من ألف سنة من ميلاد المسيـح ، وذلك حين امتدح ما لمينائها من كمال وقال :

« هناك [١] يوجد مينـاء مأمون حيث تبحر كل سفينة إلى وسط البحار بمجرد أن تزود بالماء » ومسافة (يوم ملاحة) [٢] ، التى قدرها هومير بين الشاطىء المصرى ، وجزيرة فاروس تبدو لى غير مبالغ فيها ، لأن المسافة بين مصب الفرع الكانوبى للنيـل ومدخل المينـاء القديم من ناحية شرسونيزس Chersonesus تبلغ نحو أربعين كيلوا مترا ، وهى ملاحة أكثر من نصف يوم .

---

(١) الأوديسية الجزء الرابع كما ذكر سترابون (فى الترجمة الفرنسية)

(٢) أنظر مذكرة جوسلان Gosselin عن سترابون الفصل الاول — الصفحة ٦١

برج المنار

نحن نسلم حتى الآن بأن مكان المنار الجديد هو بالتأكيد (برج الزفر) حيث يوجد حصن قايد بك الواقع عند الطرف الشمالى لجزيرة فاروس ، والواقع أن شهادة سترابون ويوليوس قيصر لا تترك أى شك فى هذا الموضوع .

فأولا : يقول لنا سترابون :

«إن الطرف (الشرقى) للجزيرة (١) يتكون من صخرة محاطة بالماء من جميع الجوانب ، ويعلوها برج من عدة طبقات شيد بشكل بديع من رخام أبيض ؛ ويحمل نفس اسم الجزيرة (٢) . وقد أقامه المهندس سوستراتوس Sostrate (من جزيرة كنيدوس) ، محسوب الملوك ، تحية للملاحين كما تقول النقوش المحفورة عليه .

والواقع أنه على شاطىء منخفض من كل جانب ، مجرد من الموانى ، حزين بالصخور ، كان لا بد أن توضع علامة مرتفعة حتى لا يغيب مدخل الميناء عن أعين الملاحين القادمين من أعالى البحار » .

ثم يستطرد سترابون قائلا : « والمدخل الغربى أيضا ليس سهل المرتقى ومع هذا فهو لا يتطلب الكثير من الحيطة ، وهو يوصل إلى ميناء آخر يسمى إينوست ، وفى داخله مرفأ مجوف كبطن الكف ومغلق ، أما الميناء الذى

---

(١) سترابون — ترجمة لترون الجزء ٥ — الصفحة ٣٢٩ .

(٢) اسم المنار بالفرنسية Le Phare ويحرفه العامة إلى (الفنار) وكلمة (فار) الفرنسية مشتقة من كلمة (فاروس) اسم الجزيرة (المترجم).

يميزه برج المنار فهو الميناء الكبير ، والميناءان الآخران ملاصقان له عند طرفيهما ولا يفصلهما عنه سوى الطريق المسمى هيبتا سناد» .

ويرى القارىء من هذه الفقرة من كتاب سترابون أن موضع الفنار قد تحدد بصفة قاطعة فوق صخرة حصن قايد بك ، فى الطرف الشمالى الشرقى لجزيرة فاروس .

وثانيا: نحن نقرأ فى تعليقات يوليوس قيصر ما يلى :

« يضيق مدخل الميناء[1] إلى درجة أن أية سفينة لا تستطيع أن تلجه برغم المسيطرين على المنار . وقد خاف قيصر أن يستولى عليه العدو فأسرع بالاستيلاء عليه رغم انشغاله فى جهات أخرى وأنزل به قواته واحتله ووضع به حامية ، وبذا صار فى موقف يضمن له تماما وصول المواد الغذائية والمدد عن طريق البحر ، وقد بعث أيضا إلى جميع البلدان المجاورة يطلب إرسال تلك المواد » .

وهذه الفقرة لا يكون لها معنى يتفق مع الأماكن والظروف ، لو أن قيصر لم يكن يقصد مدخل الميناء الشرقى ، ولو أن المنار لم يكن واقعا عند الطرف الشمالى الشرقى من الجزيرة فى الجهة التى حددتها تلك الفقرة التى كتبها سترابون ، عند حصن قايد بك . لأنه لو كان المنار مقاما على صخرة عند الطرف الغربى للجزيرة على مقربة من مكان المنار الجديد ، لما شعر قيصر بأى قلق ، ولكان من المحال على سادة المنار أن يحولوا بأى شكل دون وصول السفن إلى الشاطىء ، وذلك لأن الميناء الغربى له ثلاثة مداخل فى مسافة

(١) تعليقات قيصر — الحرب الاهلية — الكتاب الثالث — طبعة ١٨٠٦ .

تزيد على ثمانية كيلومترات طولا ، والمدخلان الرئيسيان منها يقع أحدهما فى الوسط ، ويقع الآخر قريبا جدا من أرض القارة .

وثالثا : إن فقرة مما كتبه مؤرخ عربى من القرن الرابع الهجرى وقد أوردها المقريزى — هذه الفقرة تدلنا على ما يلى فى هذا الصدد :

« بين المنار وبين مدينة الإسكندرية فى الوقت الحاضر مسافة ميل تقريبا وهو المنار على طرف لسان من الأرض محاط بالماء من جانبيه ومشيد على مدخل ميناء الإسكندرية ، غير أنه ليس الميناء القديم حيث كانت السفن لا ترسو عليه لبعده عن المساكن [1] » .

وهذه الفقرة وإن تكن غامضة قليلا فإنها مع ذلك تؤيد لنا شهادة سترابون ويوليوس قيصر بأن المنار كان مقاما عند الطرف الشمالى الشرقى من الميناء الشرقى المعروف بالميناء الجديد .

أما عن مقاييس هذا البناء فنحن لا نعرف شيئا مؤكدا ، غير أن المقريزى قد أورد فقرة نقلا عن المسعودى يقول فيها عن مقاييس المنار :

« إن ارتفاع هذا المنار فى الوقت الحاضر يقرب من مائتين وثلاثين ذراعا وكان فى الزمان القديم نحو أربعمائة ذراع ، وقد نال منه الزمن والزلازل والأمطار . . . ولبنائه ثلاثة أشكال : فهو مربع إلى أقل قليلا من نصفه وأكثر قليلا من ثلثه : والبناء هنا من حجر أبيض ، وهو ما يقرب من مائة ذراع وعشرة أذرع ، وهو بعد ذلك ذو ثمانية أضلاع ومبنى من الحجارة

---

(١) المقريزى — طبعة بولاق — الجزء ٢ — الصفحة ١٥٧

والمصيص على امتداد أكثر قليلا من ستين ذراعا ، وهناك شرفة تمكن من الطواف حوله ، وأخيرا فإن جزءه الأعلى مستدير » .

ويستطرد المقريزى قائلا :

« لقد قال كاتب إنه قاسه ووجده مائتين وثلاثا وثلاثين ذراعا (لارتفاع برج المنار) ، وهو من ثلاث طبقات : الطبقة الأولى مربعة وارتفاعها مائة وإحدى وعشرون ذراعا ونصف، والطبقة الثانية ذات ثمانية أضلاع وارتفاعها إحدى وثمانون ذراعا ونصف ، والطبقة الثالثة مستديرة وارتفاعها إحدى وثلاثون ذراعا ونصف .

ويقول ابن جبير فى « رحلته » إن منار الإسكندرية « يشاهد على بعد يزيد على سبعين ميلا ، وأنه قاس بنفسه أحد جوانبه الأربعة فى سنة ٥٧٨ هجرية فوجده يزيد على خمسين ذراعا وأن الأرتفاع يربو على مائة وخمسين قصبة (brasses) » .

ويقول فلافيوس جوزيف عن برج فازائيل Phazael بالقدس الذى كان ارتفاعه ٩٠ ذراعا وطول جانب مربع قاعدته ٤٠ ذراعا ، مايلى :

« إن شكله [1] يشبه شكل منار الاسكندرية حيث توجد شعلة دائمة الإضاءة لتكون مصباحا للملاحين يمنعهم من السير وسط الصخور والتعرض بذلك لخطر الغرق ، غير أن هذا أوسع حجما من ذاك » .

ثم يقول فى مكان آخر :

---

(١) حروب اليهود مع الرومان — ترجمة فرنسية — سنة ١٨٥٨ — الجزء ٥ الفصل ١٣ — الصفحة ٧٢٠

« إن وضوح شعلة المنار تمتد إلى مسافة ثلثمائة ستاد [1] »

وأخيراً فإن نفس هذا الكاتب يقول فى الجزء ١٦ الفصل ٩ عن الآثار اليهودية عند الكلام عن الأبراج التى أقامها هيرود Herode فى القدس ، «إن برج فازائيل لايقل شأنا عن برج فاروس ».

ويتضح من هذه الفقرات التى كتبها شهود عيان أن عرض برج المنار كان يتراوح بين ٤٠و٥٠ ذراعا أو بليترا ونصفا بالمقياس اليونانى القديم. أما الارتفاع فانه طبقا لتقدير المسعودى والكاتب الآخر وفلافيوس جوزيف كان يتراوح بين ١٠٠و١٢٠ مترا أو أربعة بليترات تقريبا . لأن الـ ٣٠٠ ستاد التى كانت ترى على مسافتها شعلة المنار — طبقا لما كتبه جوزيف — يمكن أن تكون قد قربت إلى أرقام مستديرة مئوية ،والمسافة الحقيقية ربما كانت بين مائتين وثلثمائة ستاد أى نحو ٤٠ كيلومترا . ويدلنا الحساب على أن ارتفاع المبنى اللازم لكى يراه القادم من البحر على هذا البعد لا بد أنه كان أكثر قليلا من ١١٠ مترا ، وعلى ذلك فان نتيجة هذه الشهادة تتفق مع تقدير المؤلفين العرب الذين أوردت أقوالهم فيما سلف .

وأضيف هنا أن شعلة المنار الحديث تشاهد فى البحر على بعد ٣٤ كيلومترا بينما لايزيد ارتفاع هذا المنار على ٦٥ مترا تقريبا عن سطح المياه .

---

(١) نفس الكتاب — الجزء الرابع — الفصل ٣٧ — الصفحة ٧٢٠

الهيبتاستاد (١) Heptastade

الهيبتاستاد هو الطريق الذى كان يربط فى الماضى مدينة الاسكندرية بجزيرة فاروس . وقد قال عنه سترابون (٢) : « إنه بمثابة قنطرة تتجه نحو الطرف الغربى من الجزيرة وتصله بالقارة ، ولم تعمل به سوى فتحتين للدخول إلى ميناء إينوستوس Eunoste ، وقد أقيمت على كل منهما قنطرة ، وهذا الطريق لم يكن يصل القارة بالجزيرة فحسب ، بل كان أيضا يجلب الماء إلى الجزيرة حين كانت مأهولة بالناس» .

وكان هذا الطريق — كما يدل عليه اسمه — يبلغ سبعة ستاد طولا ، ويقدر له يوليوس قيصر (٣) تسعمائة خطوة بالأرقام الدائرة بينما يقدر هيرتيس

(١) أردت أن أجد عن طريق الحفر نقطتين عن طريق هيبتاستاد ، وذلك بأن حفرت عموديا حفرتين بالمدينة الحديثة ومع متابعة الشوارع التى تمتد من ميناء إلى آخر ، غير أنى اضطررت إلى العدول فورا عن هذه المحاولة ، وكان من المستحيل على منذ البداية أن أتابع البحوث التى أردت القيام بها ، والواقع أن ضيق الشوارع وقلة عمق أساسات المنازل وانبثاق الماء على عمق يقل عن متر واحد تحت الأرض ، ومعارضة مستأجرى الدكاكين والمنازل التى كانت الحفائر ستجرى عندها ... الخ كل ذلك كان عوائق لا يمكن التغلب عليها واضطرتنى إلى ترك هذه الأعمال ، وعندئذ كان لزاما على أن أعمد إلى وسيلة أخرى للبحث لكى أصل إلى تحديد مكان الهيبتاستاد .

(٢) سترابون — ترجمة ليترون — الجزء ٥ — الصفحة ٣٣٣

(٣) انظر نهاية الحرب الاهلية — ترجمة فرنسية — طبعة ١٨٠٦ — الجزء ٢ ص ٢٨٥

Hirtius ثمانمائة خطوة[1] للمسافة التى بين الجزيرة والمدينة ، وهذه هى المعلومات الوحيدة الخاصة بالهبتاستاد والتى تستمد من المصادر القديمة ، والصادرة عن شهود عيان ، وهى معلومات كافية لأن تساعدنا على معرفة مكان هذا الطريق على خريطتنا الخاصة بالاسكندرية القديمة ، والواقع أننا قد رأينا عند بداية هذا الفصل أن مياه القنوات الرئيسية الثلاث التى تجرى تحت الأرض تلتقى كلها فى النهاية فى قناة واحدة ، عابرة الميدان الكبير فى خط مستقيم ، ومتجهة تقريبا نحو الطرف الغربى لجانب الجزيرة الأقرب من المدينة على محاذاة شوارعها الطولية ، والزاوية التى يكونها هذا الاتجاه مع خط الزوال هى ٤٥ درجة من الشمال إلى الغرب .

إن مقارنة هذه الحقيقة بالفقرة التى كتبها سترابون تقودنا إلى معرفة اتجاه الهبتاستاد لأن سترابون حين قال إن الهيبتاستاد يتجه نحو الطرف الغربى للجزيرة ما كان ليقصد سوى الطرف الغربى من ناحية النقطتين Z، X المبينتين على الخريطة وهو الطرف الأقرب إلى المدينة ، إذ الطبيعى أن يتجه هذا الطريق إلى الزاوية X أو الزاوية Z ، وبينهما فقط يجب أن تكون نقطة اتصال الجزيرة بالشاطىء . وإلى القارىء ، فضلا عن ذلك ، عدة حقائق تشهد بصحة النتيجة التى انتهينا إليها :

أولا — عند حفر ساقية الحمامات المسماة « صفر باشا » فى جزيرة فاروس ، اكتشفت قناة صغيرة تحت الأرض توصل الماء العذب إلى خزان

---

[1] راجع تعليقات قيصر بقلم هيرتيس Hirtius حرب الاسكندرية — طبعة ١٨٠٦ الجزء ٢ الصفحة ٣٠٧ .

تحتل تلك الساقية مكانه فى الوقت الحاضر[1] . وهذه النقطة محددة على خريطتى إلى جوار الزاوية الشرقية لحصن الهيبتاستاد ، ويصل إليها الماء من ناحية الشرق عبر قناة سفلية فوقها بئر خربة[2] مؤشر عليها بحرف Y فى الخريطة . وهذه البئر تبعد ١٦٤٠ مترا عن مسلة القيصرون و٢٢٥٢ مترا عن عمود السوارى . وا كتشف أيضا مكان قناة أخرى مؤشر عليها بالحرف Y منذ عشرين سنة بمعرفة بنائين كانوا يحفرون بئرا فى بيت خاص ، وقد انهار القاع وسقط اثنان من أولئك البنائين فى القناة السفلية ، وطبقا للمعلومات التى أدلى بها إلى شاهدا العيان هذان ، اتضح أن تلك القناة تأتى من ناحية الجنوب حيث توجد البئر الخربة Y ، ويتضح من هذين الاكتشافين أن ثمة قناة رئيسية كانت تمتد بين البئر الخربة Y وطرف القناة التى تقع تحت أرض الميدان الكبير والتى كانت — ولا تزال — تجتمع فيها مياه قنوات المدينة السفلية . ولا يمكن أن تكون هذه القناة الرئيسية سوى استمرار للقناة الأخيرة فى خط مستقيم ، وخصوصا أن البئر الخربة Y موجودة على نفس الخط ، وهذه القناة نفسها هى بلا ريب التى استخدمت لتوصيل الماء إلى فرعى القناة السفلية اللذين اكتشفا فى جزيرة فاروس ، ونحن نعرف أن طريق الهيبتاستاد كان يضم هذه القناة ، وأنهما إذن ليسا سوى شىء واحد ، وبناء على ذلك فإن استنتاجنا الخاص باتجاه الهيبتاستاد وتحديد موضعه قد تأيد تماما .

ثانيا — إن طول الهيبتاستاد — كما حددناه — هو ١٢٣٥ مترا ، بقياسه

---

(١) حصلت على هذه المعلومات من صفر باشا نفسه وهو شخصية محترمة جديرة بكل ثقة .

(٢) هذه البئر مؤشر عليها فى خريطة الخزانات المودعة بمكتب التحصينات ولم يذكر اسم واسم الخريطة ولكنى أظن أنها وضعت بمعرفة جاليس بك Gallice Bey .

فيما بين البئر الأخيرة الواقعة على جانب الميدان الكبير ، والبئر الخربة Y الواقعة عند طرف جزيرة فاروس ، والرقم ١٢٣٥ مترا ولا يزيد على سبعة ستاد يونانية إلا بثمانين مترا ، أى بأقل قليلا من نصف ستاد . ولا يقل عن التسعمائة خطوة التى ذكرها يوليوس قيصر عن طول الهيبتاستاد إلا بنحو ٩٦ مترا . وأخيرا فإنه لا يزيد على الثمانمائة خطوة التى ذكرها هيرتيس Hirtius إلا بمقدار ٥١ مترا . وهذا التقارب الذى يرى بين التقديرات القديمة والمقياس المتخذ على خريطتنا يكفى فى مثل هذا الموضوع لتأييد موقع الهيبتاستاد كما حددناه ، وهو يدل فى الوقت نفسه على أن تقدير هيرتيس ويوليوس قيصر واليونانيين القدماء بالاسكندرية ، لم تكن إلا بأرقام مستديرة .

ثالثاً — وأخيرا هناك برهان ثالث يؤكد موقع الهيبتاستاد كما حددناه على خريطتنا ، وهو وجود ما يشبه تقوس الظهر ، وقد اكتشف بواسطة المسح فى نفس المكان الذى يحتله الهيبتاستاد فى المدينة الآن ، وهذا التقوس أو البروز الطويل يميز طريق الهيبتاستاد على طوله ، غير أنه ظاهر جدا على امتداد ثلث هذا الطريق ابتداء من القارة ، وهو يحاذى تقريبا الشارع المسمى بالميدان والذى يبعد عنه نحو الغرب بنحو مائة خطوة . ولما كان طريق الهيبتاستاد قد زاد عرضه من الجانبين بالأنقاض التى ألقاها الناس تباعا لتكوين أرض جديدة أقيمت فوقها المدينة الحديثة ، فإن من الطبيعى جدا أن يحتفظ الطريق الرئيسى بارتفاع أعلى من ارتفاع الأرض التى تكونت .

أما عن الفتحتين اللتين قال سترابون إنهما عملتا فى طريق الهيبتاستاد لإيجاد مدخل إلى ميناء اينوستوس فلا يمكن أن يكون مكانهما إلا عند طرفه

الطريق ، إحداهما قرب المدينة ، والأخرى قرب الجزيرة ، طبقا لما ذكره هيرتيس عن المعركة التى خاضها قيصر على الهبتاستاد ، وهاتان الفتحتان أو القنطرتان طبقا لما ذكره نفس الكاتب[1] كان يحرسهما حصنان قائمان على مقربة من طرفى الهبتاستاد ، أحدهما فوق القارة والآخر فى الجزيرة ، ولا بد أن أولهما كان يشغل جزءا من التل الضخم المسمى بكوم الناضورة والذى تكون مع مضى الزمن من أنقاض الأحياء الوطنية وزاد حجمه بأنقاض المدينة الحديثة ، والحصن الآخر كان يشغل مكانا مرتفعا صغيرا يحتويه فى الوقت الحاضر جزء من حمامات صفر باشا .

(1) Hirtius: Yuerre D'Alexandrie, éd. de 1806, Tome 2. P. 307.

الميناء الكبير Magnus Portus وداخليته

كان الميناء الأول فى مدينة الاسكندرية القديمة هو الميناء الشرقى المعروف الآن عموما باسم الميناء الجديد ، وكان فى العصور القديمة يسمى بالميناء الكبير Magnus Portus ، وكان مدخله ضيقا جداً تتخلله الصخور وكان بعض هذه الصخور يظهر فوق مستوى الماء ، وبعضها الآخر على مستواه تماما ، بينما اختفى عدد كبير منها تحت الأمواج ، وقد شيدت بعض الدور الملكية داخل الميناء فوق جزر طبيعية أو صناعية ، وكان شاطىء هـذا الميناء ، ابتداء من رأس لوخياس الذى يراه الداخل إلى اليسار ، مزينا بقصور ملكية ودور عامة حتى الهبتاستاد .

وللبحث عن مكان هذه الصخور وآثار المبانى القديمة التى كانت داخل الميناء ، كان لابد من القيام بسبر غور هذا الميناء كله أو (حفره) بتعبير آخر ، ووضع خريطة خاصة أخرى بمقياس كبير . وقد عملت قطاعات لقاع الميناء بأربع خطوط خيالية تمتد بمحاذاة سطح المياه وتقع على مسافات ١٠ و ٨ و ٦ و ٤ أمتار تحت هذا السطح — وهى تبين لنا على الخريطة حركة القاع وحالة الصخور الراهنة ، أما الحالة القديمة ، فلابد لمعرفتها من إجراء بعض المقارنات ، والواقع أننا نقرأ فى كتاب فلافيوس جوزيف ما يلى :

« إن مدخل ميناء الاسكندرية [١] وعر جداً بالنسبة للسفن ، حتى فى وقت هدوء البحر ، لأن فتحته ضيقة جداً ، ولأن الصخور المختفية تحت الماء

---

(١) فلافيوس جوزيف — حروب اليهود مع الرومان — الجزء — الصفحة ٣٧

تضطر السفن إلى أن تحيد عن طريقها المستقيم ، ومن جهة اليسار يوجد سد قوى كأنه ذراع تعانق هذا الميناء ، بينما تعانقه من جهه اليمين جزيرة فاروس التى أقيم بها برج عظيم يحتوى على شعلة دائمة الإضاءة ، ويرى ضوؤها على بعد ثلثمائة ستاد ، وهى تهدى الملاحين إلى الطريق الذى يجب أن يسلكوه ، ولحماية هذه الجزيرة من هيجان البحر أحيطت بأرصفة لها أسوار سميكة جدا ، ولكن حينما يشتد هياج البحر من هذه المقاومة التى يلقاها ، فإن أمواجه التى يرتفع بعضها فوق بعض تزيد من ضيق مدخل الميناء وتجعله أشد خطرا ، وبعد أن تتغلب السفن التى تصل إلى الميناء على هذه الصعاب ، تصبح فى أمان ، ويبلغ امتداد هذا الميناء ثلاثين ستادا » .

إن هذه الفقرة التى تعطينا فكرة عن الحالة القديمة للميناء ، وامتداده ، والخطر الذى تواجهه السفن عند دخوله ، تدلنا أيضاً على أنه كان هناك سد قوى كالذراع يعانق الميناء من ناحية اليسار عند دخوله . حسنا : لقد اكتشفت جزءا كبيرا من هذا السد على عمق ٣ أو ٤ أمتار تحت الماء ، ويرى مرسوما على خريطتى بادئا من رأس لوخياس وممتداً إلى قرب مدخل الميناء ، ويرى بوضوح تحت الماء وقت هدوء البحر بطول يزيد على ٢٠٠ متر ، وإذن فان شدة هياج الأمواج قد هبطت بالمبانى والصخور التى كانت فى الماضى فوق مستوى البحر إلى عمق ٤ أمتار تحت المياه ، وهذه النتيجة التى انتهيت إليها تبدو مطابقة للحقيقة ، وخصوصا أن جزيرة أنتيرودس Antirrhodus وطريق أنطونيوس الذى كان التيمونيوم عند طرفه ، والذى تحدث عنه سترابون فى فقرة سأوردها فيما بعد — هما الآن متآكلان ، وهابطان على عمق

٣ أو ٤ أمتار تحت سطح المياه . وعلى هذا يجب إضافة ٣ أو ٤ أمتار إلى الارتفاع الحالى للصخور التى تحت ماء الميناء ، لكى نعرف ما إذا كانت تلك الصخور فى الماضي بارزة فوق سطح الماء أو مختفية تحته .

وبهذه الطريقة أدركت أن الصخور التسعة المبينة على خريطتى فى مدخل الميناء ، على امتداد ٦٠٠ متر عرضا و ٩٠٠ متر طولا ، ابتـــــداء من رأس لوخياس ، كانت تظهر قديما فوق الماء ، لأن أطرافها العليا تقع الآن على على عمق ٤ أمتار تحت سطح الماء . ومن ثم يمكن القول بأن الميناء كان مغلقا بهذه الصخور وتلك الذراع التى تحدث عنها جوزيف ، وبناء على ذلك لم يكن يبقى مفتوحا منه سوى ممر عرضه نحو ٦٠٠ متر ابتداء من صخرة المنار ، ومع ذلك لم يكن كل هذا الممر حرا ، لأننا نجد به ـ طبقا لسبر الغور ، وفى وسطه تقريبا ـ صخرة هائلة تقع الآن تحت سطح الماء بنحو سبعة أمتار ؛ ولا بد أن الجزء المختفى منها تحت الماء لم يزد فى الماضى على ثلاثة أمتار . وهذه الصخرة إذن كانت تقسم مدخل الميناء إلى ممرين اثنين : أحدهما ـ ويبلغ عرضه نحو مائة متر ـ كان عند أسفل صخرة المنار ، والآخر ـ ويبلغ عرضه نحو مائتى متر — كان بالجانب الآخر من نفس هذه الصخرة .

وهذا يفسر لنا ما قاله جوزيف بشأن ضيق مدخل الميناء ، والخطر الذى تتعرض له السفن عند دخوله ، والأمن الذى تصبح فيه بعد أن تلجه .

وقد اكتشفت فى داخل الميناء عن طريق سبر الغور والنظر تحت الماء وقت هدوء البحر ما يلى :

أولا — بقايا صخرة تكون مع الرصيف حوضا كبيرا عند أسفل رأس

لوخياس ، وهذا الحوض لا يمكن أن يكون سوى الميناء الذى كان فى الماضى مخصصا لرسو السفن الخاصة بالملوك دون غيرهم .

ثانياً : بقايا صخور جزيرة لها شكل حدوة الحصان ، وتبعد بمسافة تتراوح بين ثلثمائة وأربعمائة متر عن ميناء الملوك ، وبين مائتين وثلثمائة متر عن الرصيف ، وهذه الجزيرة تقع على عمق ثلاثة أمتار أو أربعة تحت الأمواج ، ويبلغ عمق المياه المحيطة بها فى كل مكان تقريبا نحو ستة أمتار أو سبعة . وربما كانت هذه هى جزيرة أنتيرودس Antirrhodus وخصوصا أن هناك بقايا بناء عظيم هو الدار الملكية التى شيدت بالجزيرة طبقا لما قاله سترابون ، وأنها تكون بذراعيها الاثنتين موضع الميناء الصغير الذى تحدث عنه فى فقرة سأوردها فيما بعد .

ثالثا : بروز تحت المياه ، بادئا من القارة ، على بعد ٦٥٠ مترا تقريبا من ميناء الملوك ، وداخلا إلى الميناء كذراع طولها ٢٠٠ متر ، وهو لا يزال ممتدا ولكن فى بناية طولها ٣٠٠ متر فى اتجاه مواز تقريبا للهبتاستاد ، وينتهى بهضبة عريضة مبنية أيضا ، وهذه الهضبة موجودة على مسافة ٥٥٠ مترا من المسلة ، وفى اتجاه الشارع المقاطع R 5 ، وبروز الذراع وطريق الامتداد والهضبة هما على عمق ٢ أو ٣ أو ٤ أمتار ، وهى بلا شك بقايا البوزيديوم Posidium وطريق أنطونيوس والتيمونيوم Timoneum التابع له .

وأخيرا نرى على مستوى الماء ، وعلى بعد نحو مائة متر من المسلة ، وعلى امتداد الشارع الطولى L 3 ، عمودا مغروسا فى الماء بشكل عمودى تقريبا . إن هذا العمود هو بلا ريب من بقايا مبنى القيصرون Césareum . وفى

داخل الميناء وعلى مسافة ٩٥٠ مترا من المسلة و ١١٠٠ متر من صخرة المنار ، ترى على بعد ٧٠٠ متر من الهبتاستاد صخرة صغيرة لم يتحدث عنها أحد من الكتاب القدماء فيما أعرف ، وربما كانت هذه الصخرة بقية رصيف شيد فى زمن حديث نسبيا ، ولغرض لا نعرفه ، كما يرى اثنان آخران من هذا القبيل على مستوى الماء ، يبدأ أحدهما من صخرة المنار ، والآخر من البرج الحديث لأبى العباس .

وإتماما لوصف الميناء ، نضيف أن المحيط الذى كانت السفن تستطيع أن ترسو فيه ، لا يزيد امتداده على خمسة كيلو مترات تقريبا ، هى مسافة قريبة جدا من الثلاثين ستادا التى حددها لها فلافيوس جوزيف فى الفقرة التى نقلناها عنه .

القصور الملكية والمسرح والمباني الأخرى التي على الميناء

إن مسافة الـ ٢٣٠٠ متر التي بين رأس لوخياس والهبتاستاد كانت تشغلها القصور الملكية والمباني البحرية طبقا لما ذكره الكتاب القدماء، ورأس لوخياس نفسه كان يشغله قصر ملكي عرف باسم « القصر الخارجي » . وربما سمي كذلك لوجوده خارج الميناء، والقصر الرئيسي والقصور الأخرى الداخلية لا يمكن أن تكون قد قامت إلا فوق البروز الذي يرى بخريطتنا تجاه جزيرة انتيرودس والتيمونيوم Timoneum بين الشارعين المتقاطعين ص٢ ، ص٥ على الميناء .

يؤيد ذلك تماما الموقع المادي، وبقايا المباني الكبيرة التي اكتشفت هناك، والبقايا التي لاتزال ترى اليوم في البحر في الجزء الذي غطته المياه. ولدينا منها أيضا نقطتان قد حددتا تماما، الأولى طبقا للمعلومات التي تركها لنا بلنيوس والأخرى طبقا لشهادة يوليوس قيصر، فالواقع أن بلنيوس [1] يحدثنا عن مسلتين في القيصرون على ميناء الاسكندرية . وسواء أكان هذا القيصرون قصرا أم معبدا، فإن موقعه قد تحدد إذن بالمسلتين اللتين لاتزال إحداهما قائمة والأخرى مائلة . هذا والقيصرون ـ طبقا لما كتبه سترابون ـ يقع بعد القصور مباشرة، ابتداء من رأس لوخياس . وإذن فإن القصر الرئيسي وكذا القصور الأخرى الداخلية كانت بالتأكيد بين رأس لوخياس المحدد بالمسلة .

---

(١) انظر مذكرات عن سترابون — الجزء ٥ — الصفحة ٣٤٢ .

وفيما يلى نص شهادة يوليوس قيصر : «فى هذا الجزء[1] من المدينة احتل (قيصر) جانبا من القصر الذى سكن فيه عند وصوله ، وكان متصلا بمسرح اتخذه حصنا ، ومنه كان القوم يذهبون إلى الميناء وإلى الترسانة ، وقد زاد من تحصيناته فى الأيام التالية لكى يكون له بمثابة استحكام ، وحتى لا يرغم على القتال » .

إن هذا المسرح الذى اتخذه حصنا ، والذى زاد يوليوس قيصر من تحصيناته لكى يستخدمه كاستحكام ، لا يمكن أن يكون مكانه الطبيعى إلا فوق مرتفع من الأرض ، ولما كان ملحقا بالقصر ، وكانت جميع القصور تقع بين رأس لوخياس وبين المسلة ، فان قمة البروز التى ترى على خريطتنا هى إذن النقطة المعينة بشكل قاطع لمكان المسرح والذى كان بجانبه القصر الذى أقام به يوليوس قيصر عند وصوله إلى الاسكندرية .

وبفحص هذه الفقرة السابقة من يوليوس قيصر فحصا جيداً ، وبمراعاة موقع المسرح - الحصن ، فإن ذلك يؤدى إلى ما يلى :

أولا — أن قصر قيصر ما كان يمكن أن يكون إلا خلف المسرح من ناحية البحر بين الشارعين المقاطعين ص٣ ، ص٤ ، قريبا جدا من معبد نبتون Neptune .

ثانيا — أنه لم تكن ثمة قصور أخرى فى عصر قيصر بين ذلك القصر

---

(١) تعليقات يوليوس قيصر — الحرب الداخلية — الجزء ٢ الصفحة ٢٨٥ .

ورأس لوخياس ، وإلا لما قال قيصر : «كان فى هذا الجزء من المدينة الذى احتله جزء صغير من القصر » . .

أما القيصرون فلا بد أنه أنشىء بعد قدوم يوليوس قيصر إلى الاسكندرية كما يدل عليه اسمه ، ويقال إن كليوباترا هى التى شيدته تخليد الذكرى يوليوس قيصر أو لابنهما قيصرون .

ومن هناك حتى الهبتاستاد يوجد الامبوريوم Emporium أو السوق والأبوستاس Apostases أو المخازن التى كانت تودع فيها السلع التى تباع فى السوق ، وأحواض البحرية ، غير أن هيرتيس يحدثنا فى « حرب الاسكندرية » عن ميدان كبير تجاه الهبتاستاد وفيما يلى ما كتبه عن ذلك :

« ... فيما يتعلق بالأول[1] فإنه لم يكد يبدأ حتى خرجت جميع الجيوش المعادية زرافات من المدينة واصطفت للقتال فى ميدان كبير كان عند رأس استحكامات القنطرة ..» وبعد بضعة أسطر استطرد قائلا : « وهكذا حارب رجالنا من فوق القنطرة والسد وحارب العدو من مكانه عند رأس القنطرة » وبذا فإن وجود هذا الميدان فى المكان المحدد له على خريطتنا لا يعتوره أى شك . وإذا كان سترابون لم يتحدث عنه ، فلعل السبب فى ذلك أنه لم يكن يفكر إلا فى الآثار والمبانى ، أو أن هذا الميدان كان قليل الأهمية عنده ، كما أنه سكت عن ذكر (الترسانة) الصغيرة التى كانت دون شك بجوار الميناء الخاص بالملوك ، والتى أراد

(١) تعليقات قيصر . حرب الاسكندرية . طبعة ١٨٠٦ . الجزء ٢ — الصفحة ٣٠٩ .

فيلون Philon [1] أن يتحدث عنها فى خطبه ضد فلاكوس Flaccus حين يقول :

«لقد جاءوا عن طريق البحيرة بالأسلحة التى استولى عليها فى داخل مصر وأنزلوها فى موانىء النهر ، وكانت العربات ودواب الحمل التى نقلتها صفوفا طويلة يبلغ طولها نحو عشرة ستاد ما بين ما بين موانى النهرو (الترسانة) التى فى (حى القصور) . ذلك لأن أحواض السفن (الترسانات) التى تحدث عنها سترابون كانت بعيدة عن القصور وعلى مسافة عشرة ستادمن القناة الدنيا» .
وأيا كان الأمر فان كل ما ذكره سترابون قد أيدته حفائرى وبحوثى ، وللتأكد من ذلك يكفى أن يفتح القارىء خريطتى ، وأن يستمع إلى سترابون وهو يقول :

«عند دخول الميناء [2] الكبير ، يجد الإنسان على يمينه الجزيرة وبرج المنار ، وعلى يساره توجد الصخور ، ورأس لوخياس الذى يقوم عليه قصر ملكى ، وأمام ذلك من نفس الجانب توجد القصور الداخلية المجاورة لقصر لوخياس والتى تحوى عددا من الحدائق وأماكن اللهو مختلفة البناء ، وفى أسفل يرى ميناء مغلق من صنع الإنسان ، وهو مخصص للملوك ، وإلى الأمام تقع جزيرة صغيرة تسمى أنيترودس Antirrhodus حيث يوجد قصر وميناء صغير ، وهى مسماة هكذا تشبيها لها بجزيرة رودس .

ومن ورائها يقوم المسرح ، ثم يوجد البوزيديوم Posidium الذى يشبه

---

(١) انظر هذا القول فى وصف آثار مصر . الجزء ٥ الصفحة ٣٠٧ .
(٢) سترابون — ترجمة لترون — الجزء ٥ — الصفحة ٣٣١ وما يليه .

ساعداً ممتداً إلى البحر ابتداء مما يسمى بالامبوريوم Emporium ؛ وقد بنى فوقه معبد نبتون Neptune . وقد مد أنطونيوس هذا الساعد حتى وسط الميناء بواسطة طريق وأقام عند طرفه داراً ملكية سماها تيمونيوم Timonium، وهو ما فعله فى آخر الأمر، فإنه حينما تخلى عنه أنصاره الكثيرون بعد هزيمة أكتيوم Actium انسحب إلى الإسكندرية ، وعزم على أن يعيش بقية أيامه عيشة العزلة مثل تيمون [1] » .

« وعلى مسافة من ذلك يوجد السيزاريوم والامبوريوم والابوستات (المخازن) ، ومن ثم حتى الهبتاستاد تمتد أحواض سفن البحرية ، وهذا ما يحتويه الميناء الكبير ، أما ميناء اينوستوس Eunoste فهو على الجانب الآخر من الهبتاستاد ، ووراء هذا الطريق يرى الرائى ميناء من صنع الانسان يسمى كيبوتوس أى الصندوق Cibotos ويحتوى أيضا على أحواض سفن ، وفى أعماق هذا الميناء تصب ترعة صالحة للملاحة وتمتد حتى بحيرة مريوط ، ووراء الترعة لا يوجد سوى جزء صغير من المدينة ، وعندئذ يجد الإنسان ضاحية نكروبوليس حيث يوجد عدد كبير من الحدائق والقبور والمنازل ، وكلها معدة لتحنيط الجثث» .

إن هذه الفقرة الضافية مما كتبه سترابون واضحة جدا ولا تحتاج إلى أى تعليق سوى ختامها فى الواقع :

فأولا — هل كان موقع ميناء الصندوق بعد طريق الهبتاستاد مباشرة كما

---

(١) فيلسوف يونانى من القرن الخامس قبل الميلاد وقد ذهب اسمه فى التاريخ علما على كره الناس والتجهم لهم (المترجم) .

هو مبين على خريطتى ، أم كان على مسافة صغيرة منه كما يزعم بعض كتاب عصريين ؟

إن عبارة « ووراء هذا الطريق » التى كتبها سترابون تحتمل المعنيين كليهما . غير أن هناك فقرة أخرى من نفس المؤلف فى موضع آخر تحدد المعنى الأول بشكل لا يحتمل اللبس ، فقد قال سترابون : «إن ذلك (الميناء) (١) الذى تميزت فتحته ببرج المنار هو الميناء الكبير ، والميناءان الآخران (إينوست والصندوق) يجاورانه عند طرفيهما ولا يفصلهما عنه سوى طريق الهبتاستاد» .

وثانيا — فى الفقرة الثانية : هل الترعة الصالحة للملاحة والممتدة حتى بحيرة مريوط ، والترعة التى لا يوجد وراءها سوى جزء صغير من المدينة ، هما ترعة واحدة تصب فى ميناء الصندوق ؟ أو أنهما ترعتان مختلفتان ، إحداهما تصب فى أعماق ميناء إينوستوس Eunoste ابتداء من الطريق وتمتد حتى بحيرة مريوط ، والأخرى تكون فى هذه الحالة ترعة الاسكندرية المسماة بالنهر ، والتى تصب فى ميناء الصندوق ، فى شكل قناة تحت الأرض ، كما يرى رسمها على خريطتنا ؟ . .

إن الفحص الدقيق للمواقع يجعلنى أميل إلى الرأى الأخير ، مهما يكن المعنى الذى تفسر به الفقرة التى أوردناها فيما سلف ، وأنا أصر على ذلك ، خصوصا أنه كان يوجد فى المكس ، على بر ميناء اينوسوس وعلى بعد ٥ر٥ كيلو مترا من المدينة ، آثار ظاهرة جدا لترعة ملاحية ، كانت بين الخليج وبين بحيرة

---

(١) سترابون — الجزء ٥ — الصفحة ٢٣١ — ترجمة لترون .

مريوط . بل لقد شوهدت على شاطىء البحيرة ، قريبا جدا من نقطة الاتصال بقايا أرصفة كانت بلاشك تكون ميناء الترعة ، وهذه الترعة ، وكذا بقايا الأرصفة ، قد رآها علماء الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ وسجلت على خريطة الإسكندرية التى وضعتها إذ ذاك هذه الهيئة من العلماء ، وقد استخدم جاليس بك Gallis Bey فى عهد محمد على ، هذه الترعة لكى ينشىء خندق خط التحصينات التى تحمى المدينة من الجهة الجنوبية الغربية .

الآثار التابعة للقصور

السوما Soma

كان السوما طبقا لما ذكره سترابون جزءا من قصر الملوك ، وإلى القارىء ما قاله عنه :

« إن المكان المسمى (بالسوما) أى (الجثمان) هو أيضا جزء من القصر نفسه ، وهو مكان محاط بأسوار ، ويضم قبور الملوك وقبرالاسكندر . وقد استحوذ بطليموس بن لاجوس على جثمان هذا الأمير من برديكاس Perdicas الذى نقله من بابل ودفعه طموح طاغ إلى أن يحيد عن طريقه لكى يستولى على مصر ، غير أن جنوده ثاروا عليه وقتلوه بأسنة الحراب ، وذلك حين جاء بطليموس لمنازلته وحاصره فى جزيرة مهجورة ... ونقل بطليموس جثمان الإسكندر إلى الاسكندرية وأفرد له ضريحا بالجهة التى لايزال موجودا بها الآن ، ولكن ليس تابوته الأصلى . لأن التابوت الحالى مصنوع من الزجاج وهو بديل عن التابوت الذهبى الذى وضع فيه بطليموس الجثمان» .

غير أن تاتيوس Tatius — كما نقل عنه جراتين لبير (١) — يحدد موقع هذا السوما نفسه فى وسط المدينة فى حى سماه باسم السوما . واجتماع هاتين الشهادتين معا — بالاضافه إلى طبيعة الأرض — يجعلنا نحدد موقع السوما عند سفح تل كوم الدكة على الشارع الطولى الكبير فى اتجاه الجنوب بين

(١) أشيل تاتيوس : الجزء ٥ أنظر وصف مصر الحديثة الجزء ١٨ صفحة ٤٥٦ .

حفائرى على طول ذلك التل من ناحية الشمال ، وهى مبعثرة على امتداد ١٥
إلى ٢٠ مترا عرضا وأكثر من مائة متر طولا بمحاذاة آخر شارع طولى
وعلى بعد نحو ثلاثين متراً منه ، وقد وجدت أيضاً بعض أعمدة أخرى محطمة
شرق العمود ، على بعد ثلاثين متراً أيضا من الشارع القاطع الذى يلاصق
التل من ناحية الشرق ، كذلك عثرت على سبعة جدران لأساسات موازية
للشارع القاطع عند واجهة قاعدة العمود من ناحية الشرق ، وهى تبعد عن
مركز قاعدة العمود بمقدار ١١ و ١٥ و ٢٢ و ٥٤ و ٧٥ و ٨٨ و ٩٤ مترا
على التوالى . والجدران الثلاثة الأولى لا تزال ظاهرة فوق الأرض ، فى
حين أن الجدران الأربعة الأخرى تقع تحت الأرض على عمق ٣ أو ٤ أو ٥
أمتار ، وقد اكتشفت أيضا خمسة جدران أخرى من ناحية الشمال . أولها
يبعد ٥٤ مترا عن مركز قاعدة العمود ، والأربعة الأخرى تبعد ٦٢ و ٧٩
و٨٣ و ٩٤ مترا عن العمود نفسه ، وسمك كل جدار من هذه الجدران ، وكذا
سمك كل من الجدران السبعة السابقة التى تقع عند الجانب الشرقى يبلغ نحو
مترين تقريبا ، أما على الجانبين الآخرين للتل ، وهما الجانب الغربى والجانب
الجنوبى ، فإن الأرض كانت قد حفرت من قبل ، ونزعت جميع أحجار
الجدران هناك فلم أر سوى بعض آثار لها موازية كلها لشوارع المدينة ،
وأيا كان الأمر ، فإن مجموع هذه الجدران كلها ، يجعلنا نتصور مدى امتداد
المبنى الذى شيد فوقها ، لأنها تشمل محيطا مربعا يبلغ طول كل ضلع من
أضلاعه أكثر من مائة وثمانين مترا ، ويحتل العمود المسمى بعمود السوارى
مركز هـذا المحيط .

إن العدد الأكبر من الأعمدة المحيطة ورؤوسها وقواعدها وأجزاءها

الكاملة التى اكتشفناها وأسلفنا الإشارة إليها ، يدلنا بالتأكيد على أن ذلك المبنى كانت تزينه مداخل مسقوفة وبوابات مقوسة وصفوف هائلة من الأعمدة من ناحية الشمال وناحية الشرق ، إن لم يكن على طول الواجهتين فعلى الأقل فى جزء كبير منهما .

إن عزل مثل هذا المبنى الدينى ، على ما ذكرنا من كبر حجمه وجماله ، فى هذا الجزء الغربى من المدينة داخل الترعة ، لايدع أى شك فى أن هذا الذى اكتشفنا بقاياه هو السرابيوم . وهذا يتمشى مع كون ارتفاع القاعدة السفلى لعمود السوارى ، ومن ثم ارتفاع التل الذى تقوم عليه بقايا المبنى هو بين ١٨ و ١٩ مترا فوق مستوى الأرض الأصلية للمنطقة المجاورة ، وهذا الارتفاع يتفق تماما مع المائة درجة التى ذكرها روفين [1] Ruffin — الذى كان يعيش فى الإسكندرية حوالى النصف الثانى من القرن الرابع — عن ارتفاع التل الذى كان يقوم عليه السرابيوم .

ويبدو أن عمود السوارى كان جزءا من مبنى السرابيوم ، لأن جدار الأساس القريب من ناحية الشرق لا يبعد عن ذلك العمود سوى تسعة أمتار ، وهذا يفسر لنا السكوت عن ذكر هذا العمود من جانب سترابون وأميين مرسلين وغيرهما من الكتاب الذين رأوا السرابيوم قبل سنة ٣٨٠ أو ٣٩٠ ميلادية ، فى العهد الذى حطم فيه تيوفيل Theophile ذلك المعبد ، بعد قرن تقريبا من حكم الامبراطور قلديانوس .

---

(١) انظر وصف مصر القديمة — الجزء ٥ — الصفحة ٣٦٢

ثالثا وأخيرا ـ فإن الكتاب القدامى قد اتفق رأيهم على أن السرابيوم كان يضم مكتبة كبيرة ، ونحن نجد المؤرخين العرب يذكرون أن (عمود الأعمدة) المعروف عند الأوروبيين باسم (عمود بومبى) ، ونحو مائة من الأعمدة الأخرى المحيطة به ، كانت تحمل اسم « دار الحكمة » ومكتبتها التى قيل إن عمرو بن العاص أمر بحرقها ، وإذن فلا بد أن موضع السرابيوم كان فى نفس ذلك المكان .

المتحف

المتحف — كما قال سترابون[1] — « هو جزء من قصر الملوك ، وهو يضم متنزها ومكانا مزودا بالمقاعد (لأجل الاجتماعات) وقاعة كبيرة كان العلماء الذين يعملون في المتحف يتناولون فيها وجبات الطعام معا ؛ وهذه الجماعة كانت لها إيرادات مشتركة ، وكان مديرها كاهنا كان الملوك يعينونه فيما مضى والآن يعينه الامبراطور » .

ويتضح من هذا الذى قاله سترابون ، أن المتحف لم يكن سوى جمعية من العلماء يقومون فى مبنى علم يسمى بالمتحف ، أما المكتبة فلا بد أنها كانت فى المبنى نفسه طبقا لرأى كثير من الكتاب ، وعلى ذلك فقد كانت المكتبة والأكاديمية كلتاهما فى مبنى واحد ، والمعروف أن يوليوس قيصر — فى حرب الاسكندرية — قد أشعل النار فى سفن الاسكندرية التى كانت لا تزال (بالترسانة) وكذا فى السفن التى كانت بالميناء ، لأنه لم يكن لديه من الجنود العدد الكافى لحراسة تلك السفن الكثيرة كما قال هو نفسه ، ويقال إن النيران قد التهمت جانبا من المكتبة طبقا لما ذكره بعض الكتاب القدماء ، وبناء على ذلك فإن المكتبة — مع كونها من القصر — لا بد أنها كانت قريبة من الترسانة .

والمستطيل الموجود منفصلا عن (السوما) بالشارع المقاطع ص ٥ والمحدد بالشارع الكانوبى ، هو الموقع الوحيد الذى يحقق هذين الشرطين : لأنه لا يبعد سوى مائتى متر تقريبا عن الترسانة وثلثمائة متر أو أربعمائة متر عن القصر .

وهناك لوحة من الحجر قيل إنها وجدت فى حديقة دار القنصل العام

---

(١) انظر سترابون ترجمة لتورن الجزء ٥ ص ٣٢٩ .

(لبروسيا) فى نفس الموقع بالضبط ، وقد حفرت عليها مؤلفات كاتب يونانى عاش قبل الإسكندر ، وهذه اللوحة قد تؤيد أيضا أن موضع المكتبة كان فى هذه المنطقة . والعلامة بروجش Brugsch الذى كان فى المدة الأخيرة قنصلا لبروسيا فى القاهرة ، قد أكد لى هذه الشائعة على أنها حقيقة ثابتة . ولرأيه العلمى وزن كبير ، ليس عندى فحسب بل عند كل الدوائر الأثرية العلمية فى أوروبا أيضا .

آثار أخرى فى داخل المدينة

معبد السرابيوم Serapeum

إلى القارىء الفقره التى يتحدث فيها سترابون عن السرابيوم :

« يوجد السرابيوم فى داخل الترعة [1] . كما توجد أماكن مقدسة أخرى شيدت قديما هجرت تقريبا منذ شيدت معابد نيكوبوليس، فهنالك كان المسرح الدائرى والملعب وهناك كانت تمارس الألعاب الرياضية التى تقام أعيادها مرة كل خمس سنوات ، أما الاحتفالات القديمة فقد أهملت » .

أولا — إن هذه الفقرة مضافا إليها فحص الأماكن ، توجب علينا أن نعين موضع السرابيوم فوق التل الطبيعى الصغير ، حيث يقوم العمود المسمى بعمود السوارى . تؤيد ذلك الحفائر التى قمت بها وتلك التى قام بها قبلى الباحثون عن الأحجار . وقد ذكر لى كثير من هؤلاء أنهم عثروا على عدد كبير من تماثيل الكلاب وأبناء آوى والطيور وأشكال أخرى غريبة ، هكذا قالوا بالحرف الواحد . وأنا نفسى قد عثرت تحت الأنقاض على تمثال صقر من الجرانيت وفوق رأسه (التاج المزدوج) . وقد اكتشفت أيضا عظام ثور فى كهف بذلك التل على مسافة ٨٥ مترا شمالى العمود ، ووجود هذا العدد الكبير من الحيوانات المقدسة فى هذه الدائرة يدلنا على أنه كان ثمة معبد فهذا إذن برهان أول .

ثانيا — أن عددا من الأعمدة المحطمة ورؤوسها وجذوعها قد كشفها

---

(١) انظر سترابون ـ ترجمة لترون ـ الجزء ٥ ـ الصفحة ٣٤٣

الشارعين المقاطعين ص٤ ، ص٥ . فى مكان التل الكبير المسمى كوم الديماس Com—El—Démas الذى تكون بمضى الزمن — كما تثبت حفائرى — من الأنقاض والفضلات المتراكمة من المدينة .

والواقع :

أولا — أن الناحية التى تبعد ٣٠٠ أو ٤٠٠ متر عن وسط القصر يمكن تماما أن تكون جزءا منه كما قال سترابون .

ثانياً — أنه لما كان هذا الموقع فى وسط المدينة بالنسبة لعرضها ، فإن ما ذكره تاتيوس قد تأيد تماما .

ثالثاً — أن اختيار السوما عند سفح أعلى تل فى المدينة هو أمر طبيعى جدا وملائم أكثر من غيره لحفظ أجساد الموتى ، لأن المكان أبعد ما يكون عن مصادر الرطوبة أى عن البحر ، وكذلك عن بحيرة مريوط وهو يقع فى منتصف المسافة بينهما .

رابعا — أن الحفائر قد دلتنا على أن المكان الذى يشغله كوم الديماس قد تحول إلى مقابر منذ عصر عبادة الأصنام إلى وقتنا هذا ، وقد اكتشفنا فى طبقاته المتتالية حفرا خاصة بديانات مختلفة . فقبور المسلمين تشغل الطبقة العليا ، تليها تلك التى تضم قبور المسيحيين وربما أيضا قبور اليهود ، وأخيرا تشغل قبور الوثنيين الطبقات الدنيا . وقد اكتشفت أيضا فى المدة الأخيرة بعض أجزاء تماثيل بالحجم الطبيعى فى نواح شتى تحت أنقاض هذا الجزء من كوم الديماس ، الذى على طول الشارع الكانوبى ، وقد شوهدت هناك أيضا عظاما بشرية كثيرة ، وقد شاهدت بنفسى بعضا منها فى حجرة تحت الأرض اكتشفت

عند وضع أساس منزل خاص تحت سفح كوم الديماس فى الشارع الكانوبى .
وقد عثر فى هذه الحجرة على تمثال لشخص رومانى ، يكاد يكون عارى الجسد جالسا فوق منصة ، والتمثال والمنصة من الرخام الأبيض ، والرأس والذراع اليمنى وقطع أخرى من التمثال مفقودة ، وهو يميل إلى الخلف ونحو اليسار فوق القاعدة ، وكان الوجه فى ناحية باب الحجرة المواجهة للجنوب .

إن ذلك كله يبين لنا أن هذه الحجرة كانت حتما مقبرة لبطل لا يزال تمثاله موجودا ، وإن فقدت بعد أجزائه ، لا بفعل الزمن ولكن بفعل هادمى الآثار الفنية والعلمية .

ألا يؤيد ذلك كله احتمال وجود موقع السوما فى هذه الناحية بالذات ؟ بالنسبة لى تكفى هذه الدلائل لإقناعى .

وإذن فإن السوما ، ضريح الإسكندر الأكبر وملوك البطالمة قد أصبح مقابر عامة لشعوب مختلفة ، ذات ظروف متباينة وديانات شتى .

خامساً — إن أهالى الاسكندرية لا يزالون يعتقدون أن النبى دانيال مدفون فى هذه المدينة عند سفح كوم الديماس ، بل إن هناك ضريحا فاخراً تحت الأرض وسط مسجد يحمل اسم النبى دانيال ، غير أنه لا يوجد كاتب عربى أو غير عربى يشهد بذلك . والمثقفون بصورة مؤكدة لا يشاركون الناس ذلك الاعتقاد .

والمعروف بصورة مؤكدة أن النبى دانيال قد مات فى السنوات الأولى من حكم كورش (الفارسى) قبل تأسيس مدينة الإسكندرية بأكثر من ثلاثة

قرون ، وأنه أمضى حياته كلها تقريبا أسيرا فى بابل . ولكن من أين جاء ذلك الخطأ وماذا نستنتج منه ؟

أعتقد أنه لما كان دانيال معترفا به كنبى بإجماع الآراء ، بينما الاسكندر ليس معروفا كنبى إلا عند البعض — فإن جهل أهالى الاسكندرية فيما مضى قد أدى إلى الخلط بين النبى الإسكندر وبين النبى دانيال الذى يحظى عموما بشهرة أوسع .

ويقودنا هذا الفرض إلى طريق الخيال والتخمين ، لأن ذلك الخطأ لا يمكن بالتأكيد أن ينتج إلا عن تقليد معين تطلب إقامة نصب تذكارى كبير الأهمية ولا يمكن أن يكون هذا النصب سوى قبر الإسكندر ، وهذا يمكن استنتاجه من ذلك الخطأ الشعبى .

سادساً — وأخيرا نجد دليلا أكيدا على وجود موقع السوما فى كوم الديماس ، وذلك فى اتفاق معنى كلمة (السوما) اليونانية وكلمة (الديماس) العـــربية ، والتى يسمى بها حتى الآن ذلك الموقع المفروض للسوما ، فالواقع أن كلمة (السوما) اليونانية تعنى الجسد ، وهو ما تعنيه أيضا الكلمة العربية (الدمس) وجمعها (الديماس) ، وكلمة الديماس تعنى أيضا القبر والسراب والكهف .. الخ ، وإذن فان كلمة (السوما) لم تنقطع عن الدلالة على قبر الإسكندر الأكبر والملوك البطالمة حين فتح العرب الاسكندرية . بحيث استطاعوا أن يترجموا هذه الكلمة إلى العربية بكلمة (الدمس) أو « الديماس » التى لا تؤدى معنى كلمة (السوما) تماما فحسب ، بل تؤدى أيضا كل المعانى المادية أو الأدبية التى يسمح بها موضوع التسمية ، وهذا لا يدع لنا أى مجال للشك فى أن موقع (السوما) هو فى كوم الديماس .

ملعب الجمباز والبانيوم Paneum

فيما يلي الفقرة التي تحدث فيها سترابون عن ملعب الجمباز وعن البانيوم :[1]

« تمتلىء الإسكندرية عموما بالمباني العامة والمقدسة ، وأجملها ملعب الجمباز حيث توجد الردهات المسقوفة التي يبلغ طولها أكثر من ستاد ، وفي الوسط يوجد مقر التحكيم والحدائق وهنا أيضا البانيوم Paneum وهو تل صناعي له شكل (النحلة) التي يلعب بها الأطفال ، أو صخرة منحدرة ، وهناك سلم حلزوني يقود إلى القمة حيث تشاهد المدينة كلها بجميع نواحيها من ذلك المرتفع المشرف عليها » .

وهذه فقرة أخرى للكاتب نفسه[2] « من نكروبوليس حتى الباب الكانوبي يمتد الشارع العريض الذي يقطع المدينة مارا بطول ملعب الجمباز » . وهذه الفقرة تحدد موقع ملعب الجمباز على الشارع الكانوبي ، ولكن في أية ناحية من هذا الشارع؟ هذا ما كان على الحفائر أن تدلنا عليه . والواقع أن الحفائر التي قام بها جاليس بك Gallis Bey والتي أجريت بعده قد أدت إلى اكتشاف جدران هائلة من جدران الأساس ، وعدد كبير من أعمدة منسكبة على الشارع الكانوبي من ناحية الغرب بين الشارعين المقاطعين ص١ ، ص٢ ونحن أنفسنا قد اكتشفنا عددا منها تحت الأنقاض من ناحية الشارع الكانوبي والشارع المقاطع ص ١ ولا يزال الإنسان يرى بعضا منها ، وقد قذف بها على مقربة من الحصن الأول وتمتد هذه البقايا الأثرية أكثر من مائة وخمسين مترا من كل جانب . وجماع

(١) انظر سترابون . ترجمة لترون . الجزء ٥ . الصفحة ٣٤٣ .

(٢) انظر استرابون . نفس الكتاب . نفس الصفحة .

هذا كله يدل على أننا أمام أجمل أثر بمدينة الإسكندرية ، ولا يمكن أن يكون هذا الأثر سوى ملعب الجباز مع مقر التحكيم الخاص به وحداثقه وردهاته الطويلة المسقوفة ، والذى كان طوله من كل جانب أكثر من ستاد أو ١٦٥ مترا .

أما عن البانيوم[1] Paneum فليست لدى أية معلومات، ولكنى أعتقد أنه موضعه كان فوق قمة كوم الدكة أعلى تل بالمدينة القديمة ، ويبلغ ارتفاعه نحو ٣٥ مترا فوق مستوى سطح البحر ، و« كوم الدكة » يفيد باللغة العربية معنى تل به (دكك) للجلوس ، ونحن نجد أن كلمة (بانيوم) تعنى رؤية كل شىء أو المنظر الجميل ، ولا بد أنه كانت هناك مقاعد (دكك) للراحة والاستمتاع بالمنظر العام للمدينة والخليج ومن ثم فإن كلمة (كوم الدكة) يمكن أن تكون لها علاقة بالبانيوم . ولعل (كوم الناضورة) باللغة العربية العامية تفيد معنى (التل الخاص بالرؤية) . ولكن ذلك لا يتمشى مع الواقع لأن هذا التل المطل على الميناء كان كفيلا أن يجعل سترابون يتحدث عن البانيوم ضمن المنشآت التى عددها هناك .

(١) أغلب الظن أن بانيوم تعنى « معبد الإله بان » وهو إله القطعان من الماشية ولعله كوم الدكة قد أقيم إجلالا لهذا الإله (المراجع) .

ميدان السباق

حدد سترابون [1] موضع ميدان السباق عند طرف الشارع الكانوبى . والواقع أننا نرى هناك قطعة أرض موحدة وشاسعة جدا ، ويبلغ امتدادها نحو ٦٠٠ متر وعرضها ٤٠٠ متر وقد كانت أفضل وأنسب مكان لميدان السباق.

---

(١) سترابون ترجمة لترون الجزء ٥ — الصفحة ٣٤٣ .

أحياء مدينة الاسكندرية

يذكر فيلون Philon الإسكندرى وبعض الكتاب القدامى الآخرين أن مدينة الاسكندرية كانت مقسمة إلى خمسة أحياء ، وإذا كان هذا التقسيم قد تم طبقا للحالة الطبيعية للأرض ـ كما هو محتمل جدا ـ فإن نظرة واحدة إلى خريطتنا تؤيد هذا القول فى الواقع .

أولا — أن القسم الشرقى الذى يرى منفصلا عن باقى المدينة بالمستنقع أو الأحراش كان لابد أن يكون حياً مستقلا يقطعه الشارع الكانوبى ويشمل ميدان السباق ولذا سأسميه (حى ميدان السباق) .

ثانيا — أن حى بروكيوم Brochium كان حتما يشمل المنطقة الواقعة بين البحر وبين ما يقع من الشارع الكانوبى بين ميدان الهبتاستاد وميدان الوسط الذى يطل عليه ملعب الجباز وهو (حى القصور) .

ثالثا ــ كوم الدكة والمرتفعان الواقعان بين هذا التل وبين الترعة واللذان يكونان معا هضبة واحدة يمكن أن تكون حيا يحده من ناحية الشمال ملعب الجباز والسوما ومن ناحية الشرق الشارع المقاطع ص ١ ، ومن ناحية الغرب الشارع المقاطع ص ٥ وأخيرا الأسوار المحيطة من ناحية الجنوب وهذا الحى محدد تقريبا شرقا وغربا بالقناتين الجوفيتين الثالثة والرابعة ، وهو يضم ملعب الجباز والسوما ، ولذا أسميه (حى السوما) . وقد ذكرنا من قبل أن تاتيوس Tatius ذكر أن اسم السوما قد أطلق على ذلك الحى من أحياء المدينة الذى وجد فيه ، وهذا لا يناقض مطلقا شهادة سترابون التى أدخل فيها هذا الأثر

ضمن حى بروكيوم Brochium ، فالواقع أن هذين الحيين من أحياء المدينة لم يكن يفصل أحدهما عن الآخر سوى الشارع الكانوبى . ولذا فإن المبانى الواقعة على هذا الشارع من ناحية الجنوب ، يمكن تماما أن يكون بعضها فى حى بروكيوم وبعضها الآخر فى حى السوما . وحتى لو كان للسوما باب على الشارع الطولى ل ١ ، فإن هذا يكون سببا آخر لكى تعتبر ضمن الحى الآخر الذى كان إذن يسمى باسم السوما .

رابعا — أن الهضبة الصغيرة التى بين القناتين الجوفيتين الثانية والثالثة من ناحية ، وبين الشارع الكانوبى والأسوار المحيطة من ناحية أخرى — هذه الهضبة لابد أنها كانت الحى الرابع ، وهو أصغر الأحياء جميعا ، وبذا يفصله عن حى السوما الشارع المقاطع ص ٥ الذى يمر بين السوما والمتحف ، ولما كان المتحف فى هذا الحى فإنى سأسميه (حى المتحف) .

خامساً — أن الحى الخامس والأخير — وهو (حى راكوتيس) Racotis كان منفصلا تقريبا عن المدينة بالدرب الصغير الذى يرى بين تل السرابيوم وبين المرتفعين اللذين يكونان نواة حى المتحف . ولا بد أنه كان منفصلا عن الحى الأخير بالقناة الجوفيه الثانية التى كانت تحده من ناحية الشرق ، وهو يحد من جوانبه الأخرى بالبحر وبالأسوار المحيطة بالمدينة . والسرابيوم يحتل منه الطرف الجنوبى الشرقى ، بينما يحتل مسجد الألف عمود — أو المسجد الغربى الكبير الذى هو الآن من الأملاك الخاصة — طرفه الشمالى الغربى .

ويوجد مسجد عمرو فاتح مصر فى حى المتحف على الزاوية الشمالية الغربية

من تقاطع الشارع الطولى ل ٢ والشارع المقاطع ص ٧ ومسجد العطارين — الذى كان فيما مضى كنيسة القديس أثناسيوس وصار الآن من الأملاك الخاصة — موجود فى حى بروكيوم على الزاوية الشمالية الغربية من تقاطع الشارع الكانوبى بالشارع المقاطع ص ٦ .

وحى ميدان السباق هو بطبيعة أرضه أوسع الأحياء ، غير أن ذلك لا يعنى أنه بالضرورة أكثرها سكانا ، بل إنى أعتقد أنه كان أقل سكانا من الأحياء الأخرى ، ولا بد أن حى بروكيوم المجاور له قد طغى عليه لتوسيع قصوره وحدائقه العامة ، ولتشييد قصور أخرى من تلك القصور التى كانت كثيرة العدد ، لأن سترابون يقول [١] : «إن المدينة تشمل أماكن أو حدائق عامة ، وقصورا ملكية تشغل ربع مساحتها بل ثلثها ، لأن كل ملك كان يحرص على أن يضيف بدوره جديدا إلى المبانى العامة ، وكذلك إلى القصور الملكية ، بحيث أنه يمكن الآن أن ينطبق على هذه القصور قول الشاعر (إن بعضها يخرج من بعض) والواقع أن جميع هذه الدور الواقعة على الميناء ، وحتى التى تقع وراءه يجاور بعضها بعضا » .

إن سترابون لم يبالغ مطلقا فى تقدير الربع أو الثلث من مساحة المدينة للقصور والحدائق المخصصة كمنتزهات عامة ، لأن بلنيوس يقول إن المهندس المدنى الذى خطط مدينة الاسكندرية كان قد أفرد خمس المدينة للمبانى الملكية .

وأخيرا فإن مدينة الإسكندرية لم تكن مثل المدن الأخرى التى ولدت

---

(١) سترابون — ترجمة لترون — الجزء ٥ — الصفحة ٣٠١ وما يليها .

صغيرة وكبرت مع الزمن . بـل لقد تصورها منشؤها مدينة كبيرة . فبنيت أسوارها المحيطة ،ورسمت أحياؤها وشوارعهاوخططت كلهامنذالبداية ، ويتمثل النموالذىذكره ديودور الصقلى ـ كما قال لترون ـ فى زيادة عدد المبانىلملء المحيط الشـاسع الذى رسمه (دينوكرات) ، وفى ذلك يقول أميين مارسللين (باللاتينيـة) :

Aleanxadria, Non sensim, ut aliae urbes, sed inter initia prima, aucta per spatiosos ambitus ·

أى أن (الاسكندرية لم تنم بالتدريج مثـل المدن الأخرى ، بل منذ البداية الأولى ، قد نمت واتسعت بطموحها العظيم) .

الفصل الثالث

ضواحي الاسكندرية والجهات القريبة منها

الفصل الثالث

ضواحى الاسكندريه والجهات القريبه منها

نكروبوليس Nécropolis

كانت نكروبوليس Nécropolis أو (مدينة الأموات) ، تجاور مدينة الاسكندرية من الناحية الجنوبية الغربية ، وكانت هى الضاحية الوحيدة الملاصقة لها ، فلا يفصلها عنها سوى الأسوار المحيطة ، وكانت تمتد بين البحر وبحيرة مريوط ، وهى مخصصة للمقابر كما ثبت من الحفائر التى أجريت تباعا ، وسراديب المدافن المعروفة الآن باسم (حمامات كليوباترة) والتى ترى على حافة الماء على بعد ثلاثة كيلو مترات ونصف من العمود المسمى بعمود السوارى ، وعلى مسافه ثلاثة كيلو مترات تقريبا من المنار الحديث — هذه السراديب كانت تعتبر جزءا من نكروبوليس نفسها ، ولابد أن نكروبوليس كانت تمتد على طول أرض القبارى بما فيها المكس ، بحيث تحدها من ناحية الجنوب الغربى ترعة المواصلات التى بين الخليج وبين بحيرة مريوط ، والتى رأى جراتين لبير Gratien Le père آثارها [1] وتحدث عنها فى رسالته عن الاسكندرية . أما خندق خط التحصينات الذى أنشىء مقاطعا بين البحر وبحيرة مريوط فى المكس ، على طول كيلو متر واحد تقريبا ، فانه يشغل الآن مكان هذه الترعة على بعد خمسة كيلو مترات ونصف من المدينة القديمة ، وكلمة (القبارى) العربية تعنى بالضبط ذلك الذى يدفن الموتى ، والذى يفتح القبر لكى يدفن ، والذى

(١) انظر وصف مصر : الدولة الحديثة : الجزء ١٨ — القسم الأول — الصفحة ٤٣٩

حرفته الدفن أو عمل المعدات للدفن ، وهى مشتقة من الفعل (قبر) الذى معناه (يدفن)أو من كلمة (القبر) ، واسم المفعول منها هو (مقبور) ومعناه إذا اتخذ اسما (المدفون) أو (الميت) ، واسم الفاعل هو (قابر) و (قبار) ، والكلمة الثانية معناها (الذى يتخذ من الدفن حرفة له) ، ويتضح من ذلك أن العرب قد احتفظوا حتى أيامنا هذه ، فى كلمة (القبارى) بذكرى الفكرة التى ربط اليونانيون بينها وبين معنى كلمة (نكروبوليس) أى (مدينة القبور) ، والتى تنطبق كما أثبتت الحفائر على كل المنطقة التى تحمل اسم أرض (القبارى) أو وادى الأموات) على أن نكروبوليس لم تكن كلها مقابر ، فان سترابون يحدثنا عنها على الوجه الآتى :

« لم يبق وراء الترعة سوى جزء صغير من المدينة ثم يرى الانسان ضاحية نكروبوليس[1] حيث يوجد عدد كبير من الحدائق والقبور والدور التى أعد كل شىء فيها لتحنيط الجثث » .

والترعة المشار إليها هنا هى الترعة المتفرعة من النيل ، والتى تصب مياهها فى ميناء يونوستوس ، وليست ترعة المواصلات التى بين الخليج وبين بحيرة مريوط ، وهذه الترعة الأخيرة تمثل الحد الشمالى الغربى لضاحية نكروبوليس كما أسلفنا القول .

والجهة التى تتصل فيها هذه الترعة بالبحر تحمل اسم (باب البحر) ، وعلى مقربة منها توجد ناحية تسمى (باب العرب) ، وأخيراً فان كل الجزء الصغير

(١) سترابون ، ترجمة لتروت ، الجزء ٥ ، الصفحة ٣٢٥

من الأرض الذى تقطعه الترعة المجاورة يسمى (المكس) أو (الرسم الواجب الدفع) ، ولا تزال هناك ناحية تسمى (باب المكس) أو باب الرسم ...

وتقول الروايات إن العرب الأوائل دخلوا إلى الاسكندرية فاتحين عن طريق الباب الذى سمى منذ ذلك الوقت باسم (باب العرب) .

وأيا ما كان الأمر فان هذه التسميات لباب العرب والمكس وباب المكس وباب البحر ، تدلنا دلالة قاطعة على أن هناك عند طرف ترعة المواصلات كانت تنتهى مدينة الاسكندرية وضاحيتها نكروبوليس .

والطول الاجمالى للمدينة ذاتها مع هذه الضاحية هو عشرة كيلومترات . فاذا أضفنا ضعف هذا الطول أو ضعف متوسط العرض وهو كيلومتر ونصف تقريبا ، فانه ينتج عن ذلك ٢٣ كيلومترا لمحيط المدينة وضاحيتها ، ونحن نعرف أن بلنيوس قد قدر محيط الاسكندرية بخمسة عشر ألفيا ورومانيا وهو ما يعادل ٢٢ كيلومتراً ونصف كيلومتر تقريبا ، وإذن فقد نظر بلنيوس فى ذلك التقرير إلى الاسكندرية مع ضاحيتها نكروبوليس وهو ما يؤيد فى وقت واحد تقدير هذا الكاتب واستنتاجنا بشأن حد نكروبوليس .

خرسونيزوس Chersonesus

(العجمى)

على مسافة ٦٫٢٠٠ متر وراء هذه الترعة الفاصلة ، يقع الرأس الذى سماه القدماء خرسونيزوس ، والذى يسمى الآن (مارايوت) أو العجمى ، وبين هذا الرأس والطرف الجنوبى الغربى لجزيرة فاروس ، تمتد الصخور وشواطىء الرمال التى تغلق الخليج ولا تترك لمرور السفن سوى ممرات أو بواغيز .

ويبعد رأس خرسونيزوس نحو ١١٫٥٠٠ متر عن الأسوار المحيطة بالمدينة ذاتها ، إذا سار الإنسان بطريق البر ، وسترابون يقدر المسافة بين هذا الرأس وبين مدينة الاسكندرية بسبعين ستادا[1] ، وهذا بطريق البر بلا أدنى ريب ، ولما كانت هذه السبعون ستاداً تساوى ١١٫٥٥٠ متراً ، باعتبار أن طول الستاد اليونانى هو ١٦٥ متراً كما سبق أن بينت فى هذه الرسالة ، فإن اتفاق هذين الطولين يثبت تماما صحة تخطيط الأسوار المحيطة للمدينة كما رسمناه ، كما يثبت أن رأس خرسونيزوس هو رأس (مارايوت) أو (العجمى) الآن .

(١) سترابون . ترجمة لترون . الجزء ٥ . الصفحة ٣٥٢

نيكو بوليس Nicopolis

بعد أن عبر سترابون ميدان السباق [1] قال : «توجد على مسافة ثلاثين ستادا من الاسكندرية وعلى شاطىء البحر ، ناحية نيكو بوليس الآهلة بالسكان كأنها مدينة من المدن . وقد أدخل القيصر أغسطس كثيرا من التحسينات على هذه الناحية ، بعد أن هزم فيها أولئك الذين تقدموا ضده مع أنطونيوس » .

إن نظرة إلى خريطتنا الخاصة بالاسكندرية والجهات القريبة منها ، تدفعنا إلى الاعتقاد بأن الموقع الإستراتيجى الذى اختاره أغسطس وهزم فيه أنطونيوس ، لا يمكن أن يكون إلا تلك المرتفعات الواقعة على بعد ٢٠ ستادا إلى ٣٠ ستادا من المدينة ، فى الشمال الشرقى منها .

والواقع أن الإنسان يرى هناك ، بين أطلال أخرى ، بقايا معبد صغير اكتشف حديثا على شاطىء البحر على مسافة ٨٠٠ متر تقريبا وراء القصر الحصين المسمى « بقصر القياصرة » وهو الذى يوجد على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريبا من الباب الكانوبى ، وإذا كان جوزيف قد قدر ٢٠ ستادا [2] أى ٣٠٠و٣ متر للمسافة التى بين نيكو بوليس و بين المدينة ، بينما قدر لها سترابون ٣٠ ستادا أى ٩٥٠و٤ مترا ، فلعل ذلك لأن هذه الضاحية قد نمت من جانب

---

(١) سترابون . ترجمة لترون الجزء ٥ الصفحة ٣٤٤

(٢) انظر مذكرات لترون . ترجمة سترابون . الجزء ٥ ص ٣٤٤

المدينة فى خلال الأربعين سنة أو الخمسين سنة التى تفصل بين هذين الكاتبين .

ويتحدث بلنيوس عن يوليوبوليس [1] Juliopolis أنها واقعة على مسافة ألفى ألفى رومانى Miles من المدينة وهوما يقرب من ثلاثة كيلومترات ومن المؤكد أن هذا الكاتب الذى جاء بعد جوزيف ببضع سنوات ، إنما قصد بذلك ضاحية نيكوبوليس نفسها .

(١) انظر مذكرات لترون . ترجمة سترابون الجزء ٥ ــ الصفحة ٣٤٤

اليوزيس Eleusis

كانت ضاحية اليوزيس منعزلة تماما عن المدينة ، كما تثبت هذه الفقرة التى كتبها سترابون : « إذا خرج الانسان (من الاسكندرية) عن طريق الباب الكانوبى[1] ، فإنه يجد إلى يمينه الترعة التى تتجه نحو كانوب على حافة البحيرة ، ويذهب الانسان مع هذه الترعة إلى شيديا Schedia ، متبعا الفرع الذى يمضى ليتصل بالنهر الكبير ، وإلى كانوب ، ولكنه يقابل أولا (اليوزيس) ، الواقعة بالقرب من الاسكندرية ، ومن (نيكوبوليس) ، على نفس شاطىء الترعة الكانوبية ، وهى تشمل أماكن لهو ومتعة ، ومساكن فى موقع بديع ، يؤمها أولئك الذين يبحثون عن المتعة من الرجال والنساء ، وهناك يبدأ بشكل ما نوع من حياة الانحلال التى يحياها القوم فى كانوب » .

إن هذه الفقرة تكفى لتعيين موقع اليوزيس فى هذه التلال المنعزلة حيث يرى الإنسان اليوم حديقة باستريه Pastré التى صارت متنزها عاماً : فبين الباب الكانوبى ، من ناحية اليمين ، وفرع الترعة عند سفح المرتفعات الجنوبية فى نيكوبوليس ، توجد المنطقة الوحيدة التى يرى الإنسان فيها أسوار أساس قديم وخزانات وقنوات جوفية وغير ذلك مما يدل على قيام مركز سكنى قديم كبير ، وأرض هذه المنطقة المثلثة الشكل ترتفع أكثر من اثنى عشر مترا فوق مستوى سطح البحر وقد بينت أقواس ومناسيب المسح على خريطتى بالأرقام ٦ و٨ و١٠ و١٢ مترا ، كما بينت القناة الجوفية التى كانت تحمل ماء

---

(١) سترابون : ترجمة لترون — الجزء ٥ — الصفحة ٣٥٦ وما يليها .

الترعة إلى داخل الضاحية بل إلى ما وراءها أيضا ، ويقع مركز هذه الأرض المرتفعة على بعد ١٫٥٠٠ متر تقريبا شرقى الباب الكانوبى ، وعلى بعد ٢٫٢٠٠ متر جنوبى مسجد سيدى جابر القريب جدا من البحر .

والمرتفعات الجنوبية فى نيكوبوليس والمرتفعات التى تقع شرقى الاسكندرية ثم السلسلة الصغيرة الضيقة عند سيدى جابر ، تضم بينها واديا مغلقا تماما فى الجنوب بواسطة الترعة وتلال اليوزيس ، وهذا الوادى يبلغ طوله ثلاثة كيلومترات وعرضه كيلومتر ونصف كيلومتر تقريبا ، ويرى الإنسان فيه فى الوقت الحاضر بحيرة صغيرة تكونت من جراء قطع سد أبو قير أثناء الحملة الفرنسية على مصر .

ويعتقد بعض العلماء أن هذا الوادى كان فى الماضى جزءا من بحيرة مريوط Maréotis وأنا أيضا أعتقد ذلك ، غير أن هذا لا يمكن أن يكون إلا قبل تأسيس مدينة الاسكندرية ، أو على الأقل قبل حفر الترعة أيام البطالمة الأوائل ، لأن هذه البحيرة التى تعزلها تماما الترعة الصالحة للملاحة ، كانت تجف بالتبخر أو بفعل الإنسان لهدف صحى ، وفضلا عن ذلك فان المعبد الكبير الذى لا يزال الإنسان يرى بقاياه فى أعماق الوادى ، يدل بموقعه على إمكان تجمع ماء راكد حوله مما يلحق الضرر بصحة رهبانه ، ويؤدى إلى انتشار العدوى نتيجة لتصاعد الأبخرة الكريهة من جراء حرارة الشمس فى الصيف .

وهذا المعبد يقع على مسافة ١٨٠ مترا تقريبا شمال غربى النقطة الواقعة على امتداد الشارع الكانوبى ، على مسافة ٧٠٠ متر خارج الباب ويبلغ عرضه

أربعة بليترات تقريبا ، وطوله ستاد واحد ، ويحاذى اتجاه الشوارع الطولية ؛ ويرى هناك — حتى اليوم — عدد من قواعد التماثيل فى مكانها الأصلى، ومن رؤوس الأعمدة وأجزائها المحطمة وجذوعها الكاملة ، وكلها من الجرانيت الأحمر ، غير أن الذى يلفت نظر الزائرين هما التمثالان الضخمان ويتبين الإنسان فى أحدهما تمثال كليوباترا وإن يكن قد انكسر إلى ثلاث قطع تماما كالتمثال الآخر الذى يعتقد أنه لأنطونيوس .

ويبدو أن هذا المعبد كان أحد معبدين شيدا فى نيكوبوليس وسببا هجر بعض معابد أخرى قديمة كانت قد أقيمت بالمدينة كما يقول سترابون . « فى داخل الترعة[1] يوجد القيصرون وأماكن مقدسة أخرى شيدت قديما ، وقد هجرها الناس تقريبًا منذ إنشاء معابد نيكوبوليس ، حيث يوجد المسرح الدائرى والملعب Stade ، وتقام المباريات التى يحتفل بها كل خمس سنوات ».

ولابد أن هذا الكاتب قد اعتبر كل الأرض الواقعة بين ضاحية نيكوبوليس والمدينة جزءا من الضاحية ذاتها ، والواقع أن هذه الألعاب التى كان يحتفل بها كل خمس سنوات ، أو كل سنة طبقا لما ذكره المؤرخون العرب[2] لم يكن لها من مكان طبيعى سوى هذا الوادى الذى تبلغ مساحته أكثر من ألف فدان ، بين المدينة ونيكوبوليس وإليوزيس ، لأنه فى هذه الناحية توجد المساحة الوحيدة التى تبلغ من الاتساع ما يكفى لاستيعاب ذلك العدد الهائل من الناس الذين كانوا يأتون من كل حدب وصوب للاشتراك فى هذه

---

(١) سترابون . ترجمة لترونت — الجزء ٥ — الصفحة ٢٤٢ وما يليها .

(٢) المقريزى . طبعة بولاق . الصفحة ١٥٨ .

الألعاب التى كانت — كما قال المؤلفون العرب — تجتذب مالا يقل عن مليون شخص كل سنة .

ومهما يكن الأمر ، وسواء أكان الوادى موضوع البحث واقعا فى نيكوبوليس أم فى اليوزيس أم كان فى كليهما معا — فان الاسم الذى لا يزال يسمى به اليوم يذكرنا بتلك الاجتماعات وبالمواعيد التى يتحدث عنها سترابون فى الفقرتين اللتين أشرنا إليهما ، إحداهما بشأن معابد نيكوبوليس والأخرى فى موضوع إليوزيس ، وذلك الاسم هو (الحضرة) باللغة العربية ، وهى كلمة تعنى مكان الحضور والاجتماع والمواعيد ، وهناك لا تزال توجد الآن أماكن اللهو ، وإلى هناك يذهب أهالى الاسكندرية والأوروبيون كل يوم جمعة ويوم أحد بوجه خاص ، رجالا ونساء ، قادمين من كل ناحية ينشدون التسلية والترفيه عن النفس .

تعداد الاسكندرية القديمة

تبلغ مساحة الاسكندرية بضواحيها الثلاث، وهى نكروبوليس ونيكوبوليس واليوزيس نحو ٢٥ كيلو مترا مربعا، وهذه المساحة تعادل تقريبا ربع مساحة باريس الحالية الممتدة إلى أسوار التحصينات، وعلى ذلك فانه لو كان عدد السكان موزعا على أرض الاسكندرية بنفس النسبة الموزع بها عدد السكان على أرض باريس، لوجب أن يكون تعداد الاسكندرية القديمة ٤٥٠٫٠٠٠ أو ٥٠٠٫٠٠٠ نسمة والواقع أن ديدور الصقلى يذكر [1] أن الاسكندرية — مع ضواحيها بلا ريب — كان يسكنها فى عهد أغسطس ٣٠٠٫٠٠٠ مواطن حر، فاذا أضفنا إلى ذلك الرقم ١٥٠٫٠٠٠ أو ٢٠٠٫٠٠٠ من غير المواطنين الأحرار لكان عدد السكان ٤٥٠٫٠٠٠ أو ٥٠٠٫٠٠٠ كما استنتجنا بمقارنة المساحتين.

إن الاسكندرية الحالية — بما فيها الرمل والقبارى والمكس والمساكن الواقعة على ترعة المحمودية وبالتالى بكل ضواحيها؛ يسكنها ٢٥٠٫٠٠٠ نسمة وكانت لا تكاد تضم سبعة آلاف أو ثمانية آلاف نسمة فى بداية عهد محمد على ومائة ألف قرب نهايته.

حسنا، إن هذه المدينة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم طبقا لرأى بعض العلماء باعتبارها مدينة (إرم ذات العماد) وكأجمل مدينة فى العالم — لم تكن بمنجاة من عوادى الزمن ولا من عدوان البشر، وتحت التأثير الهدام للطغاة

---

(١) ديودور الصقلى كما هو وارد فى وصف مصر . الدولة الحديثة . الجزء ١٨ . الفصل الأول . الصفحه ٤٠٨ .

الذين رزحت البلاد تحت حكمهم تباعا ، أصبحت آثارها وقصورها الفاخرة مباءة للزواحف والوحوش وقد رأت نفسها تهبط تدريجيا إلى مقام البلدة الصغيرة التى تذكر الإنسان براكوتيس Racotis فى عهد الفراعنة والتى تشغل تقريبا مكان المبتاستاد مع توسيعه بالأنقاض على جانبيه .

إن عدداً ضئيلا من السكان لا يزيد على ٨٠٠٠ نسمة هو وحده الذى حال زمنا طويلا دون أن تبتلعها أكداس الخرائب وغارات رمال الصحراء .

غير أن ذكرى عظمتها الماضية عاشت فى أذهان الناس ، وتأوهات شبح البطل المقدونى الذى كان يظهر ليلا فى السوما طالبا أحدا يبعث المدينة من مرقدها — تلك التأوهات كان لا بد أن تسمع يوما ما . وفى بداية القرن التاسع عشر بدأت المدينة تستعيد شيئا من عظمتها الماضية ، واليوم لا يقل عدد سكانها عن ٢٥٠٠٠٠ نسمة ، وما إن تبذل بعض جهود أخرى حتى تبعث الإسكندرية القديمة من قبرها وتعود جديرة بفخامتها الماضية ومجدها القديم .

ترعة الاسكندرية

إن حفر ترعة الاسكندرية قد تم حتما عقب تأسيس المدينة، لأن وجودها كان يتوقف على ذلك ، وكانت هذه الترعة تسمى قديما « بالنهر » وكانت تستمد مياهها من الفرع الكانوبى للنيل وتصب فى ميناء إينوست كما هو الحالى الآن ، ولكن على مسافة كيلو متر تقريبا شمال شرقى المصب الحالى لترعة المحمودية التى لا تعدو أن تكون هى القناة القديمة التى حفرها محمد على حوالى سنة ١٨٢٠ والقناة الجديدة تختلط مع القناة القديمة على طول امتدادها تقريبا، ولا تنفصل عنها إلا على مسافة مائة متر تقريبا خارج الأسوار المحيطة التى أقامها العرب ، فالأولى تتصل بالميناء على زاوية ودون أن تجاوز أسوار المدينة العربية، والأخرى تدخل المدينة فى شكل قناة تحت الأرض ، وكانت هناك قنطرة تقع تقريبا فى وسط ما يمتد من الترعة بين الأسوار المحيطة بالمدينة العربية وبين الأسوار المحيطة بالمدينة القديمة ، وهذه القنطرة معلمة على خريطتى بكلمة (القنطرة الأولى)، وهى لا تطابق أى شارع من الشوارع التى اكتشفتها بالمدينة القديمة ، وإذن فان اختيار هذه النقطة لإقامة القنطرة قد تم بمعرفة العرب ، فى زمن كانت قد زالت أثناءه آثار الشوارع القديمة ، على الأقل فى هذا الجزء من المدينة .

وتكون الترعة انحناءة عند خروجها من المدينة القديمة، وتتجه صوب اليوزيس محاذية تقريبا للأسوار المحيطة بالاسكندرية القديمة ، وهى لا تبعد عنها فى فى الجنوب إلا ٣٠٠ إلى ٥٠٠ متر .

وحيث تمتد الترعة بين مرتفعات اليوزيس ومرتفعات الجنوب الغربى

من المدينة — والتى تمر الترعة عند سفحها — كانت هناك ثلاث قناطر دمرت حين أعاد محمد على إنشاء هذه الترعة وجعلها صالحة للملاحة ، وهى مبينة على خريطتى بالكلمات : « القنطرة الثانية » و « القنطرة الثالثة » و « القنطرة الرابعة » ، والمسافات بينها متساوية . والقنطرة الثانية تقع فى اتجاه الشارع المقاطع ص٨ وهو شارع العمود . أما القنطرة الثالثة فتطابق الشارع المقاطع ص١ وهو أعرض الشوارع جميعا ، وأخيرا فان القنطرة الرابعة أو الأخيرة توجد قرب اليوزيس على بعد ١٤ ستادا يونانيا من الشارع ص١ الذى يبعد بنفس المسافة عن شارع العمود .

إن مواقع هذه القناطر التى تتفق مع الشوارع الرئيسية بالإسكندرية القديمة ، لتدل على قدمها ، كما تنبىء عن وجود مناطق مأهولة بين الترعة وبين بحيرة مريوط ، وتوحى أخيرا بأنه كان يوجد طريق قديم لا بد أنه كان يبدأ من القنطرة الأخيرة ، محاذيا للشوارع المقاطعة بالمدينة ، ومنتهيا عند البحر ، مارا بالقرب من المعبد خارج الباب الكانوبى ، ومؤديا إلى الناحية المخصصة للألعاب التى كانت تقام كل خمس سنوات طبقا لما قاله سترابون ، أو كل سنة طبقا لما قاله المؤرخون العرب .

وعند اليوزيس « الحضرة » تكون الترعة انحناءة مارة حول جزء من هذه الضاحية ثم تمضى نحو المرتفعات الواقعة فى جنوب شرقى نيكوبوليس ، وهناك يوجد فرعان : الفرع الرئيسى الذى يكون أيضا انحناءة تقرب من زاوية قائمة ثم يتجه إلى الجنوب الشرقى نحو أطلال كريون ؛ والفرع الآخر يواصل اتجاهه إلى سفح السلسلة الصغيرة من الجبال ويذهب إلى كانوب ، ونقطة انقسام الترعة إلى فرعين تقع على بعد ثلاثة كيلومترات ونصف كيلومتر تقريبا من

اليوزيس ، وكان الفرع الرئيسى يسمى فى الماضى بترعة شيديا Schedia لأنه كان يتفرع من النيل بجوار قرية تسمى بهذا الاسم ، وسأتحدث فيما بعد عن مكان هذه القرية .

ومسار الترعة بين نقطة انقسامها إلى فرعين ، وبين المكان المجاور لأطلال كريون Karéoune ، يتعرج فى منطقة مرتفعة تقطع حوض بحيرة مريوط فى شكل طريق عرضه بين كيلومتر وكيلومترين ، وارتفاع هذه الأرض يرجع بالطبيعة إلى ما يلى :

أولا — مقادير من الطمى رفعت من قاع الترعة وألقيت خارجها أثناء عمليات التطهير التى أجريت بهذه الترعة على مر العصور .

ثانيا — مخلفات متراكمة من سكان القرى والأحياء وغيرها ، تتابعت على شاطىء الترعة على مر الزمن .

وإلى هذين السببين ترجع أيضا جميع ارتفاعات الأرض فى المناطق المجاورة للترع القديمة فى مصر وللنيل نفسه .

وهكذا لا يستطيع الإنسان أن يشك فى أن ترعة المحمودية الحالية تشغل تقريبا نفس المكان القديم لترعة شيديا ، ابتداء من هذه القرية حتى مدينة الإسكندرية .

قرية شيدبا

(النشو الجديد)

عند الكلام عن اليوزيس أوردنا فقرة من سترابون يقول فيها : « إذا خرج الإنسان من الاسكندرية عن طريق الباب الكانوبى فإنه يجد إلى يمينه الترعة التى تتجه نحو كانوب ممتدة على حافة البحيرة ، ويذهب الانسان على هذه الترعة إلى شيديا متبعا الفرع الذى يمضى ليتصل بالنهر الكبير » وهذا الكاتب يتحدث عن (شيديا) مرة أخرى فى فقرة هذا نصها :

« بعد اليوزيس بقليل ، إلى اليمين ، يوجد[١] مصب الترعة التى توصل إلى شيديا ، وهى مكان مأهول بالناس كأنه مدينة من المدن ، وتقع على مسافة أربع شوينات schoenes من الاسكندرية ، وهناك تجتمع السفن النهرية التى يستقلها المحافظون إلى البلاد العليا ، وقد أقيم هناك أيضا جمرك السلع الواردة والصادرة . ولهذا الغرض أقيمت على النهر قنطرة من سفن ، وسميت الناحية باسمها » .

إن هاتين الفقرتين بينما تؤيدان ما قلناه عن الترعة ، تضعان شيديا على النهر الكبير (الفرع الكانوبى) على مسافة أربع شوينات schoenes من مدينة الاسكندرية . والشوين schoene يعادل أربعين ستادا يونانيا طبقا لما ذكره سترابون[٢] . وبناء على ذلك فإن طول الأربع شوينات هو ١٦٠

(١) سترابون . ترجمة لترون . الجزء ٥ . الصفحة ٣٥٧ وما يليها .

(٢) سترابون . ترجمة لترون . الجزء الأول .

ستادا أو ٢٦٫٤٠٠ متراً وهذه المسافة يجب بالطبع أن تحسب على امتداد الترعة فيما بين شيديا والمرتفعات الواقعة جنوب شرقى مدينة الاسكندرية ، حيث تبدأ المدينة بالنسبة لأولئك الذين يصلون اليهـا بالترعة ، وامتداد الترعة طبقا لخريطتى من إقليم مريوطهو ٢٧ كيلو متراً تقريبـا [١] ابتداء من الطرف الغربى لتلال القرية الصغيرة المسماة (النشو الجديد حتى) سفح التلال الواقعة جنوب شرقى الاسكندرية . إن التوافق الكافى الذى بين هذا القياس والقياس الذى ذكره سترابون ، يحدد موقع شيديا على هذه المجموعة من التلال التى يبلغ طولها ١٨٠٠ متر تقريبا من الشرق إلى الغرب بينما يبلغ عرضها ٥٠٠ متراً تقريبا ، والتى تحتل قرية النشو الجديد وسطها ، والواقع أن قاع الترعة القديمة لا يزال يرى على طول هذه التلال فى الجنوب على امتداد كيلو مترين ونصف كيلو متر من الطرف العربى لتلال شيديا حتى مجموعة التلال التى تسمى بخرائب كريون karéoune وخرائب كريون وخرائب شيديا تحد فى الشمال الشرقى بالترعة الاتكاوية Etkaouieh التى تشغل بدون أدنى شك القاع القديم للفرع الكانوبى ، وشهادة بروكوب Procope تؤيد هذه الحقيقة ، فالواقع أننا نقرأ فى ترجمة لترون لسترابون ما يلى :

« إن هذه الحقيقة [٢] تؤيدها فقرة من بروكوب تقول لنا إن النيل كان يصل إلى شيريو Chereu وهى مكان يقع بالقرب من شيديا على بعد ٢٠ ألفيا رومانيا milles من الاسكندرية ،وهناك كما يقول هذا المؤرخ كانت تبدأ ترعة الاسكندرية وكان النهر يتجه يساراً مغادرا منطقة الاسكندرية » .

إن شيريو التى ذكرها بروكوب هى كريون عند العرب . والعشرون

(١) ان مسافة ٢٥٫٢٢٠ مترا التى قدرها المسيو لابير لامتـداد الترعة بين قرية النشو وباب الاسكندرية ليست مضبوطه .

(٢) انظر سترابون . ترجمة لترون . الجزء ٥ . الصفحة ٣٥٧ الهامش

ألفيا رومانيا التي حسبها بروكوب بين هذه الناحية وبين الاسكندرية قد تأيدت بخريطتى ، فثمة ٢٧ كيلو مترا على امتداد الترعة بين الطرف الجنوبي الشرقى للإسكندرية والطرف الغربى لتلال شيديا ، ومن هناك حتى كريون مسافة كيلو مترين ونصف كيلو متر وبذا يكون طـــــول المسافة بين كريون والاسكندرية مع متابعة المنحنيات الرئيسية للترعة ، تسعة وعشرين كيلو مترا وهذا الرقم يعادل بالضبط تقريبًا العشرين ألفيا رومانيا ، لأن الألفى الرومانى mille يعادل ١٤٧٩٫٥ متراً ، والعشرون ألفيا تعادل ٢٩٫٥٩٠ متراً . وإذن فإن تلك الفقرة مما كتبه بروكوب تؤكد لنا فى نفس الوقت أن موقع شيريو Chereu أو كريون ، وموقع شيديا هو عند القرية الحديثة « النشو » . وهى تشهد أيضا بأن مكان قاع الفـرع الكانوبى للنيل هو ترعة الاتكاوية ، على الأقل فى الجـزء الذى تقع على شاطئـه كريون وشيديا ، وشهادة سترابون وشهادة بروكوب مجتمعتين تحددان تفرع الترعة عند نقطـة من النهر بين كريون وشيديا ، وبالضبط عند تقاطع ترعة الاتـكاوية مع الترعة القديمة التى ترى آثارها بين أطلال هاتين القريتين .

والمؤرخون العرب يتحدثون أيضا عن شيديا ، فالمقريزى يقول إنه فى سنة ٧١٠ هجرية فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون استخدم أربعون ألف رجل [1] لتطهير ترعة الاسكندرية ، وأنه بعد تطهيرها تم قياسها ووجد أنه ثمانية آلاف قصبة حاكمية ابتداء من مخرج القناة على النيل حتى شتيار Schétiar ، وأن من شتيار حتى الاسكندرية ثمانية آلاف قصبة حاكمية أيضا ،

(١) المقريزى . طبعة بولاق . الجزء الاول . الصفحة ١٧١

ويضيف هذا الكاتب إلى ذلك أن شتيار هى الجهة التى تستمد الترعة عندها مياهها من النيل .

إن « شتيار » المقريزى هذه هى « شيديا » سترابون ، ويتضح الآن أن طول الترعة منذ دخولها الأسوار المحيطة لمدينة الاسكندرية حتى تلال شيديا ، هو ٣٢ كيلو متراً تقريباً طبقا لخريطتى ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه لما كانت القصبة الحاكمية تساوى تقريبا ٣ر٩٠ مترا فإن الثمانية آلاف قصبة تعادل إذن ٢٠٠ر١ متر ، وهذا التوافق بين النتيجتين يؤيد أن شيديا تقع حيث وضعناها طبقا لشهادة سترابون .

الفرع الكانوبى للترعة

إن الفرع الذى يخرج من ترعة شيديا على بعد ثلاثة كيلومترات ونصف كيلو متر من اليوزيس كما سبق لنا القول ، كان يمضى حتى كانوب ، على جانب المرتفع الضيق الذى تقع عليه الإسكندرية وأبو قير ، ولم يعد يوجد الآن أى أثر لهذا الفرع ، ولم يذكر المؤرخون العرب شيئا عنه ، ومع هذا فقد أكتشفت ولا تزال تكتشف على طول ذلك المرتفع الضيق بعض بقايا من قناة هائلة تحت الأرض ، واذن فإن الفرع الكانوبى للترعة كان قد تحول منذ زمن بعيد إلى قناة جوفية تحمل الماء العذب إلى كانوب .

«وأيا كان الأمر فإن شهادة سترابون لا تدع أى شك فى وجود ترعة بين الإسكندرية وكانوب ، وفيما يلى ما قاله هذا الكاتب :

« بعد تجاوز الترعة[1] . التى تؤدى إلى شيديا ، يمضى الإنسان مع بقية الترعة حتى مدينة كانوب ، فى اتجاه مواز لهذا الجزء من الشاطىء الذى يبدأ من فاروس وينتهى عند المصب الكانوبى ، والمسافة من الترعة إلى البحر تكون شريطا ضيقا يجد الإنسان عليه ، بعد نيكوبوليس — تابوزيريس الصغيرة Taposiris والزيفيريوم — Zéphyrium وهو الرأس الذى يقوم فوقه معبد صغير لفينوس أرسينوى Vénus Arsinoé ويقال إنه كان يوجد هناك فى الماضى مدينة تونيس Thonis التى سميت باسم الملك الذى أكرم مينلاس Ménélas وهيلين ، والواقع أن هومير يقول إن البلسم الشافى الذى كان لدى هيلين قد أعطتها إياه (بوليدامنا Polydamna) زوجة تون Thon .

---

(١) انظر سترابون . ترجمة لترونت . الجزء ٥ . الصفحة ٣٥٨ وما يليها .

وكانوب مدينة تقع على بعد ١٢٠ ستادا من الإسكندرية بطريق البر ، وقد سميت باسم (كانوبوس) قبطان مينلاس الذى مات فى هذه الجهة ، ويجد الإنسان هناك معبداً لسيرابيس Sérapis يلقى من الناس تعظيما كبيرا وتقام فيه طقوس دينية عديدة ، وحتى الناس الذين ينتمون لأعلى الطبقات يتبركون به ويأتون للنوم فى رحابه أو يدعون غيرهم لينامو فيها بالنيابة عنهم ، وهناك من يدونون حكايات عن شفاء الأمراض ، ومن يجمعون البراهين على جدوى الاجابات التى يوحى بها هناك ، ولكن لا شيء يشبه جماعة أولئك الذين يذهبون لمناسبة العيد من الاسكندرية إلى كانوب بطريق الترعة ، فليلا ونهارا يرى الإنسان جمعا من الناس ، رجالا ونساء ، بعضهم يباشرون رقصا إباحيا للغاية على نغمات الموسيقى فوق السفن ، والبعض الآخر ينتشرون فى الخانات (بالخاء) التى فى كانوب على شاطىء البحر والمناسبة تماما لحفلاتهم » .

إن هذه الفقرة الضافية من سترابون ليست بحاجة إلى أى تعليق ، إنها تدلنا بدقة على مسار الفرع الكانوبى للترعة حتى كانوب فى اتجاه مواز للشاطىء ابتداء من فاروس حتى المصب الكانوبى ، ونحن نعرف أن الشاطىء بين فاروس وبين المصب الكانوبى للنيل ليس مستقيما ، وأنه يتكون من قسمين سيكونان زاوية قائمة عندرأس أبو قير ، وإذن فان مدينة كانوب أو طرف الترعة لا بد أن يقعا بوجه عام على الشاطىء على بعد ستة كيلو مترات تقريبا جنوب شرقى رأس أبو قير ، وبالضبط فى الجهة التى اقتحمها البحر وحيث حدث القطع فى أبو قير على أننا سنناقش هذه المسألة الهامة فى الفقرات التالية .

موقع مدينة كانوب Canope

يتفق رأى علماء الحملة الفرنسية مع رأى العلماء المصريين على أن مدينة كانوب تقع على الشاطىء على بعد أربعة كيلو مترات تقريبا من جنوب غربى طرف رأس أبو قير ، وبهذا يكون هذا الموقع على بعد نحو خمسة عشر كيلو مترا من مدينة الاسكندرية القديمة ، والواقع أن الإنسان يرى هناك أطلال بعض مساكن قديمة ، غير أننا لا يمكننا أن نقبل هذا الموقع لمدينة كانوب إلا إذا كان يتفق تماما مع شهادة الرؤية التى رواها سترابون ، وهو الكاتب الوحيد الذى يذكر لنا بعض التفاصيل عن هذه المدينة على النحو التالى .

أولا — أنه فى الفقرة الضافية التى نقلناها عنه فيما سلف ، يقول لنا : « إن كانوب مدينة تقع على بعد ١٢٠ ستاداً من الإسكندرية بطريق البر » . وهذه الـ ١٢٠ ستاداً تساوى ١٩٫٨٠٠ متر ، بينما الموقع المحدد لا يبعد عن الأسوار المحيطة للإسكندرية القديمة إلا بـ ١٥ كيلو متراً تقريبا طبقا لخريطتى المرسومة بكثير من العناية بطريق سلسلة من التثليث ، وإذن فإن هذا الموقع لا يتفق مع شهادة سترابون ولا مع شهادة اتيين دى بيزانس وايستاش Eustache [1] اللذين يذكران نفس المقاس البالغ ١٢٠ ستادا .

ثانيا — إن العبارة سالفة الذكر : « كانوب مدينة تقع على بعد ١٢٠ ستادا بطريق البر » تثبت أن طريق البر هذا يختلف فى الطول عن طريق البحر لأنه لو كان الطريقان متعادلين فى الطول لما كتب سترابون كلمتى

---

(١) انظر مذكرات لترون عن سترابون . الجزء ٥ . الصفحة ٣٦٠ فى الحاشية .

« بطريق البر » ، ولاقتصر على قوله : « كانوب مدينة تقع على بعد ١٢٠ ستادا من الاسكندرية » ويرى القارىء على خريطتى أن الموقع المذكور آنفاً عن كانوب هو على نفس المسافة من الاسكندرية ، براً وبحراً وإذن فكانوب كانت تشغل نفس المنطقة .

ثالثاً — وأخيراً ليفتح القارىء الخريطة وليقرأ بعناية الجملتين الأوليين من الفقرة الضافية التى كتبها سترابون : « بعد أن نجاوز الترعة التى تؤدى إلى شيديا يمضى الانسان مع بقية الترعة حتى مدينة كانوب ، فى اتجاه مواز الشاطىء ابتداء من فاروس حتى المصب الكانوبى ، والمسافة من الترعة إلى البحر تكون شريطا ضيقا يجد الإنسان عليه ـ بعد نيكوبوليس ـ تابوزيريس الصغيرة والزيفيريوم وهو الرأس الذى يقوم فوقه معبد صغير لفينوس أرسينوى وسيظل القارىء على يقين من أن الموقع المتعارف عليه حتى الآن لمدينة كانوب يقع على بعد أربعة كيلو مترات تقريبا من طرف رأس أبو قير ، إن هذا الموقع أبعد ما يكون عن الاتفاق مع شهادة الرؤية التى جاءت فى سترابون .

والواقع أن الزيفيريوم فى الجملة الثانية لا يمكن أن يكون سوى رأس أبو قير ، لأن سترابون ما كان ليصف هـذا الجزء من الشاطىء الذى بين الاسكندرية والمصب الكانوبى ويسكت عن ذكر الرأس الممتاز الذى يفضل أى رأس آخر على طول شاطىء مصر .

ولقد قال سترابون : « والمسافة من الترعة إلى البحر تكون شريطا ضيقا يجد الإنسان عليه — بعد نيكوبوليس — تابوزيريس الصغيرة والزيفيريوم » . وإذن فإن مدينة كانوب ليست واقعة فى هذا الشريط الضيق ، وإلا لذكرها

سترابون مع نيكو بوليس وتابوزيريس الصغيرة والزيفيريوم الذى حدد فوقه معبد فينوس أرسينوى .

إن هذا المعبد كان يشغل حتما فوق الرأس بالضبط نفس المكان الذى يراد وضع كانوب فيه ، وتابوزيريس الصغيرة ما كان يمكن أن تشغل سوى موضع هذه الأطلال القديمة التى ترى على الشاطىء على بعد ١١ كيلو مترا تقريباً من الأسوار المحيطة لمدينة الاسكندرية القديمة وعلى بعد ٨٠ متر شمالى القرية الصغيرة المسماة (بالمندرة) .

أما عن موقع مدينة كانوب فيمكن تحديده — حسابيا تقريبا — بمساعدة هذه الجملة من سترابون : « بعد المرور بالترعة التى تؤدى إلى شيديا يمضى الإنسان على بقية الترعة حتى مدينة كانوب ، فى اتجاه مواز لهذا الجزء من الشاطىء الذى يبدأ من فاروس وينتهى عند المصب الكانوبى » . وذلك لأن هذا الجزء من الشاطىء الذى يبدأ من فاروس وينتهى عند المصب الكانوبى يتكون من قسمين : أحدهما عمودى تقريبا على الآخر (الأول من فاروس حتى طرف رأس أبو قير فى خط مستقيم فى اتجاه الشمال الشرقى ، والآخر يبدأ من هذا الطرف فى اتجاه الجنوب الشرقى متابعا الشاطىء وراء الرأس) وإذن فان بقية الترعة — لتحقيق المحازاة المشار اليها — كانت حتما هى أيضا مكونة من قسمين موازيين لقسمى ذلك الجزء من الشاطىء موضوع الحديث ، وإذا طبقنا هذه الاتجاهات على الأرض وإذا راعينا أن النقطة الأخيرة يجب أن تكون على بعد ١٢٠ ستادا أو ١٩٨٠٠ مترا من الأسوار المحيطة بالاسكندرية القديمة بطريق البر ، فاننا نصل إلى وسط امتداد سد أبو قير ، وبالضبط إلى

أكثر أجزاء هذا السد ارتفاعا ومتانة والتى تشبه تلا ضخما أكلت الأمواج جانبا كبيرا منه .

إن هذه النقطة هى موقع مدينة كانوب وهى تتفق بوجه عام مع ما ذكره سترابون ولا تناقض شيئا من شهادة الكتاب القدامى الآخرين ، وهى على نفس مسافة الستة كيلو مترات تقريبا من طرف رأس أبو قير ومن التل المسمى (الكوم الأحمر) ، والواقع على الشاطىء على بعد كيلو مترين غربى الفتحة التى تصل بين مياه البحر ومياه بحيرة أدكو والتى تسمى بمصب (المعدية) .

ويبدو أن البحر قد طغى كثيرا على الأرض فى هذه النواحى ، وموقع مدينة كانوب قد أصبح كله تقريباً تحت الماء . ولا بد أن هذه المدينة قد أضحت مهجورة واستحالت أطلالا من وقت بعيد جداً ، لأن الكتاب العرب ، وحتى أقدمهم ، لم يذكروا شيئا عنها .

مصب الفرع الكانوبي للنيل

يقول سترابون : « بعد كانوب يجد الإنسان[1] هيرا كليوم Heracleum وبها معبد لهرقل ، ثم المصب الكانوبي حيث تبدأ الدلتا ». و (الكوم الأحمر) الذى سبق أن تحدثنا عنه ، هو المكان الوحيد الذى ترجح كفته على غيره كموقع لهيرا كليوم ، وهو يحتوى على آثار بعض مبان قديمة وتنتهى عنده تلك السلسلة من التلال التى تمتد فوق أرض مرتفعة نوعا ما وتكون شريطا ضيقا ومتعرجا بين شيديا والبحر ، وهذا الشريط يحتوى بلا شك على أثر القاع القديم للنهر ، وكانت هذه المرتفعات تكون الحاجز الطبيعى لمياه النيل وتمنعها من الانتشار فى حوض بحيرة مريوط . كما كانت كذلك حدا للدلتا من ناحية الشمال الغربى . ومن ثم فلابد أن مصب الفرع الكانوبى – الذى يسمى أحيانا المصب الهرقلى – كان عند سفح التل ، أى الكوم الأحمر ، أو على مسافة كيلو مترين من هناك ، عند مصب (المعدية) بدليل ما يلى :

أولا – يحدثنا سترابون عن مسافة قدرها ١٥٠ استادا[2] بين المصب الكانوبى وجزيرة فاروس وهو ما يعادل ٢٥ كيلو متراً تقريبا ، ونحن نجد مسافة قدرها ٢٥ كيلو مترا ونصف كيلو متر على خريطتنا بين الكوم الأحمر وجزيرة فاروس على خط مستقيم ، ومعنى ذلك أن المصب الكانوبى كان حقيقة قريبا جدا من الكوم الأحمر .

---

(١) سترابون . ترجمة لترون . الجزء ٥ - الصفحة ٣٦١

(٢) سترابون . ترجمة لترون . الجزء ٥ – الصفحة ٣٢٨

ثانيا أن أعمال الحفر التي أجراهـا لاروس Lar usse حول سنة ١٨٥٩ فى خليج أبو قير لا تدع أى شك فى أن المصب السكانوبى للنيل يقع عند سفح تل السكوم الأحمر ، والواقع أن مصب النهر يرى ظاهرا فى قاع مياه الخليج بمجريين يمتدان من السكوم الأحمر إلى قرب جزيرة أبو قير ، على طول ستة كيلو مترات تقريبا من الأرض الحالية ، وبينهما حتى الآن ترعة المصب على عمق ستة أو سبعة أمتار تحت المياه ، بينما الحفرتان على عمق مترين أو ثلاثة أو أربعة أمتار من نفس المياه ، إن هذه الشواطىء التى كونها طمى النيل ، لتشبه تلك التى ترى الآن عند المصبين الحاليين للنيل فى البحر أكثر من ستة كيلو مترات ومكونة بذلك رأسين وراء رشيد ودمياط .

ولا بد أن الأراضى الواطئة عند المصب السكانوبى كانت فى الماضى فوق مستوى سطح البحر ، وبناء على ذلك كانت تكون مع الشاطىء حتى رأس أبو قير ما يشبه الميناء بالنسبة لمدينة كانوب .

الفرع الكانوبى للنيل

لدينا الآن بالفعل ثلاث نقط محددة جيدا للفرع الكانوبى للنيل ، وهى : السكوم الأحمر أو موقع هيراكليوم Héracleum الذى يلتقى النهر عند سفحه بالبحر ، ثم شيديا وكريون ، وبينهما كانت ترعة الإسكندرية قديما تستمد مياهها وهذا الجزء من النهر يمر بالتل « كوم الذهب » الواقع على الشاطىء الأيسر على بعد أربعة كيلومترات جنوبى هيراكليوم ، وهذا التل يضم كثيرا من المبانى القديمة ، ومن هناك حتى شيديا وكريون يمر النهر ذاته بكيمان مازن وهى سلسلة من التلال يبلغ طولها نحو كيلو متر ونصف كيلو متر ويجد الإنسان فيها بعض أساسات قديمة ، وهى تقع على بعد ثمانية كيلو مترات تقريبا من هيراكليوم على نفس الشاطىء الذى تقع عليه هذه الأخيرة وكوم الذهب .

وعند شيديا وكريون على مسافة نحو خمسة كيلو مترات من هيراكليوم، كان النهر ينحنى نحو الشرق ويصعد مارا بأبى حمص ، ثم بنقرها Naucraha عند دمنهور ، ثم بتلال إيتاى البارود ، وبعد ذلك يقترب من الجبل نحو كوم شريك ثم يصعد نحو مدينة منوف — وهى موممفيس Momemphis القديمة لكى يمر بعد ذلك بمدينة ممفيس التى يوجد الآن فى مكانها ميت رهينة Mit–rahine والبدرشين ، وفيما يلى أسباب ذلك :

أولا — أن بروكوب حين يقول : « هناك — عند كريون — كانت تبدأ ترعة الإسكندرية وكان النهر ينحرف[1] إلى اليسار تاركا منطقة الاسكندرية

---

(١) انظر هامش لترون فى سترابون — الجزء ٥ — الصفحه ٣٠٧

فإنه يبين لنا أن النهر كان يتجه نحو الاسكندرية قبل انحرافه عند كريون لكى يصل إلى هيراكليوم ، ونحن نرى أن ذلك لا يتأتى إلا إذا كان النهر يمر بجانب تل أبو حمص، وموقع هذا التل على شاطىء النهر هو أكثر احتمالا ، وخصوصا أن كلمة « حمص » يمكن تماما أن يكون تحريفا لكلمة هرموس Hermos أو هرموبوليس — Hermopolis ، وهى المدينة التى كانت توجد فعلا على الشاطىء الأيسر للنهر كما يقول سترابون فى الفقرة التالية : « ابتداء من شيديا [1] وصعودا إلى ممفيس ، يجد الإنسان إلى اليمين مجموعة من مدن صغيرة تمتد حتى بحيرة ماريا Marea ومن بينها شابور وعلى شاطىء النهر توجد هرموبوليس وجينيكوبوليس Gynécopolis وإقليمها ، ثم مومفيس وإقليمها ، وبين هذه الأماكن توجد عدة ترع تصب فى بحيرة مريوط .

ثانيا — إن نقرها Naucraha أو نوقراطيس Naucratis عند دمنهور ، التى كانت فى عصور الفراعنة الأواخر أهم مدينة تجارية فى مصر كلها ، كانت تسمى نقراطيس ، وكانت واقعة على الشاطىء الأيمن للفرع الكانوبى للنيل . أعلى قليلا من شيديا [2] على قول سترابون ، ويقول هيرودوتس : « إن نقراطيس [3] كانت فيما مضى المدينة التجارية الوحيدة فى مصر ، وإذا نزل تاجر عند مصب آخر للنيل غير المصب الكانوبى فقد كان عليه أن يقسم أنه لم يدخل بمحض إرادته ، وبعد أداء هذا القسم كان يذهب بنفس السفينة إلى المصب الكانوبى . فإذا عاكسته رياح مضادة ، فقد كان يضطر لنقل

(١) سترابون . ترجمة لترون . الجزء ٥ — الصفحة ٣٧٠ وما يليها .

(٢) سترابون . ترجمة لترون . الجزء ٥ — الصفحة ٣٦٣

(٣) انظر هيرودوتس . ترجمة لارشيه Larcher ، الجزء ٢ . الصفحة ٢٢٢

بضاعته فى براميل حول الدلتا حتى تصل إلى نقراطيس . وهكذا كانت الامتيازات التى تتمتع بها هذه المدينة » .

وفى البند (١٧٨) CLXXVIII من الكتاب الثانى يقول هيرودوتس أيضا : « أن أحمس أبدى كثيرا من المودة نحو اليونانيين، وأسدى معروفا إلى الكثيرين منهم . وكان من بين ماسمح لهم به المجىء إلى مصر والاستقرار فى نقراطيس » .

إن مثل هذه المدينة ما كان يجوز أن تتوارى فى داخل البلاد ، لأن الفراعنة الأواخر ، مع سماحهم للأجانب بدخول مصر لممارسة التجارة ، قد احتفظوا بعاداتهم القديمة فلم يسمحوا للإغريق أن تطأ أقدامهم أرض مصر المقدسة، وعلى ذلك فإن نقراطيس لابد أن يكون مكانها فوق شيديا بقليل طبقا لشهادة سترابون، والإنسان لايرى فوق شيديا ، فى داخل البلاد ، من التلال الأخرى ذات الأهمية الكبيرة التى يمكن أن تنم عن وجود مدينة أثرية كبيرة مثل نقراطيس ، لايرى سوى هذه الأطلال الماثلة التى تقع فوقها الآن مدينة دمنهور التى تقع على بعد ٣٠ كيو مترا جنوب شرقى شيديا ، وهى تتكون من أربع قرى ، أهمها الآن قرية لاتزال تسمى باسم نوقراه Naucraha وإذا راعينا أيضا أن التاء المربوطة تنطق فى العربية كتاء مفتوحة أو هاء فى الأسماء والأسماء المعرفة، فإننا نوقن من التشابه بين كلمة نوقراه ونقراط، وكذلك من موضع تلال دمنهور وامتدادها الشاسع ، أن هذه المدينة تشغل مكان مدينة نقراطيس.

ويمكننا فى ظل هذه النتيجة التى وصلنا إليها ، أن نضيف أن موقع المدينة الأثرية أنتيل Anthylle هو (تل الكنائس) . لأن هذا التل العظيم يوجد

تقريبا جدا ، على الخط المستقيم الذى يذهب من كانوب إلى تقراط ، ونحن نعرف أن هيرودوتس يقول : « إذا ذهبت من البحر من كانوب إلى تقراطيس بطريق السهل ، فإنك تمر على مقربة من مدينتى أنتيل [1] وأرشاندر » .

ويستطرد هذا الكاتب نفسه قائلا : « وأنتيل مدينة كبيرة ، وهى تكون دائما جزءاً من إيراد قرينة ملك مصر ، وهذا الجزء مخصص لأحذيتها ، وأصبح ذلك تقليدا مرعيا منذ خضعت البلاد للحكم الفارسى .

وعندى أن هذا التل هو وحده الذى يتفق مع موقع هذه المدينة وامتدادها الشاسع ، إن طولها ١٢٠٠ متر وعرضها ٦٠٠ متر وهى الأطلال الوحيدة الكبرى التى بين كانوب وتقراط بل فى المنطقة كلها .

وهكذا فإن أطلال مدينة أنتيل Anthylle تقع بين كانوب وتقراطيس ، على بعد ١٥ كيلو مترا من الأولى ، و٣٠ كيلو مترا من الأخرى ، والتشابه البسيط الذى بين اسم تقراطيس ، واسم (تقراش) الذى يسمى به التل الضئيل الواقع على بعد عشرين كيلو مترا تقريبا جنوب شرقى دمنهور قد سبب خطأ علمائنا المحدثين ، إذ ظنوا تل تقراش موقعا لمدينة تقراطيس ، لكن صغر هذا التل ووقوعه داخل البلاد يعارضان زعمهم هذا ، خصوصا أن سترابون يؤكد أن تقراطيس تقع فوق شيديا بقليل ، على الشاطىء الأيمن للنهر .

ثالثا — لا بد أن تلال إيتاى البارود كانت تقع أيضا على النهر ، لأن سترابون يقول : « إلى اليسار (مع صعود النهر) فى الدلتا ، توجد تقراطيس ،

(١) هيرودوتس . ترجمة لارشيه . الجزء ٢ . . . . الصفحة ١٧٧

وهذه المدينة تقع على شاطىء النهر [1] فى المكان الذى تبعد عنه سائيس Sais مسافة شينين 2 schènes إن هذين الشينين يساويان ٨٠ ستادا يونانيا طول كل منهما ١٦٥ مترا ، كما بينا من قبل ، أى أن المسافة بين مدينة سائيس والنيل هى ١٣٫٢٠٠ متر فاذا أخذنا هذه المسافة كنصف قطر ، فإننا نرسم قوس دائرة مركزها تلال صاالحجر التى تعتبر باجماع الآراء مقراً لمدينة سائيس ، وبذا نصل إلى تلال إيتاى البارود ، ومن ذلك يمكن أن نستنتج أن هذه التلال تدل على مواقع بعض قرى أثرية كانت تقع على النهر ، وهذه التلال تبعد ١٧ كيلو مترا عن الجبل الليبى ، ولكن من هناك يعود النهر إلى الصعود ويقترب جدا من كوم شريك وعلقام .

رابعا — إن القريتين كوم شريك وعلقام الواقعتين عند سفح الجبل ، وبينهما اثنا عشر كيلو مترا ، لا بد أنهما احتفظتا بموقعهما على مقربة من النهر ، لأن هيرتيوس يخبرنا أن بطلميوس قد ركب من الإسكندرية عبر الترعة مع جيوشه صاعدا مع النيل لكى يقابل متريداتيس Mithridate الذى جاء من سوريا بجيش كبير لنجدة قيصر ، واقترب من الدلتا ليمر على النهر ، وأن قيصر نفسه بعد أن غادر الاسكندرية أيضا وسار بطريق البر متفاديا ماريا Marea ، قد انضم إلى ميتراديتس وقاد معركة فاصلة ضد الملك بطلميوس الذى أقام معسكره على مرتفع كان جزءا من الجبل القريب جدا من النيل ، إن هيرتيوس يقول إن الملك «قد أقام معسكره على مرتفع ، كان محصنا ومشرفا على كل السهل المجاور الذى غطيت ثلاثة من جوانبه بأنواع مختلفة من وسائل الدفاع . وكان أحد

---

(١) سترابون . ترجمة لترون . الجزء ٥ . الصفحة ٣٧٣

هذه الجوانب يستند إلى النيل [1] بينما كان الثانى يشغل المرتفع ويكون الجزء الأكبر من المعسكر ، أما الثالث فكان يحف به مستنقع » .

وإذن فقد وقعت المعركة فى جهة مجاورة للجبل وملاصقة للنيل ، وقد رأينا من قبل أن النيل ابتداء من مصبه عند هيرا كليوم حتى إيتاى البارود كان بعيدا عن الجبـــــل الليبى ، وسنرى فيما بعد أنه من مومفيس — التى هى الآن منوف — حتى قمة الدلتا ، لا بد كان بعيدا أيضا عن نفس الجبـل ، وينتج من ذلك أن النيل ما كان يقترب من الجبـل إلا فى جزء منه بين إيتاى البارود ومنوف ، حتى يمكن أن يتحقق ما قاله هيرتيوس ، والواقع أننا نرى أن النهر يكون هناك انحنـــاءة ويتقدم فى السهل تحت منوف قليـلا ؛ بين قريتى كوم شريك وعلقام الواقعتين عند سفـح الجبل يفصل بينهما اثنا عشر كيلو مترا ونصف كيلو متر .

ونحن نستنتج إذن بشكل قاطـع أنه بين موضعى هاتين القريتين دون غيرهما وقعت المعركة بين الملك بطليموس ويوليوس قيصر ، وأن النيل لم يكن إلا على مسافة قليلة جدا من الجبل ، أى على بعد كيلومتر واحد أو كيلو مترين كما هو الآن .

إن الزاوية التى تقع عند طرفها كوم شريك وعلقام تكون نقطة استراتيجية تلفت النظر لدرجة أن منظرها وحده قد أوحى إلى عبقرية نابليون العسكـرية أن ذلك هو المكان الذى أقام فيه الملك بطليموس معسكره استعدادا للمعركة

---

(٢) هيرتيوس . حرب الاسكندرية . ترجمة المسترديويلى طبعة ١٨٠٦ de Wailly الجزء ٢٠ — الصفحة ٣٢١

ضد يوليوس قيصر، والمؤرخون العرب يؤكدون لنا أن الاسكندريين قد احتشدوا فى جمع غفير فى كوم شريك وأقاموا معسكرهم ليحاولوا صد عمرو بن العاص الذى وجه جيوشه نحو الاسكندرية بعد أن فتح الجزء الأعلى من الوجه البحرى . وكادت قوة الفاتحين وشجاعتهم لا تجديهم نفعا أمام كوم شريك ، ومن المؤكد أن هناك أيضا وقعت فى الماضى تلك المعركة الشهيرة بين أبرييس Apriès وأمازيس Amasis التى يحدد هيرودوتس مكانها عند موممفيس تقريبا والتى يقول عنها ديودوز الصقلى : « إن المعركة التى يحدد هيرودوتس مكانها عند مومفيس قد وقعت قرب بلدة ماريا Marea [1] » .

وليس هناك تناقض بين هذين المؤرخين اليونانيين ، لأن ما ذكره الكتاب العرب فى الواقع يضع بلدة تسمى ماريا أو مريوط Maréoute فوق كوم شريك ، بين علقام ومنوف ، ذلك أننا نقرأ فى المقريزى ما يلى : « إن أحمد بن جردديه يقول [2] إن المسافة بين الفسطاط إلى (ذوات الساحل) هى ٢٤ ألفيا رومانيا ، ومن هناك إلى مريوط ٣٠ ألفيا ، ثم إلى كوم شريك ٣٠ ألفيا ومن هناك إلى كريون ٢٤ ومن كريون إلى الاسكندرية ٢٤ ألفيا » .

وفى الفصل الخاص بفتح الاسكندرية يقول المؤرخ نفسه : إن عمراً حين غادر الفسطاط واتجه نحو الاسكندرية [3] قد واجه أولا بعض الأعداء اليونانيين فى مريوط ، وكان من السهل الانتصار عليهم ، وبعد ذلك واجه

---

(١) هامش فى ترجمة سترابون بقلم لترون . الجزء ٥ — الصفحة ٣٧٢

(٢) المقريزى . طبعة بولاق . الجزء الأول . الصفحة ١٦٢ و ١٦٣

(٣) المقريزى . طبعة بولاق . الجزء الاول . الصفحة ١٦٢ و ١٦٣

جميع اليونانيين مجتمعين فى كوم شريك ، وهناك حارب مدة ثلاثة أيام » .

إن هاتين الفقرتين تدلان على وجود بلدة تسمى مريوط بين الفسطاط وكوم شريك . وإذا لم تكن الأرقام المذكورة فى الفقرة الأولى عن المسافات بين المحطتين الأوليين قد تعرضت لنسخ الناسخين ، فإن مريوط إذن تقع على بعد ٥٤ ألفيا من الفسطاط أى ما يعادل ٨٠ كيلو مترا تقريبا . وهذه المسافة على الخريطة ، ابتداء من الفسطاط ، تضع مريوط قريبة جداً من (زاوية البقلى) ، على مسافه ثلاثة ألفيات رومانية فوق كوم شريك ، غير أن هذه المسافة الأخيرة أقل من أن تكون محطة ، والمرجح أن رقم الثلاثين الذى قدر للمسافة بين (ذوات الساحل) وبين مريوط قد اعتوره تغيير « فى النسخ » ولا بد أنه كان ٢٠ ألفيا رومانيا وليس ٣٠ ، وبذا تكون مريوط واقعة على بعد ١٣ ألفيا رومانيا فوق كوم شريك ، عند « مشمين » Michemin بين علقام ومنوف .

أما مسافة ٢٤ ألفيا المحسوبة بين كوم شريك وبين كريون والاسكندرية ، فقد اعتراها تغيير خطير بلاشك لأن موقع كل من كوم شريك وكريون والإسكندرية معروف جيدا ، والأمر لا يتطلب سوى أن نقيس على الخريطة لكى نتأكد من أنه توجد ٥٣ ألفيا رومانيا – وليس ٢٤ – بين كوم شريك وكريون ، وأنه توجد ٢٠ ألفيا رومانيا – وليس ٢٤ – بين كريون والاسكندرية .

وأيا كان الأمر ، فإن هذا التصويب الذى أجريناه الآن فى الأرقام

الواردة بالفقرة الأولى من كلام المقريزى ، لا يؤثر مطلقا فى حقيقة وجود بلدة صغيرة تسمى « مريوط » Maréoute فوق كوم شريك .

خامساً — إن مدينة منوف كانت تقع على النهر ، ولإثبات ذلك نبين أن منوف تشغل مكان المدينة القديمة مومفيس ، لأن هذه المدينة كانت تقع على النهر كما نستدل من شهادة سترابون التى نصها : « ابتداء من شيديا ، صعودا نحو ممفيس، يرى الانسان إلى اليمين مجموعة من البلاد الصغيرة تمتد حتى بحيرة ماريا Marea . ومن بينها شبريوكوم ، وعلى شاطىء النهر توجد هرموبوليس وجينيكوبوليس ومديرية جينوكوبوليت ، ثم مومفيس[1] ومديرية مومفيت ، وبين هذه الأماكن توجد عدة ترع تصب فى بحيرة مريوط Maréotis » .

وبعد بضعة أسطر يستطرد سترابون قائلا : « وفوق مومفيس يوجد منجمان للنطرون وتبعا لهما سميت المديرية « نطريوتيس » Nitriotis ولا تزال مديرية نطريوتيس تعرف اليوم بنفس هذا الاسم تقريبا ، فانها تسمى « وادى أو مديرية النطرون » ، وهو واد طويل جدا وعريض عرضا لا بأس به ويقع خلف الجبل ، وهو على بعد ٤٥ كيلو مترا فوق مدينة منوف إذا سار الإنسان فى الطريق الذى يمر بقرية « بنى سلامة » ، وعلى بعد ٦٠ كيلو مترا ابتداء من نفس المدينة إذا سار الإنسان بالطريق الذى يمر بقرية « طرناح » وهو مطروق أكثر من سابقه . وإلى هذا الوادى لجأ[2] القديس مقار بعد أن اضطهده سانت أثناسيوس بطريرك الاسكندرية ، وأنشأ بعض

(١) انظر سترابون . ترجمة لترون . الجزء ٥ — الصفحة ٢٧١

(٢) انظر وصف مصر . الدول الحديثة . الجزء ١٨ . الفصل الأول . الصفحة ٤٢١

أديرة لاتزال تسمى باسمه بالقرب من بحيرات النطرون وهذا الوادى ينتج كل سنة مقداراً كبيرا من النطرون لاستهلاك البلاد وللتصدير إلى الخارج .

إن موقع هذا الوادى ، وبخاصة موقع مناجم النطرون فوق هـذا الجزء من وادى النيل بالذات ، الذى يمتد بين علقام ومنوف وبنى سلامة ، يثبت طبقا لشهادة سترابون أن موقع مدينة موممفيس كان لا بد قريبا من هذه المنطقة .

وبعد فإن وفرة الأطلال القديمة التى تقع فوقها مدينة منوف ، وانعزال هذه الأطلال عن المنطقة المذكورة ، والتشابه بين اسم موممفيس واسم منوف ، وأخيرا كون منوف هى المكان الرئيسى بمديرية المنوفية التى سميت تبعا لاسم هذه المدينـة منذ العصر العربى ، كما أن مدينـة موممفيس فى العصر القديم قد خلعت اسمها على إقليم بأكمله — هل هذه الاعتبارات جميعا لا تكفى لإثبات الشبه بين اسم مدينة موممفيس واسم مدينة منوف، وكون الأخيرة تشغل الآن مكان الأولى ؟ إن هذه النتيجة تبدو لى أقرب إلى الاحتمال ولاسيما أن مدينة منوف قد اشتهرت فى مصر وبخاصة عند أهالى مديرية المنوفية بأنها مدينة فرعونية قديمة ، بل يقال إنهـا ممفيس ثانية ، وفضلا عن ذلك فإن الترعة الكبيرة سدت والتى لا يزال الإنسان يراها الآن بين منوف وبين قرية نادر Nadir تجاه « علقام » ـ هذه الترعة ألا يذكرنا اسمها وهو « بحر الفرعونية » بقاع النيل القديم الذى كان يمر من هنالك ؟ واسم «طمالية» الذى تسمى به قرية تقع تقريبا على شاطىء بحر الفرعونية ، وهو المشتق من كلمة « طما » أى سد بالطمى المتجمع من النيل — هذا الاسم ألا يذكرنا بالقاع القـديم للنيل الذى سد ؟ وأخيرا فإن سلسلة المواقع التى يرينا إياها الفلاحون الكهول بين منوف

والقناطر على أنها كانت فى قديم الزمان جزءا من مجرى النيل طبقا للتقاليد الشعبية التى انحدرت إليهم من الأجيال الماضية — هذه السلسلة تبين أن النيل بعد أن كان يجرى بجانب الجبل بين كوم شريك وعلقام ، مستمرا فى طريقه صعدا نحو منوف أو مومفيس القديمة — كان يشمـل فى قاعه بحر الفرعونية ويمر غرب منوف ثم يصعد على مقربة من قرى (أبو ركابه) و (صرواح) و (شلقان) و (كاراكنيه) و (كوراتيين) و (أبو الغيط) حتى القمـة القديمة للدلتا ، وهى القمة التى طبقا لشهادتى سترابون وبلنيوس ، لا يمكن أن توجد إلا بين منية السيرج و شبرا و الوراق ، على بعد ٢٠ أو ٢٢ كيلومترا تقريبا من الطرف الشمالى لممفيس .

ذلك لأن سترابون يقدر بثلاث شينات Schènes [1] . أو ٢٠ كيلومترا تقريبا المسافة التى بين قمة الدلتا وممفيس ، وبلنيوس Pline يقدرها بـ ١٥ ألفية رومانيا milles [2] أو بنحو ٢٢ كيلو مترا .

غير أننا قد بعدنا كثيراً عن موضوعنا ، وتقدمنا كثيراً فى داخل مصر والآن فلنترك النيل ولنعد إلى الاسكندرية ، ونحن نلاحظ أن الفرع البولبوتيني Bolbotine للنيل — فى الوقت الحاضر فرع رشيد — لا بد أنه كان يتفرع من الفرع الكانوبى على مسافة قليلة شمال تلال إيتاى البارود ، لأن ضيق المرتفعات الفـاصلة بين مجرى هـذا الفرع وبحيرة المعدية — بين مصبه وبين العطف Atfeh — لا يسمح له بأن يغير مجراه فى هذا الجزء . وإذن فلا بد أن الفرع

---

(١) سترابون ترجمة لترون . الجزء ٥ . الصفحة ٣١٢ .

(٢) انظر الهوامش فى ترجمة سترابون . الجزء ٥ . الصفحة ٣٩٣ .

البولبوتينى قد احتفظ بمجراه بين العطف ورشيد ، وبالنسبة لجزئه الأعلى لابد أنه كان يصعد من العطف إلى ديسيا Diciéh ولقانه ثم يتصل بفرع كانوب الرئيسى نحو برقامه Birkama ، تحت تلال إيتاى البارود قليـلا ، وهذا المجرى ما كان يمكن أن يتجه غير هذا الاتجاه ، لأننا إذا ملنا به نحو الشرق فإننا نتعارض مع سترابون الذى يقدر المسافة بين مدينة سائيس Sais والنيل بثلاث شينات Schénes أو ٢٠٠و١٣ متر وإذا ملنـا كثيرا نحو الغرب فان طبيعة انحدار الأرض تقاوم ذلك ، وإذن فان الفرع البولبيتينى Balbotine للنيل لا يمكن أن يكون إلا كما رسمناه .

اقليم مريوط و بحيرة مريوط

ينفصل إقليم مريوط عن مديرية البحيرة ببحيرة مريوط التى تحده من ناحية الشرق . وهذا الإقليم يمتد فى الشمال والشمال الغربى حتى البحر ، وفى الجنوب الغربى حتى الأطراف الدنيا أو مشارف وادى النطرون والمجرى الجاف الذى وراء أبو صير بأربعة أو خمسة ميريامترات .

ولا بد أن إقليم مريوط كان يروى فيما مضى بمياه النيل ، وإلا لما استطاع وحى الإله آمون Ammon أن يقنع سكان هذا الإقليم بأنهم مصريون إذ يقول لهم : « إن كل البلاد التى يغطيها النيل فى فيضاناته هى جزء من مصر وكل أولئك الذين يقيمون تحت مدينة اليفانتين Elephantine ويشربون من مياه هذا النهر هم مصريون[1] » . وأنا لا أشغل نفسى هنا بالبحث فيما إذا كان ماء النيل يصل فى الماضى إلى مناطق مريوط بطريق وادى المجرى الجاف أو بطريق آخر ، فإن هذا يبعدنى عن هدفى ويتطلب بحوثا طويلة

---

(١) هيرودوتس — الكتاب الثانى — ص ١٨ يقول (إن سكان ماريا وأبيس المدينتين الواقعتين على الحدود من ناحية ليبيا ، كانوا لا يعتقدون أنهم مصريون بل ليبيون . ولما كانوا قد كرهوا الحفلات الدينية التى تقام فى مصر ورفضوا الامتناع عن أكل لحوم البقر ، فقد أرسلوا إلى وحى أمون لكى يبينوا له أنهم باقامتهم خارج الدلتا باختلاف لغتهم عن لغة المصريين ، فانهم لا يرتبطون بهذا الشعب ومن ثم فانهم يريدون السماح لهم بأكل جميع أنواع اللحوم ، ولكن الاله لم يسمح لهم بشىء من ذلك ، وأجابهم الوحى بأن كل البلاد التى يغطيها النيل هى جزء من مصر وأن جميع أولئك الذين يعيشون تحت مدينة الفانتين ويشربون من ماء هذا النهر هم مصريون) .

لا يتسع الوقت لها الآن . ولذا أقتصر على إعطاء فكرة عامة عن الحالة القديمة لأقليم مريوط وعلى بيان مواقع مدن ماريا Maréa وتابوزيرس Taposiris وفوموتيس التى لا تزال أطلالها موجودة وتسمى بالنسبة للمدينتين الأخيرتين بنفس الاسمين القديمين .

إن هذه المناطق التى يسكنها الآن عرب رحل ولا يزرعون فيها سوى بعض حقول صغيرة من الشعير بفضل الأمطار التى تنزل هناك بغزارة — هذه المناطق كانت فيما مضى كثيرة السكان وافرة الخيرات . والأشهر الأربعة التى قضيتها فى السنة الماضية مقيما فى هذا الجزء من الصحراء لكى أطابق بين تخطيطها وبين تخطيط بحيرة مريوط — هذه الأشهر الأربعة قد جعلتنى أقدر ما كان لهذا الإقليم من رخاء فى الماضى وهو الذى اشتهر فى العصور القديمة بامتياز كرومه وأنبذته التى كان يصدرها كل سنة إلى مدينة روما بوجه خاص وإلى المدن الأخرى فى الخارج عموما .

وأرض مريوط تتكون من أربعة أجزاء أو أشرطة ذات ارتفاعات مختلفة ، وتتجه كلها تقريبا فى محاذاة الشاطىء ، أى من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى .

والشريط الأول هو الذى يتكون منه شاطىء البحر . ويبلغ عرضه نحو أربعة كيلو مترات عند مارابوت Marabout (العجمى) أو شمرسونيزس ، ونحو كيلو متر ونصف كيلو متر عند أبي صير . وهذا الشاطىء هو السلسلة الضيقة التى تقع عليها مدينة الاسكندرية وتنتهى عند أبو قير . وهى خصبة جدا وتنتج كثيرا من الخضروات والقاوون والبلح للاستهلاك فى مدينة الإسكندرية

والآثار التى يراها الإنسان من كل العصور هناك تدل بوفرتها على أن هذا الشاطئ كان مأهولا جدا فى جميع الأزمان .

والشريط الثانى هو ما يسمى بضهيرة البحر dhira—el—Bahr أو وادى مريوط . وهو استمرار لوادى حوض بحيرة مريوط نحو أبى صير وما وراءها. ويبدأ هذا الشريط تجاه المكس بين الشاطئ وسلسلة الجبل التى يرى فوقها من بعيد ضريح الوالى المسمى (على مرغب Ali Merghib) . ويبلغ عرض هذا الشريط نحو أربعة كيلو مترات فى امتداد نحو عشرين كيلو مترا ، والنصف الأدنى لهذا الامتداد مغطى بالمياه المالحة فهو لذلك جزء أساسى من بحيرة مريوط كما كان فى الزمن القديم . والنصف الثانى تتخلله تلال صغيرة تكون جزرا صغيرة وسط أرض مستنقعات . وهذه التلال هى خرائب مساكن عديدة من عهود شتى . وهى تنتهى عند كتلة من أطلال أخرى كثيرة الامتداد وتقع تجاه ضريح ولى يسمى (أبو الخير Aboulkheir) ويقع على بعد ٣٠ كيلو مترا من جنوب غربى عمود السوارى ، وعلى بعد تسعة عشر كيلو مترا ونصف من رأس مارابوت (العجمى) . وهنا يضيق الوادى كثيرا فلا يزيد عرضه على كيلو متر واحد بين مرتفعات الولى أبو الخير و بين الأطلال الأخيرة المعروفة بأنها أطلال مدينة ماريا Maréa أو مريوط كما سأبينه فيما بعد . وجنوب غربى هذا الولى يزيد عرض الوادى من جديد ويحتفظ بمعدل عرض قدره كيلو متران ونصف على امتداد نحو ١٣ كيلو مترا فى هذا الجانب من أبى صير و ٤ إلى ٥ ميريامتر فى الجانب الآخر . والأرض يابسة ولكنها مالحة . وهى فى هذا الجانب من أبى صير أكثر من الأطلال من جميع العصور

ويميز منها شمال شرقى أبى صير سلسلة طولها تسعة كيلومترات . والأطلال التى ترى فى الجهات المجاورة لأبى صير وبرج العرب هى أطلال مدينة تابوزيرس القديمة كما سأبينه فيما بعد . وعلى مسافة بضعة ميريا مترات جنوب غربى تابوزيريس تجاه فتحة المجرى الجاف ، وعلى بعد نحو مائة كيلو متر من الإسكندرية بنفس الوادى ، توجد أرض تسمى البردان Albaradan . وهى عبارة عن منخفض تتجمع فيه مياه الأمطار التى تسقط فى الجهات المجاورة . ولذا لايخلو من الماء خلال جزء كبير من السنة . وفى الصيف يكفى أن يحفر الإنسان على عمق نصف متر فيجد الماء الصالح للشرب بوفرة . ومن المؤكد أن هذا الموضع هو نفسه البراتون Albaraton الذى تحدث عنه هيرتيوس فى حرب يوليوس قيصر بالاسكندرية حين قال إن الأخير لما أعوزه الماء فى معسكره الذى حاصره أهالى الاسكندرية قد أوضح لقواته أنه بوصفه سيدا البحر ولأن العدو لا يملك سفينة واحدة فلن يمنعه أحد من جلب الماء العذب كل يوم على سفنه أو من البراتون [1] Aldaraton التى كانت إلى يسارهم ، أو من الجزيرة التى كانت إلى يمينهم ، لأن الريح لا يمكن أبدا أن تكون مضادة الملاحة من الجانبين فى آن واحد .

إن (برادان) هذه بعيدة جدا عن أن تنطبق على الباراتونيوم Paratonium التى قال سترابون أنها تقع على بعد ١٫٣٠٠ ستاد [2] أو ٢٥٠ كيلو مترا من الإسكندرية فهى بالتأكيد غيرها .

---

(١) تعليقات قيصر . هيرتيوس حرب الاسكندرية . الجزء ٢ . الصفحة ٢٩٥ — طبعة ١٨٠٦ . ترجمة فرنسية من ويلى Wailly

(٢) سترابون . ترجمة لترون . الجزء ٥ — الصفحة ٣٥١

والشريط الثالث هو سلسلة الجبال التى يشغل طرفها الشمالى الشرقى ضريح الولى المسمى (على مرغب) ويدخل فى بحيرة مريوط كرأس مرتفع على مسافة خمسة أو ستة كيلو مترات جنوبى المكس وخليج الاسكندرية .

وهذه السلسلة ومعها الشريط أو الشاطىء ، يضمان بينهما الشريط الثانى بكل امتداده . ويبلغ متوسط عرضها من سبعة إلى ثمانية كيلو مترات وطولها نحو مائة كيلو متر . وهى تكون أرضا غير منبسطة ولكنها خصبة . وانحدارها عموما من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى متابعة لطولها . وهذا هو الجزء الأساسى من أرض مريوط . والحقول التى لا تحصى والتى لا تزال ترى اليوم وتسمى باسم (الكروم) والعدد الذى لا يحصى من المدن أو القرى التى لا يزال الإنسان يميز أطلالها فى هذا الجزء ، (وقد أحصيت منها أربعين) ، ومعامل النبيذ والمعاصر التى اكتشفناها أثناء الحفر . والأحواض والسواقى والآبار التى نبتت الأعشاب فى أرضها — إن هذا كله وغيره يدل على رخاء هذه المنطقة فى الزمان القديم وينم عن وفرة منتجاتها من الأنبذة والزيوت ، ويشهد بصدق ما رواه الكتاب القدماء عن جمال هذه البلاد . التى تنتج العنب وكثرة عدد سكانها .

وفيما بين ضريح الولى (على مرغب) وأبى صير ، على امتداد ٣٧ كيلو مترا تقريبا من هذا الشريط ، يرى الإنسان بوضوح أطلالا ضخمة لخمس مدن غير أطلال ماريا Marèa وتابرزيريس اللتين سأتحدث عنهما فيما بعد . وأول هذه الأطلال الخمسة يسميها العرب (المدينة) ، وتقع عند الطرف الشمالى الشرقى للجبل على بعد كيلو متر واحد غربى الولى على مرغب . وطولها نحو كيلو متر

وعرضها أربعمائة متر على جانب التل . والمدينة الأثرية الثانية توجد بجانب قصر سعيد باشا فى مريوط . وتمتد نحو ٦٠٠ متر طولا على ٥٠٠ متر عرضا ، وتبعد ٢٠٫٠٠٠ متر من عمود السوارى و١٣٫٦٠٠ متر من رأس العجمى و٨٫٨٠٠ متر من أطلال المعدية . وترى وسط هذه الأطلال عدة آبار وأحواض وقد اكتشفنا منها نحو الغرب بقايا أكثر من اثنى عشر معملا لصنع النبيذ . وهى تتكون بوجه عام من حوضين كبيرين أو ثلاثة ذات مناسيب مختلفة ، وهى مغطاة بطبقة سميكة من الأسمنت لا تزال سليمة ، وتتصل فيما بينها بقنوات مبنية ومكشوفة . ويرى القارىء على ورقة مرفقة بهذه الرسالة تصميم معمل كامل اكتشفناه فى أثر يسمى (القصر) ويقع على بعد كيلومترين شمال غربى الأطلال السالفة الذكر ، والأفران التى تلاحظ فى هذا التصميم تدل على أن بعض النبيذ المريوطى ، إن لم يكن كله ـ كان يعالج بالنار .

وعند سفح هذه الأطلال يوجد واد طوله ثلاثة كيلومترات وعرضه كيلومتران ومساحته ٦٠٠ هكتار . وقد سماه سعيد باشا (مريوط الأولى) . ولكن العرب يسمونه (الغيط) . وقد اكتشف الوالى قبل ذلك أكثر من مائة ساقية بناها الرومان أو العرب ، وكثير منها لها آبار يصل عددها إلى ثمانية للساقية الواحدة ، مصفوفة حول البئر الرئيسية ومتصلة بها بواسطة قنوات تحت الأرض .

والأثر الثالث يسمى (القرية) : وهو على بعد أربعة كيلومترات من الأثر الثانى ، وخمسة عشر كيلومترا ونصف من العجمى ، وثلاثة عشر كيلومترا من

(١) هذه الورقة لم ترفق بالرسالة كما قيل هنا .

ضريح الولى على مرغب . ويبلغ امتداده نحو ٥٠٠ متر طولا ومثلها عرضا ومساحته ٢٥ هكتاراً . ولا تزال ترى هناك بقايا معامل النبيذ وبقايا معامل أخرى يبدو أنها كانت معاصر زيوت .

والأرض التى تسمى الآن باسم هذا الأثر (القرية) تبلغ مساحتها أكثر من ألف هكتار . وبها أكثر من مائة ساقية أثرية اكتشفت فى عهد سعيد باشا الذى سمى تلك المنطقة باسم (مريوط الثانية) . وإن اسم (كرم القرية) أو كرم كذا وكذا الذى لا تزال تسمى به حقول شتى تحيط بذلك الأثر ، ليذكرنا بثروة هذه البلاد التى كانت تنتج العنب .

والأثر الرابع يسمى « السر » (بكسر السين) . ويقع على الأرض المرتفعة على بعد نحو ألف متر من البحيرة ، و ٢٫٨٠٠ متر غربى الأثر الثالث ، وسبعة أو ثمانية كيلومترات شرقى أطلال مدينة ماريا Maréa أو مريوط . والحقول التى تحيط به يسمى كثير منها باسم « كرم السر » .

وأخيرا فإن الأثر الخامس يقع على مسافة سبعة كيلومترات أطلال من تقريبا أبى صير وثلاثة عشر كيلومترا من أطلال ماريا Maréa .

وتوجد أطلال مدينة فوموتيس Phomotis أيضا فى هذا الشريط الثالث من أرض مريوط . ولكنى سأتكلم عنها فيما بعد .

والشريط الرابع والأخير من مناطق مريوط يشمل أخيرا كل الأرض الواقعة بين الشريط الثالث وصحراء ليبيا ، ويمتد حتى مشارف وادى النطرون والمجرى الجاف . وبهذا الجزء آثار لا حد لها لقرى قديمة تسمى المناطق المجاورة لها باسم (كرم) .

إن هذه الصورة العامة للحالة الراهنة لأرض مريوط تكفى لتقدير ما كان لها من رخاء فى الماضى كما تدل على وفرة عدد سكانها ، ويقول جراتيان ليبير Gratien Lepère إن قسما كبيرا من سكان هذه المديرية فى القرون الأولى للمسيحية وتحت حكم أباطرة القسطنطينية كان من المسيحيين الذين هربوا من اضطهاد الدوناتيين والآريين وغيرهم من أصحاب المذاهب المختلفة « إلى صحراوات ليبيا وإقليم طيبة . وكان وادى مريوط عامرا بهم ، وبلغ عدد الأديرة التى شيدت فى القرن الرابع من الكثرة ، بحيث أن الامبراطور فالنز Valens. أمر حاكم الشرق الذى تتبعه الاسكندرية بأن يجند عددا من الرهبان وكان عدد الذين جندوا منهم فى مديرية مريوط ومديرية النطرون Nitriotis المجاورة لها من جنوب ، خمسة آلاف راهب رحلوا بالسفن إلى القسطنطينية حيث ألحقوا بجيش الامبراطور[1] » .

وقبل أن نترك مديرية مريوط نوجز الحديث عن ماريا Marea وتابوزيرس Taposiris وفوموتيس Phomotis .

---

(١) وصف مصر . الدولة الحديثة . الجزء ١٨ . القسم الثانى . صفحة ٣٤ وما يليها .

ماريا Maréa أو مريوط

يبدو أن مدينة ماريا التى سمى باسمها إقليم مريوط وبحيرة مريوط ، مدينة عريقة فى القدم . فقد ذكرها هيرودوت فى كتاباته ، وتحدث عنها الكتاب العرب فوصفوها بأنها مدينة كبيرة تقع بالقرب من الاسكندرية .

وإذا لم يكن النساخون قد غيروا أرقام الطول والعرض التى قدرها لهذه المدينة الفلكى بطلميوس ، فان ماريا كانت تقع على خط عرض يقل بمقدار عشر دقائق عن خط عرض راكوتيس وعلى اختلاف خمس عشر دقيقة من خط الطول غربى راكوتيس ، ولما كانت عشر دقائق من خط الزوال تحت خط عرض الإسكندرية تساوى ١٨٫٤٧٧ مترا تقريباً ، وكانت خمس عشر دقيقة من الخط الموازى لنفس المدينة تساوى ٢٣٫٨٦٦ متراً ، فان أطلال مدينة ماريا أو مريوط لابد أنها تقع — طبقا للبيانات التى ذكرها بطلميوس على بعد ١٨٫٤٧٧ مترا جنوبى الخط الموازى لراكوتيس ، وعلى بعد ٢٣٫٨٦٦ مترا غربى الزوال حى راكوتيس نفسه ، والواقع أن الإنسان يرى على مسافة ٢٣ كيلو متراً تقريبا غربى خط الزوال الذى يمر بالعمود المسمى بعمود السوارى القائم فى حى راكوتيس بالإسكندرية القديمة ، وعلى بعد نحو تسعة عشر كيلومترا جنوبى الخط العمودى لنفس خط الزوال — أقول إن الإنسان يرى أثراً هائلا طوله كيلومتر ونصف وعرضه ٨٠٠ متر ، ويقع تجاه ضريح الولى (أبو الخير) على مسافة كيلومتر قرب الموضع الجغرافى الذى حدده فلكى الاسكندرية القديم لمدينة ماريا .

وإذا أخذنا فى الاعتبار خطأ التقديرات القديمة لخطوط الطول والعرض

فيمكننا أن نتأكد من أن هذه الأطلال هى أطلال مدينة ماريا ، ولا سيما أننا لا نزال نرى هناك حتى اليوم بقايا مبان عظيمة مما يدل بوجه عام على وجود مدن تستحق الذكر وآثار الأرصفة والأحواض التى تحيط بهذه الأطلال من ناحية بحيرة مريوط تثبت أن هذه البحيرة كانت فى الماضى تمتد إلى هناك على الأقل ، وهى تدل فى نفس الوقت على الأهمية التى كانت لمدينة ماريا باعتبارها ميناء تجاريا .

وموقع هذه الأطلال يدل كذلك على نقطة ستراتيجية كبيرة الأهمية فان يوليوس قيصر ما كان ليستطيع أن يسير براً ويتصل بجيش ميثريداتيس إلا باللف حول ماريا ، وعمرو بن العاص ما كان ليستطيع أن يأتى من الفسطاط ليحاصر الاسكندرية إلا ماراً بماريا . وأخيراً فان نابليون الأول سار فى نفس الطريق تقريبا الذى سار فيه يوليوس قيصر لكى يتوغل فى مصر بالجيش الفرنسى ، وبالاختصار فان هذه النقطة هى مفتاح مصر من ناحية إفريقيا كما أن بيلوزيم Péluse هى مفتاحها من ناحية آسيا ، ووادى البحيرة هناك مغلق تقريبا ، وعرضه أقل من كيلومتر ، وترى هناك آثار أسوار تحصينات قديمة .

تابوزيريس Taposiris

إن أطلال تابوزيرس هى بلا أدنى شك الأطلال التى ترى الآن قرب برج العرب ، من الجانب الجنوبى الشرقى ، والتى تسمى أبوصير .

ورقما خط العرض وخط الطول اللذان ذكرهما بطليموس لهذه المدينة قد يحرفهما النساخون ، غير أن لدينا لحسن الحظ جدول تيودوس الذى يحدد ٢٥[1] ألفيا رومانيا أو ٣٧ كيلو مترا بين هذه المدينة وبين الاسكندرية ؛ ولما كانت المسافة التى قسناها على خريطتنا بين أطلال أبى صير والترعة القديمة التى كانت تصل بين البحر وبحيرة مريوط ، والتى كانت تحد ضاحية نكروبوليس من الجنوب الغربى كما سبق لنا القول فى مكان آخر ، لما كانت هذه المسافة هى ٣٧ كيلو مترا ، فإن ذلك يثبت لنا ما يلى :

أولا — أن موقع تابوزيريس هو بالتأكيد الناحية التى تسمى الآن باسم أبو صير كما أسلفنا القول .

ثانيا — أن الـ ٢٥ ألفا رومانيا milles التى وردت بجدول تيووس يجب أن تحتسب بين تابوزيريس وضاحية نكروبوليس التى اعتبرت بلا شك فى الجدول المذكور جزءاً من الإسكندرية .

ثالثا — أن الحدود التى ذكرناها لضاحية نكروبوليس مضبوطة تماما .

---

(١) انظر جراتين لبير Gratien Lepère فى وصف مصر . الدولة الحديثة الجزء ١٨ - الفصل ٢ . الصفحة ٤٢

فوموتيس Phomotis

توجد على مسافة ١٦ كيلو مترا تقريبا جنوب غربى أبو صير ، وعلى بعد نحو ثلاثين كيلو مترا من أطلال مدينة ماريا ، ونحو ثلاثة وأربعين كيلو مترا من الأطلال الواقعة بجوار قصر سعيد باشا — توجد أطـلال جميلة يستطيع الإنسان حتى الآن أن يميز بينها عدة شوارع وبيوت تظهر أسوارها المتهدمة على ارتفاع بضعة أمتار فوق الأنقاض . وهذه الأطلال الواقعة على المنحدر الجنوبى للسلسلة التى تـكون الشريط الثالث من أرض مريوط — تسمى أبو مينـا Bomonéh وهذا الاسم يذكرنا بمدينة فوموتيس Phomotis القديمة التى لا بد أنها كانت تشغل نفس هذا الموضـع طبقا لخط العرض وخـط الطول اللذين ذكرهما بطليموس لهذه المدينة . والواقع أن هذا الفلـكى يحدد موضع المدينة على خط عرض يقل ٢٠ دقيقة عن خط عرض الإسكندرية (راكوتس) ، وخط طول تقل ٣٠ دقيقة عربى خط زوال الإسكندرية (راكوتيس) وهو ما يضع فوموتيس على مسافة ٩٥٤و٣٦ مترا غربى خط الزوال الذى يمر بعمود السوارى و ٧٣٠و٤٧ مترا جنوبى الخط العمودى الذى يمر بنفس العمود ، أى فى مكان الأطلال المسماة أبو مينا Bomonéh .

وبومونيه أو فوموتيس بها كثير من السواقى والآبار والأحواض المبنـة بقطع الأحجار والتى بقيت سليمة ، غير أنهـا مسدودة ، وأخيرا يرى الانسان هناك كثيرا من الأقباء المتهدمة ، الأمر الذى يدل على أن البيوت هناك ذات أقباء على الأقل فى الطبقات الأولى منها .

بحيرة مريوط

لا تزال مساحة بحيرة مريوط حتى الآن كما كانت منذ ألفى سنة تقريبا، وكل ماحدث هو أنها لم تعد صالحة للملاحة . بل إن الإنسان ليستطيع عبورها على قدميه فى بعض السنين ، وكانت هذه البحيرة قد جفت تقريبا إلى أن غمرها الانجليز بالماء فى سنة ١٨٠١ حين قطعوا سد أبو قير لكى يحصروا الفرنسيين فى الإسكندرية بقطع اتصالهم بقواتهم التى بالقاهرة .

وما يقع من البحيرة بين الشريط الأول والشريط الثالث من منطقة مريوط تحده من الجنوب الغربى طلال مدينة ماريا *Maréa* أما بقية البحيرة أى الجزء الأساسى منها فتحده جنوبا جزيرة التفلة وكوم بلال وتل إدفينا وكوم الخنش، وشرقا كيمان الريس وكوم البركة وكفر الدوار ، وبين هذه البلدة الأخيرة مرتفعات الإسكندرية تحد البحيرة فى الوقت الحاضر من ناحية الشمال الشرقى والشمال بترعة المحمودية .

وكانت هذه البحيرة تمتد نحو الشمال الشرقى وتشمل ذلك الجزء المسمى الآن ببحيرة أبو قير ، أما الجزء الآخر فكان أرضا صلدة ، بحيث لم يكن هناك أثر للبحيرة فيما بين مريوط والفرع الكانوبى للنيل ، وتوجد عدة حقائق تؤيدنا فى هذا الرأى :

أولا — أن الحالة الطبيعية لحوض بحيرة مريوط وموقع حدودها شمال شرقى ترعة الإسكندرية يرجحان هذا الظن .

ثانيا — عند إعادة حفر ترعة الإسكندرية فى عهد محمد على اكتشف سوران هائلان وبالغا الطول يكونان شاطىء الترعة القديمة فى الجزء الذى يفصل بحيرة مريوط عن بحيرة أبو قير اليوم ، وقد أبلغنى هذه الحقيقة شهود عيان ، الأمر الذى يدل على أن ترعة الإسكندرية القديمة التى تجرى الآن فى مكانها تقريبا ترعة المحمودية ، كانت بالتأكيد تمر بالجزء الشمالى الشرقى من ترعة مريوط ، وإلا لما احتاج الأمر إلى تكوين شاطىء الترعة من سورين مبنيين .

ثالثا — أن المقريزى إذ يتحدث عن بحيرة الإسكندرية أو بحيرة مريوط ، يقول ما يلى طبقا لما ذكره ابن عبد الحكم الذى عاش فى القرن الثانى الهجرى : « إن الماء يصل بفتحة فى بحر الإغريق (البحر الأبيض المتوسط) ، وهو يخرج منها جزئيا لكى يصل إلى بحيرة أخرى جانبية ، مارا بترعة توجد عليها مدينتان تسمى إحداهما الجدية والأخرى إدكو [1] » .

ومهما يكن من غموض هذه الفقرة فاننا نستنتج منها رغم ذلك أن بحيرة أبو قير لم تكن موجودة فى القرن الثانى الهجرى (القرن الثامن من التاريخ الميلادى) وإنما كانت توجد بحيرة إدكو فى مساحة صغيرة ، وكانت تتصل بالخليج الذى ساعد فيما بعد على تكوين بحيرة أبو قير الواقعة بين بحيرة مريوط وبحيرة ادكو ولا بد أن فتحة هذ الخليج كانت فى بحيرة مريوط وراء ترعة شيديا ، أى شمال شرقى المحمودية . وإذن فان بحيرة مريوط كانت تمتد — فى عصر ابن

---

(١) المقريزى . طبعة بولاق . الجزء ١ الصفحة ١٦٩

عبد الحكم — وراء ترعة الإسكندرية وكانت بناء على ذلك تشمل جزءا من بحيرة أبو قير ، ولست بحاجة لأن أضيف أن فقرة المقريزى نفسها تفيد ضمنا أن الفرع الكانوبى للنيل كان قد اختفى فى القرن الثانى الهجرى ، لأننا نعرف ان هذا الفرع للنيل كان يصب فى البحر الأبيض المتوسط بين كانوب ومدينة ادكو .

رابعا — وأخيرا فإن المقاسات التى يذكرها بلنيوس وسترابون عن طول بحيرة مريوط تدل على أن هذه البحيرة كانت تمتد إذ ذك نحو أربعة كيلومترات وراء ترعة الاسكندرية ، ذلك أن بلنيوس يقول إن طول بحيرة مريوط هو ٣٠ ألفيا رومانيا [١] أو ٤٤ كيلو مترا ونصف كيلو متر تقريبا ، وسترابون يقول أن ذلك الطول يقل عن ٣٠٠ ستاد [٢] أى ما يعادل ٤٩ كيلو مترا ونصف كيلو متر — وهو ما يؤيد شهادة بلينوس . وبعد فان طول ٤٤ كيلو متر ونصف كيلو متر على خريطتنا من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى ابتداء من أطلال مدينة (ماريا) القديمة الواقعة عند الطرف الجنوبى الغربى من البحيرة — هذا الطول تتم به فى الواقع أربعة كيلو مترات وراء ترعة المحمودية ، وبالضبط بين الجزئين من الأرض اللذين يحجزان بحيرة أبو قير فى الوسط واللذين يبدو أنهما كانا فى الماضى شاطىء بحيرة مريوط من الناحية الشمالية الشرقية ، وإذن فان بحيرة مريوط كانت بالتأكيد تمتد لمسافة أربعة كيلومترات وراء ترعة الاسكندرية ، وكانت تشمل جزءا من بحيرة أبو قير التى لم تكن موجودة وقتئذ .

---

(١) انظر إلى الهامش الذى بالصفحة ٣٠٣ من الجزء ٥ من ترجمة لترون لسترابون .

(٢) نفس الصفحة

أما عن عرض البحيرة فانه فى الوقت الحاضر يماثل تقريبا عرضها فى الماضى : ذلك لأن سترابون يقول لنا : «إن عرض البحيرة يبلغ أكثر من ١٥٠ ستادا» [١] وهو ما يعادل ٢٤ كيلو مترا ونصف كيلو متر تقريبا ، ومن جهة أخرى فان هذا العرض طبقا لخريطتنا عن الوضع الحالى يتراوح بين ٢١و٢٤ كيلو مترا ، وهو مايتفق إلى حد كبير مع ما ذكره سترابون .

أما محيط البحيرة فيبلغ فى الوقت الحاضر نحو ١٢٠ كيلو مترا مع انتهائها فى الشمال الشرقى بترعة المحمودية أو من باب أولى بطريق السكة الحديدية، ولكن إذا راعينا حدودها القديمة من ذلك الجانب ، فإن محيطها يكون ١٣٠ كيلومترا وهو ما يعادل ٨٥ ألفيا رومانيا تقريبا ، أما الرقم الفادح البالغ ٢٥٠ ألفا رومانيا والذى ذكره بلنيوس [٢] عن هذا المحيط — فلا شك أنه نتيجة تغيير من النساخين ، وربما كان فى الأصل سبعين — ورقم السبعين ألفيا رومانيا الذى قدره بالاديوس [٣] Palladius لامتداد البحيرة يكون إذن متفقا مع تقدير بلنيوس الذى يطابق الحالة القديمة للبحيرة .

أما الثمانى جزر التى تحتويها بحيرة مريوط كما يقول سترابون [٣] فإنه يمكن تبينها حتى الآن ، وقد أصبحت أربع منها أشباه جزر ، وهى :

---

(١) الصفحة ٣٥٣ من الجزء ٥ من ترجمة سترابون .

(٢) و (٣) انظر الهامش الذى بالصفحة ٣٥٣ من الجزء ٥ من الترجمة الفرنسية لسترابون .

(٣) انظر الترجمة الفرنسية لسترابون بقلم لترون . الجزء ٥ . الصفحة ٣٥٢ .

١ — جزيرة التفلة Taflah الواقعة على بعد أربعة كيلو مترات جنوبى ضريح « على مغروب » . واسم الجزيرة الذى يسمى به هذا الجزء من الأرض المرتفعة ، وموقعها عند طرف البحيرة الحالية — يثبتان أنها كانت بالفعل جزيرة فى البحيرة .

٢ — لسان الأرض المرتفع المواجه لكيمان الريس والذى يوجد فوقه سيدى غازى وتل المحار وكوم الخرز ، والمنفصل تقريبا عن الأرض — هذا اللسان يدلنا بموقعه على أنه كان جزيرة أخرى فى البحيرة .

٣ — جزيرة السعران التى ترى تجاه كفر الدوار والتى توجد بها عدة أطلال وتلال منها كوم الوايلى وكوم على شاه — تدل بتسميتها بالجزيرة كما تدل بموقعها الحالى كشبه جزيرة على أنهـا كانت فى الماضى جزيرة كبيرة فى بحـيرة مريوط .

٤ — لسان الأرض الذى يرى على يمين الخارج من الاسكندرية بالسكة الحديدية تجاه بحيرة أبو قير والذى يضم تلا صغيرا واقعا على بعد ٩ كيلومترات من مرتفعات نيكوبوليس وعلى مسـافة ١٣ كيلو مترا من السوارى و١٨ كيلو مترا من رأس أبو قير — هذا اللسان يدل على موقع جزيرة رابعة فى بحيرة مريوط .

أما الجزيرة الخـامسة التى أشار إليها سترابون فانها لا تزال ترى وسط البحيرة بين جزيرة التفلة وجزيرة السعران ؛ على مسـافة ١٤ كيلو مترا تقريبا من رأس (العجمى) ورأس (السلسلة) .

وأخيرا فان الجزر الثلاث الأخرى تكون بلا شك سلسلة من الأطلال يراها الانسان وسط فرع البحيرة المسمى (ضهيرة البحر) على هذا الجانب من أطلال مدينة ماريا .

وفى ختام هذه الرسالة نقول إنه لما كان حوض بحيرة مريوط منخفضا عن مستوى سطح البحر الأبيض المتوسط بمقدار مترين ونصف المتر ، فلا بد أن المياه كانت على عمق مترين أو ثلاثة أمتار حتى يمكن وجود اتصال بين هذه البحيرة وبين مياه البحر الأبيض المتوسط دون أى خطر .

انتهت الرسالة *

فى ٦ شعبان سنة ١٢٨٣ هجرية .

الموافق ١٤ ديسمبر سنة ١٨٦٦ ميلادية .

---

* وانتهت الخرائط فى ٣١ من ديسمبر ١٩٦٦ .

الملاحق

الملحق الأول

مكان ميادين قتال يوليوس قيصر

فى مصر

معسكر يوليوس قيصر فى الاسكندرية

إذا عنى الانسان بقراءة ما كتبه يوليوس قيصر وهيرتيس عن حرب الاسكندرية ، وألقى نظرة على خريطة الاسكندرية القديمة ، مع قراءة هذه الرسالة ، فانه سيكون على يقين من أن معسكر قيصر كان يشغل حتما السهل والمرتفعات التى ترى شمال الشارع الكانوبى ، على مسافة ٨٠٠ مترا من هذا الجانب من رأس لوخياس و١٢٠٠ متر من جانبه الآخر ، موحدا بذلك الجزء الشمالى الشرقى من حى بركيوم مع الجزء الشمالى من حى ميدان السباق ، وكان المعسكر فى شكل حدوة حصان ، يتجه فرعاه نحو الجنوب ، ويحتل أحدهما مكان المسرح والقصر الملكى ، ويحتل الآخر النصف الشمالى من حى ميدان السباق ، وينفصلان عن الجانب الجنوبى بأرض شديدة الانخفاض كانت تكون إذ ذاك المستنقع الذى تحدث عنه هيرتيس ، ولعل تحديد مكان المعسكر بهذا الشكل يعتبر من قبيل المجازفة ، ولكن إلى القارىء ما تشهد به الوثائق التى استندت إليها لكى أصل إلى هذه النتائج بمساعدة أعمال المسح التى كلفت معاونى بإجرائها فى أرض الاسكندرية القديمة .

الوثيقة الأولى

« بينما كانت هذه المسألة تثار أمام قيصر ، الذى تمنى بإخلاص لو استطاع إنهاء هذا الأمر بطريقة ودية وبما يرضى الطرفين ، جاء من يخبره بأن جيش الملك وجميع قوات فرسانه قد أوشكوا على الوصول ، ولم يكن لديه ما يكفى من القوات لكى يحارب فى حالة ما إذا وجب القتال ، ولذا اختار أن يحصن الموقع الذى كان يحتله بالمدينة ...[1] » .

الوثيقة الثانية

« إن أشيلاس Achillas قائد قوات الملك الذى كان يعتمد عليها كثيرا قد ازدرى قلة عدد قوات قيصر ، واستولى على المدينة ، ما عدا الحى الذى يحتله قيصر . بل لقد حاول فى البداية أن يقتحم هذا الحى ، ولكن قيصر ، الذى كان قد وزع قواته فى الطرق ، صد الهجوم بشدة ، وفى الوقت نفسه كان القتال يدور أيضا فى الميناء ، فاشتد الأمر وكثر عدد الضحايا ، لأنه بينما كانت قواتنا الموزعة تحارب فى عدة شوارع بالمدينة ، بذل الأعداء كل ما فى وسعهم لكى يستولوا على السفن[2] » .

الوثيقة الثالثة

« كان مدخل الميناء ضيقا بدرجة لا تسمح لأية سفينة بعبوره رغم إرادة أولئك الذين يسيطرون على المنار ، وقد خاف قيصر أن يستولى عليه العدو

---

(١) انظر تعليقات قيصر . الحرب الأهلية . ترجمة ويلى Wailly . الجزء ٢ ص ٢٧٩ .

(٢) انظر تعليقات يوليوس قيصر . الحرب الاهلية . ترجمة ويلى Wailly ج ٢ ص ٢٨٣

فسبقه إليه بينما كان مشغولا فى جهات أخرى ، وأنزل به قواته واستحوز عليه ووضع به حامية . وبهذه الطريقة أصبح فى موقف يمكنه من أن يتلقى مطمئنا المؤونة والمدد بطريق البحر ، ومن ثم بعث فى طلبهما من جميع المناطق المجاورة وكان القتال يدور دون أن يجنى أحد الطرفين مغنما ودون أن يتزحزح أحدهما عن موقعه ، لأن القوم كانوا يقاتلون فى أماكن ضيقة ، بل إن كلا من الطرفين لم يفقد كثيرا من رجاله » .

« ولما كان قيصر قد استولى على أهم المراكز فقد أمر بتحصينها أثناء الليل ، وكان فى هذا الجانب الذى احتله من المدن جزء صغير من القصر الذى نزل به عند وصوله ، وكان هذا الجزء متصلا بمسرح استخدم كقلعة ومنه كان يذهب القوم إلى الميناء وإلى الترسانة ، وقد زاد من تحصيناته حتى يستخدمه كاستحكام وحتى لا يضطر إلى القتال رغم إرادته[1] » .

إن هذه الشهادات الثلاث مقتبسة من كتابات يوليوس قيصر نفسه عن مقدمات حرب الإسكندرية .

الوثيقة الرابعة

« وفى أثناء الانتظار زيدت التحصينات كل يوم باستحكامات جديدة ، وزودت جميع مراكز المدينة التى استبان ضعفها بحواجز واستحكامات جديدة .

« وفى الوقت نفسه كان القوم من خلال ثقوب ثقبت فى المنازل التى

---

(١) تعليقات قيصر . الحرب الأهلية . ترجمة ويلى Wailly طبعة ١٨٠٦ ج ٢ ص ٢٨٥

احتلوها يضربون المنازل المجاورة بأعمدة التحطيم والهدم ؛ وكان قيصر يستخدم كل أراضى المبانى التى تهدم بهذه الطريقة فى توسيع تحصيناته [1] » .

الوثيقة الخامسة

« اهتم قيصر بوجه خاص — أثناء تقدمه — بأن يعزل عن المدينة ذلك الجزء الذى كان المستنقع يفصله عنها . وبهذه الطريقة كان يأمل أولا وقد شطر المدينة بهذا الشكل إلى شطرين ، أن يصدر أوامره إلى قواته المتجمعة وهو مستريح تماما . وفضلا عن ذلك فسوف يكون من اليسير عليه أن يقدم عونه إلى القوات التى تقع تحت ضغط وأن يتلقى هو نفسه العون من الجانب الآخر من المدينة ، غير أنه قبل كل شىء قد كسب لنفسه بذلك ميزة الحصول على الميرة والماء بوفرة ، ولم يكن لديه إلا قليل من الأول بينما كان الآخر ينقصه تماما فصار بوسعه الحصول على الكثير منهما بفضل هذا المستنقع [1] » .

الوثيقة السادسة

« كان النهر يجرى فى الحى الذى يسيطر عليه السكندريون — الأمر الذى جعل جانيميديس Ganymède يفكر فى قطع الماء عن رجالنا الذين كانوا بسبب توزيعهم على مراكز مختلفة للدفاع عن استحكاماتنا يستمدون الماء من آبار وأحواض البيوت الخاصة .. الخ » .

إن هذه الفقرات وغيرها المقتبسة من «حرب الإسكندرية» بقلم هيرتيس

---

(١) هيرتيس . حرب الاسكندرية . ترجمة فرنسية بمعرفة ويلى . طبعة ١٨٠٦ ص ٢٨٧

(٢) هيرتيس . حرب الاسكندرية . ترجمة فرنسية بمعرفة ويلى . طبعة ١٨٠٦ . ج ٢ ص ٢٩١ .

تثبت بشكل قاطع أن يوليوس قيصر بعد أن جاء إلى الاسكندرية كصديق ، قد أرغمته الظروف على تحصين المركز الذى كان يحتله من المدينة ، وأن يجعل منه بعد ذلك معسكرا له ، ولكن فى أية جهة من المدينة كان يقع هذا المعسكر ؟ من المؤكد أنه لم يكن من ناحية نكروبوليس للأسباب الآتية :

أولا — أن نهر الاسكندرية أو ترعة الاسكندرية كانت تصب فى ميناء أينوست ، وقد جاء بالوثيقة السادسة : « إن هذا النهر كان يجرى فى الحى الذى كان تحت سيطرة الإسكندريين » . وإذن لم يكن معسكر قيصر بأية حال فى ناحية نكروبوليس .

وثانيا — أن الوثيقة الثالثة تبين لنا أن القصر الملكي — حيث نزل يوليوس قيصر ، والمسرح — القلعة الذى كان بجانب القصر والذى زاد قيصر من تحصيناته لكى يستخدمه كاستحكام — كان بالضرورة جزءا من المعسكر ، وليس معقولا وجود القصر الملكى والمسرح فى حى المقابر أى فى نكروبوليس . وبالتالى فإن معسكر قيصر لا يمكن أن يوجد فى نكروبوليس .

ثالثا — وأخيراً نقرأ فى الوثيقة الثالثة ما يلى : « إن مدخل الميناء كان ضيقا إلى درجة لا تسمح لأية سفينة بدخوله رغم إرادة أولئك الذين يسيطرون على المنار ، وقد خاف قيصر أن يستولى عليه العدو فسبقه إليه بينما كان مشغولا فى جهات أخرى ، وأنزل به قواته واستحوز عليه ووضع به حامية ، وبهذه الطريقة صار فى موقع يمكنه من أن يتلقى المؤونة والمدد بطريق البحر ، وعلى ذلك بعث فى طلبهما من جميع المناطق المجاورة » .

إن هذه الفقرة التى ذكرها يوليوس قيصر نفسه قد جاء فيها قوله :

« وبهذه الطريقة صار فى موقف يمكنه من أن يتلقى بالتأكيد المؤونة والمدد » وذلك يدل على أن المعسكر كان على الأقل يلاصق الميناء حيث يوجد المنار . ولا يستبعد بناء على ذلك إمكان وجود المعسكر فى نكروبوليس الموجودة على الميناء الآخر ، فحسب ، بل يدحض أيضا رأى أولئك الذين يريدون تحديد مكان معسكر قيصر على مرتفعات نيكوبوليس الواقعة على مسافة أربعة أو خمسة كيلومترات وراء الميناء الكبير الذى كان يوجد المنار فى طرفه .

على أن نيكوبوليس فضلا عن ذلك كانت منعزلة تماما عن المدينة ، فهى لا تتفق بأى حال مع مكان معسكر يوليوس قيصر . والواقع أن أغسطس انتصر هنالك فيما بعد على الذين تقدموا مع أنطونيوس لمحاربته [1] .

إن أصحاب هذا الرأى قد قادهم إلى هذا الخطأ ، منظر بقايا القصر الحصين الذى شيده أحد أباطرة الرومان جنوبى غربى نيكوبوليس ، والذى حسبوه معسكر يوليوس قيصر أو على الأقل جزءا منه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى قادهم إليه وجود البحيرة الصغيرة التى ترى بين نيكوبوليس واليوزيس والمدينة فى الوادى المسمى بالحضرة ، ولما لم يستطيعوا أن يكتشفوا فى المدينة آثار المستنقع الحقيقى الذى ينتهى عنده المعسكر طبقا لما ذكره هيرتيس ، والذى أوردناه فى الوثيقة الخامسة ، فقد حسبوا أن بحيرة الحضرة هى المستنقع وحددوا مكان المعسكر خارج المدينة ــ على خلاف جميع الأدلة ــ على بعد خمسة كيلومترات وراء المنار الذى تمكن قيصر بفضل الاستيلاء عليه من تلقى المؤونة والنجدة .

---

(١) سترابون . ترجمة لترون . ج ٥ ص ٣٤٤ .

إن الوادى الذى اكتشفناه بمساعدة أعمال المسح لأرض الإسكندرية القديمة بين حى بروكيوم والملعب الرياضى (الحى الملكى والجنازيوم) وحى ميدان السباق ، وهو الوادى الذى كان يقسم المدينه قسمين غير متساويين — لا يدع أى شك فى أن معسكر قيصر كان فى الجزء الشمالى من حى ميدان السباق كما قلنا من قبل . ولا يمكن أن يكون هذا الوادى سوى المستنقع الذى تحدث عنه هيرتيس (انظر الفصل الأول من هذه الرسالة : الحالة الطبيعية للأرض القديمة للمدينة) . فلننظر ما إذا كانت الحقائق التاريخية تتفق تماما مع الأماكن فى حالتها القديمة :

(أولا) إن الوثيقة الخامسة كما أوردناها طبقا لترجمة ويلى Wailly وكما هو مبين فى الهامش[١] ، بقولها : « إن قيصر عمل قبل كل شىء على أن يقطع تماما عن بقية المدينه ذلك الجزء الذى كان محصورا بمستنقع يقسم المدينة إلى قسمين من ناحية الجنوب » — تلك الوثيقة بقولها هذا تدلنا على أن قسما من المعسكر كان محصورا بمستنقع وأنه كان يحتوى على بعض مراكز العدو

---

(١) إن صديقى العزيز المسيو أوجوست نيكولو المحامى بالاسكندرية قد تفضل بترجمة الفقرة التى يتحدث فيها هيرتيس عن هذا المستنقع . وهذه هى الترجمة : « إن قيصر قد عمل قبل كل شىء على أن يفصل تماما عن باقى المدينة ، بواسطة الاستحكامات والتحصينات ، هذا الجزء الذى كان يحصره مستنقع يقسم المدينة الى قسمين من ناحية الجنوب وكان هدفه من تقسيم المدينة إلى قسمين على هذا النحو أن يحكم الاشراف على جيشه ثم يوجه هجماته مرة واحدة وينجد قواته المشتبكة فى القتال ويتلقى فى نفس الوقت النجدة من القسم الآخر من المدينة . وكان يفكر قبل ذلك كله فى توفير الماء والعلف وكان أولهما يعوزه تماما والآخر لا يتوافر إلا بكمية غير كافية . وامتلاك المستنقع يهىء له وفرة من هذا وذلك » .

أراد قيصر أن يطرده منها . ونحن نرى على خريطة المدينة القديمة أن ثمة جزءاً من الشاطىء ، جنوبى رأس لوخياس ، وتحصره فى الواقع حيال الميناء مساحة من الأرض منخفضة جدا ، وهى بامتدادها نحو الجنوب وتقسيمها للمدينة إلى قسمين ، تكون بشكل ما مايشبه برزخا طوله ٥٠٠ متر وعرضه ٣٠٠ متر تقريبا ، فهذه إذن مطابقة أولى .

(ثانياً) إن نفس الفقرة الخامسة ، بقولها : « وكان غرضه من العمل هكذا ، حين تنقسم المدينة إلى قسمين ، أن يحكم الإشراف على جيشه ثم أن ينجد قواته المشتبكة فى القتال وأن يتلقى فى نفس الوقت نجدة من القسم الآخر من المدينة » — أقول إن الفقرة الخامسة بقولها هذا تدل على أن الجانب الأكبر من قوات قيصر كانت موجودة وراء المستنقع والجزء المحصور بهذا المستنقع بينما كان قيصر شخصيا يحتل مركزا على هذا الجانب من المستنقع نفسه . ولولا ذلك لما قال هيرتيس مامعناه أن قيصر باستيلائه على المستنقع كان فى موقف يتيح له أن يتلقى فى نفس الوقت نجدة من القسم الآخر من المدينة .

على أن هذه الحقيقة قد أيدتها الوثيقة الثالثة حين قالت : « كان فى هذا الجانب الذى احتله من المدينة ، جزء صغير من القصر الذى سكنه قيصر عند وصوله . وكان هذا الجزء متصلا بمسرح استخدم كقلعة :. الخ » ، ذلك أننا نرى فى الواقع على الخريطة أن موضع القصر والمسرح هو على مسافة ٤٠٠ أو ٥٠٠ متر على هذا الجانب من الوادى الذى كان يقسم المدينة إلى قسمين من ناحية الجنوب ، وهو دون شك المستنقع الذى يتحدث عنه هيرتيس . فهذه إذن مطابقة ثانية بين الأماكن وبين الحقائق التاريخية .

(ثالثاً) لقد رأينا من قبل من الكلمات الآتية : « إن مدخل الميناء كان من الضيق بحيث لا تستطيع أية سفينة أن تلجه رغم إرادة أولئك الذين يسيطرون على المنار . وقيصر إذ خاف أن يستولى عليه العدو وقد سبقه إليه بينما كان مشغولا فى جهات أخرى ؛ وأنزل فيه قواته واستولى عليه ووضع فيه حامية . وبذا صار فى موقف يمكنه من أن يتلقى المؤونة والنجدة عن طريق البحر وهو مطمئن تماما » — رأينا من هذه الكلمات أن المعسكر كان حتما يلاصق الميناء حيث كان المنار الذى استولى عليه قيصر ، لكى يكون فى موقف يضمن له تلقى المؤونة والنجدة ، وهو مايتفق جيدا مع مكان المعسكر كما حددناه .

(رابعاً) إن كل وثيقة من الوثائق الست ، إذا ما أخذت على حدة ، تشهد بوجود المعسكر فى داخل المدينة . والآن فإن الجزء الوحيد من المدينة الذى يمكن أن يتفق بوجه عام مع تلك الأقوال التاريخية ، هو ذلك الجزء الذى يراه الإنسان منفصلا عنها فى الشمال الشرقى بواد يمتد نحو الجنوب . وإذن فإن النتيجة التى وصلنا إليها قد تأيدت تماما .

إن فقرة واحدة ذكرها هيرتيس يمكن أن تعارض وجود معسكر قيصر فى هذا الجانب من المدينة . وهى الفقرة التى تقول : « لما كان العدو لا يملك أسطولا فلم يكن بوسع أحد أن يمنع قيصر من جلب الماء العذب كل يوم من البراتون Albaraton التى كانت إلى يساره أو من جزيرة (فار) التى كانت إلى يمينه ، لأن الريح لا يمكن أبدا أن تكون مضادة للملاحة من الجانبين فى وقت واحد[1] » . والواقع أن البراتون المعروفة الآن باسم

(١) انظر هيرتيس . حرب الاسكندرية . طبعة ١٨٠٦ . ج ٢ ـ ص ٣٠١ .

البتروان والواقعة على بعد نحو مائة كيلومتر من الاسكندرية (انظر الفصل الثالث من هذه الرسالة ـ إقليم مريوط) — البراتون هذه توجد فعلا إلى يسار الناظر إلى الاسكندرية ووجهه إلى البحر . غير أن جزيرة فار لا يمكن أن تكون إلى اليمين إلا إذا كان المشاهد نفسه أو المعسكر موجودا فى ضاحية نكزوبوليس — وهو أمر مستحيل بعد ما سبق أن بيناه . وفضلا عن ذلك فان رجال يوليوس قيصر ما كانوا ليفكروا فى البحث عن الماء فى جزيرة فار التى كانت وقتئذ فى أيدى العدو ، بل حتى لو فرضنا أنها كانت فى أيدى قوات قيصر ، فإن الاسكندريين ما كان يفوتهم لتحقيق غرضهم ، أن يجعلوا ماء الأحواض هناك غير صالح للشرب ، كما فعلوا بأحواض ذلك الجزء من المدينة الذى كان يشغله معسكر قيصر ، إذ خلطوه بماء البحر بمساعدة العجلات والآلات كما يقول هيرتيس .

وإذا تركنا هذا الدليل جانبا ، فهل كان منطقيا أن يكون هيرتيس قد وضع فى الحسبان القيام برحلة بحرية طولها أكثر من مائة كيلومتر من الاسكندرية إلى البراتون مع عبور الميناء ، مع إضافة أن الريح لا يمكن أبدا أن تكون مضادة للملاحة من الناحيتين فى وقت واحد ؟

إنى أرجح أن الكاتب اللاتينى لم يرد أن يعين جزيرة (فار) ، وإنما أراد أن يعين جهة أخرى تقع عند مصب النيل أو جزيرة ما مجاورة .

* * *

مكان الحرب البحرية
التى شنها يوليوس قيصر على الاسكندريين
فى ميناء الاسكندرية

إن التفاصيل التى ذكرها هيرتيس عن الحرب البحرية فى الميناء تدل على أن هذه الحرب قد وقعت فى ميناء أينوستوس والدليل على ذلك ما يلى :

(أولا) نحن نقرأ ما يلى فيما كتبه هيرتيس :

« لما وصل الأمر إلى أن كلا من الطرفين أصبح يعتمد على قواته الخاصة جعل قيصر أسطوله يدور حول المنار وظهر فى المعركة أمام الأعداء[1] ». ولكى يستطيع أسطول قيصر أن يدور حول المنار ويخرج لملاقاة أسطول العدو وعند مدخل الميناء كما جاء فى بقية ما كتبه هيرتيس ، فانه يجب أن يكون هذا الأسطول قد رسا فى الميناء الكبير Magnus Portus الذى كان المنار يوجد فى مدخله ، وينتج عن ذلك أن الحرب قد وقعت فى ميناء إينوست .

(ثانيا) نحن نقرأ فى الكتاب نفسه الفقرة الآتية :

« كانت بين الأسطولين شواطىء رملية تكون ممرا ضيقا وكان أهالى البلاد يقولون إنه جزء من أفريقيا مع نصف الاسكندرية[2] » .

وتبعا لهذه الفقرة فان الشواطىء الرملية الوحيدة أو الأماكن القليلة الغور التى يمكن أن تكون تابعة لأفريقيا والتى كان موضعها عند مدخل الميناء كما

(١) انظر هيرتيس . حرب الاسكندرية . طبعة ١٨٠٦ . ج ٢ — ص ٣٠١ .

(١) انظر هيرتيس . حرب الاسكندرية . طبعة ١٨٠٦ . ج ٢ — ص ٣٠١ و٣٠٢ .

يدل عليه مجموع الوصف — لا بد أن مكانها كان تجاه الشاطيء الغربي للمدينة ، لأن هذا الشاطيء هو الذي يطل على أفريقيا بالمعنى الذي أراده هيرتيس بينما الجزء الشرقي يوجد على جانب مصر فهو بناء على ذلك يكون جزءا منها .

ونحن نرى في الواقع سلسلة من الأماكن الضحلة بين رأس شرسونيزس (الماريوت أو العجمى) وبين الطرف الجنوبي الغربي لجزيرة فاروس ، وهي الأماكن التي يبدو أنها كانت فعلا من أرض ليبيا ، وتتصل برأس شرسونيزس وتمتد مدخل الميناء الغربي أو ميناء إينوستوس غير تاركة سوى ثلاث ممرات لمرور السفن . وإذن فان هناك بين هذين الجانبين من الأماكن الضحلة قد ظهر الأسطولان لكي تبدأ الحرب البحرية التي انتهت في داخل الميناء لصالح يوليوس قيصر .

(ثالثا) إن الفقرة التالية : « وفضلا عن ذلك لم يكن الأمر أمر ملاحة طويلة بل كان بالنسبة للإسكندريين أمر سد حاجة قائمة والاستعداد للقتال في مينائهم[1] » .

هذه الفقرة تثبت أيضا أن الحرب التي نحن بصددها ما كان يمكن أن تقع إلا في ميناء أينوستوس لأن الميناء الكبير الذي كان المنار يوجد عند مدخله الذي ضمن قيصر الاستيلاء عليه تلقي المؤونة والنجدة والذي كان ملاصقا للمعسكر — هذا الميناء الكبير ما كان يمكن أن يكون في أيدي الاسكندريين .

وأخيرا فان الإنسان إذا قرأ بإمعان (حرب الاسكندرية) فإنه سيجد كثيرا من شهادات أخرى تتفق كلها على اثبات أن ميناء أينوست هو الذي كان في أيدي الاسكندريين ، وأن المعركة البحرية التي نعنيها قد وقعت فيه .

---

(١) هيرتيس . حرب الاسكندرية . ترجمة ويلي Wailly . طبعة ١٨٠٦ ج ٢ ص ٣٠١

مكان الحرب الفاصلة

التى قادها يوليوس قيصر ضد الملك بطليموس فى داخل مصر

نحن نقرأ فى (هيرتيش) ما يلى :

« إن متريداتيس ملك برغامون[1] Mithridates de Pergame الذى يلقى التقدير والمحبة لإخلاصه لقيصر الذى أرسله إلى سوريا وصقلية منذ بداية حرب الإسكندرية لكى يجيئه بمدد — قد وصل بالبر مع قوات كثيرة العدد وقادها أولا إلى بيلوزيوم Péluse ... التى أحاط بها وهاجمها على الفور ... واستولى عليها فى نفس اليوم الذى هاجمها فيه ووضع بها حامية » .

« وبعد هذا الفوز السعيد مضى نحو الاسكندرية ليلحق بقيصر ، كى يصحبه فى طريق السلطة التى يأتى بها الانتصار دائما ، وقد وطد السكينة فى جميع الأقاليم التى مر بها واجتذبها كلها إلى صف قيصر ... ولما علم بطليموس أن متريداتيس اقترب من الدلتا ، وعرف أن عليه عبور النهر ، أرسل جيشاً كبيراً اعتقد أنه سيهزم متريداتيس ويقطعه اربا أو على الأقل سيوقف زحفه . وعلى الرغم من أنه كان يتمنى قهره ، فقد بدأ يقنع بأن يحول دون انضمامه إلى قيصر . وسارعت القوات الأولى التى استطاعت أن تعبر النهر لملاقاة متريداتيس ، إلى مهاجمته لكى تحرم القوات التى تبعتها من مشاركتها شرف الانتصار . أما متريداتيس الذى لزم جانب الحذر الحكيم بالتحصن فى الخنادق طبقا لما اعتدناه — قد لاقاها بشجاعة . وبعد ذلك لما رآها تقترب من خنادقه بغير

---

(١) انظر هيرتيس حرب الاسكندرية طبعة ١٨٠٦ . الجزء ٢ ، الصفحة ٣٠١

نظام ودون حذر ، خرج عليها بجنوده من كل جانب وأفنى جزءاً كبيرا منها . ولولا معرفة الأماكن ولولا أن السفن التى استخدمت فى عبور النهر قد غطت القوات الأخرى ، لكانت الهزيمة كاملة . لكنها بعد أن أفاقت قليلا من فزعها انضمت إلى القوات التى تبعتها وعادت إلى مهاجمة متريداتيس » .

إن هذه الفقرة تبين لنا أن متريداتيس Mitridates بعد أن استولى على قلعة بيلوز Péluse قد عبر عدة أقاليم من مصر فى زحفه إلى الإسكندرية ، ولاقته بعد ذلك غالبية الجيش المصرى قبل أن يعبر النهر قرب القرية أو البلدة التى تحتل قمة الإقليم الكبير المسمى بالدلتا والتى تسمى بنفس هذا الاسم . والإنسان يستنتج من ذلك أيضا أن الطريق الذى سار فيه هذا القائد لكى يذهب إلى الاسكندرية كان على طول الفرع البيلوزى من ناحية الشرق ، بين بيلوز وقمة الدلتا ، لأنه بالقرب من هذه النقطة الاخيرة التقى بالجيش الذى أرسله بطليموس فى تلك المعركة الكبيرة التى وصفها هيرتيس فى الفقرة المذكورة آنفا .

إن هذه النتيجة تتفق أيضا مع شهادة فلافيوس جوزيف الذى يقول : « وهكذا فإن متريداتيس[1] ، معززا بكل تلك القوات ، قد جاء إلى بيلوز وحاصرها بعد أن رفض الأهالى أن يفتحوا له أبوابها ، وقد تميز أنتيباتر Antipater بصفة خاصة فى هذه المناسبة ، فقد كان أول من أحدث ثغرة فى

---

(١) فلافيوس جوزيف . الآثار اليهودية. الجزء ١٤. الفصل ١٤. ترجمة بوشو ١٨٥٨ الصفحة ٣٦٥ وما يليها .

الأسوار ثم عمد إلى الهجوم وبذا فتح الطريق للآخرين لكى يستولوا على هذا المكان . وبعد ذلك ذهب مع متريداتيس ليلحقا بقيصر » .

« وقد أراد اليهود الذين يسكنون فى هـذا الإقليم من مصر المسمى أونياس Onias أن يعترضوا سيرهم ولـكن أنتيباتر أقنعهم بالانضمام إلى صف قيصر ، ولهذا الغرض استخدم رسائل الكاهن الأكبر هيركان Hircan الذى لم يكتف بوعظهم فدعاهم أيضا إلى مساعدة جيش أنتيباتر بالمواد الغذائية والأشياء الأخرى التى قد يحتاج إليها » .

« ولما عرف ذلك يهود مدينة ممفيس ، دعوا متريداتيس ، فذهب إليها فى الحال وانضموا إلى صفه » .

ويستطرد فلافيوس جوزيف (الفصل ١٥ الجزء ١٤) قائلا : « لما وصل متريداتيس وأنتيباتر إلى الدلتا ، حاربا العدو فى معركة بمكان يسمى معسكر اليهود . . . » .

إن هذا القول لا يحتاج إلى أى تعليق . وهو مطابق لما ذكره هيرتيس . إن المعركة الـكبيرة قد وقعت إذن قرب الدلتا ، ولـكن فى مكان محدد هنا يسمى معسكر اليهود ، وهو بلا ريب المكان الذى لا يزال يسمى الآن « تل اليهودية » والذى يوجد عند طرف صحراء العرب على مسافة ثلاثة كيلو مترات تقريبا جنوبى شبين القناطر ونحو عشرين كيلو مترا شرقى وشمال شرقى قمة الدلتا القديمة . وطبقا لما قاله جوزيف ، فإن متريداتيس وأنتيباتر قد ذهبا إلى ممفيس أو على الأقل إلى مديرية ممفيت التى انضم يهودها إلى صفهما .

ويتضح من ذلك أن ميتراديتس فى مسيرته من بيلوز حتى المكان المسمى بمعسكر اليهود لم يكن قد عبر النيل بعد . وإذن فهو لم يستطع القيام بهذا العبور إلا بين الدلتا وممفيس . وبالتالى يكون الطريق الذى أمكنه أن يسير فيه لكى يذهب إلى الاسكندرية هو الشاطىء الشرقى للفرع البيلوزى للنيل ، ثم الشاطىء الغربى للفرع الكانوبى للنهر .

ولم يكن بوسعه أن يفعل غير ذلك وإلا عددا من المرات يتفق وعدد فروع النيل والترع الرئيسية ، وكان فضلا عن ذلك يتعرض فى إحدى الجزر العديدة بداخل الدلتا . ولست بحاجة لأن أضيف أن عبور الدلتا كان مستحيلا فى الفصل الذى وقع فيه هذا الحادث . ذلك لأنى سأبين فيما بعد أنه كان فى بداية الخريف ، وهى الفترة التى يصل فيها النيل إلى الحد الأعلى من فيضانه فيغمر الوجه البحرى تماما .

وإذن ففى هذه الأثناء — كما يقول هيرتيس « بعث متريداتيس بخبر قيصر بما حدث . وأبلغ به بطليموس بمعرفة رجاله . وهكذا رحل الاثنان فى نفس الوقت تقريبا ، الملك لكى يهزم متريداتيس ، وقيصر لكى يلحق به . وقد اختصر الملك طريقه بالإبحار على النيل حيث كان يملك أسطولا كبيرا على استعداد تام . ولم يرد قيصر أن يتخذ نفس الطريق خوفا من أن يرغم على القتال على النيل . ولكن أثناء سيره بطريق منحرف بالبحر على طول هذا الشاطىء الذى يقال إنه جزء من أفريقيا — كما سبق أن أشرنا إليه فيما سلف — صار على مرمى البصر من قوات بطليموس قبل أن تستطيع مهاجمة متريداتيس ، واتصل به دون أن يتلقى أية هزيمة »[1] .

---

(١) هيرتيس. حرب الاسكندرية. ترجمة ويلى. طبعة ١٨٠٦ الجزء ٢ الصفحة ٣١٩ و٣٢١ .

إن الطريق الذى اتخذه الملك قد حدد هنا جيدا ، إنه مرسوم بمجرى الفرع الكانوبى للنيل ، فوق رشيد ، وبترعة الإسكندرية المسماة بالنهر ، من أسفل .

وكان هذا الطريق فى الواقع ، ولا يزال ، أقصر الطرق لمن يريد أن يسلك سبيل النهر من الإسكندرية .

إن العبارات : « الملك اختصر طريقه ... قيصر لم يرد أن يتخذ نفس الطريق ... ولكنه باتخاذه طريقا منحرفا بالبحر على طول هذا الشاطىء الذى يقال إنه جزء من إفريقيا قد صار على مرأى البصر من قوات بطلميوس .. الخ » — هذه العبارات تفيد :

(أولا) إن الطريق الذى اتخذه قيصر كان أطول من الطريق الذى اتخذه الملك .

(ثانيا) إن بعضه كان بحريا وبعضه الآخر كان بريا ، غربى وجنوبى الإسكندرية — أى وراء ذلك الجزء الذى يقال إنه من أفريقيا .

والواقع أن قيصر الذى كان معسكره لصق الميناء الكبير قد وجد نفسه محاطا من ناحية الجنوب والجنوب الغربى بترعة شيديا وبحيرة مريوط . ومن ناحية الشرق بالفرع الكانوبى للنيل ، ومع تفاديه طريق النهر لم يستطع — دون خوف — أن يصل إلى طرف السلسلة الليبية الذى سلكه متريداتيس لكى يلحق به ، لم يستطع ذلك إلا باتخاذ طريق منحرف .

إنه بإبحاره من الميناء الكبير ، وهو الميناء الوحيد الذي كان فى يده ،

كان مضطرا لأن يمضى حول جزيرة المنار وأن يسير بمحاذاة الأماكن الضحلة التى قيل إنها جزء من إفريقيا والتى تسد مدخل ميناء أيونوستوس وأن يصل إلى الشاطىء الليبى وأن ينزل أخيرا على رأس خرسونيزس (العجمى) أو وراءه قليلا لكى يأخذ طريق البر مع تفادى مدينة ماريا وكذا بحيرة مريوط وأن يظهر أخيرا على مرأى البصر من قوات بطليموس التى كانت قد أبحرت من الإسكندرية بطريق النهر .

وفى هذه النواحى اتصل يوليوس قيصر بمتريداتيس وحارب الملك فى معركة فاصلة .

وإلى القارىء الكيفية التى أمكننى بها أن أحدد على وجه التقريب مكان هذه المعركة : إننا نقرأ فى هيرتيس ما يلى :

« كان الملك قد أقام معسكره على مرتفع حصنته الطبيعية ، ويشرف على كل السهل المحيط ، وتحميه وسائل الدفاع المختلفة من ثلاثة جوانب ، الأول باستناده إلى النيل ، والثانى بحكم أنه يشغل المرتفع حيث الجزء الأكبر من المعسكر ، والثالث يحف به المستنقع [1] » .

والجزء الأول من هذه الفقرة قد ترجمه المسيو أوجوست نيكولو كما يلى : « كان الملك قد عسكر مع قواته على مكان محصن تحصينا طبيعيا ، لأنه كان أكثر ارتفاعا من السهل الذى يشرف عليه من جميع الجوانب » .

إن هذا المرتفع الذى حصنته الطبيعة لا يمكن إلا أن يكون جزءا من الجبل نفسه ،

---

(١) هيرتيس . حرب الاسكندرية . طبعة ١٨٠٦ . ترجمة ويلى . ج ٢ ص ٣٢١ .

لأن الوجه البحرى الذى تكون من طمى النيل كان — كما هو اليوم — خلوا من أى مرتفع طبيعى ، هذا والجزء الثانى من الفقرة نفسها يقول : « إن جانبا من المعسكر كان يستند إلى النيل » ، وإذن فإن معسكر الملك كان بالتأكيد ملاصقا للجبل ومجاورا للنيل .

ومما يزيد هذه النتيجة التى انتهينا إليها تأكيدا ، ما ذكره هيرتيوس من تفاصيل هذه المعركة حيث يقول :

« لما رأى قيصر أن جنده يقاتلون بكل ما فى وسعهم من الحماسة ، وأنهم مع ذلك لا يتقدمون إلا قليلا بسبب عدم ملاءمة الموقع ، ولما لاحظ فى الوقت نفسه أن الجانب المطل على الجبل من معسكر العدو قد خلا من الجند ، إما لأنه منيع بذاته وإما لأن بعض هؤلاء الجند ، بحكم الفضول والبعض الآخر بحكم الرغبة فى القتال ، قد غادروه إلى حيث تدور المعركة — لما رأى قيصر ذلك، أمر بعض جنوده بأن يدوروا حول المعسكر من ذلك الجانب ، وأن يرقوا ذلك المرتفع ، ولما بلغوه ولم يلقوا إلا مقاومة قليلة وكان هجومهم شديدا فزع السكندريون وتملكهم الرعب من الصيحات التى سمعوها ومن الجروح التى تلقوها من أمام ومن خلف، فولوا الأدبار من كل جانب — الأمر الذى شجع قواتنا فاقتحمت معاقلهم من جميع الجهات . غير أن الجنود الذين بلغوا المرتفع كانوا أول من دخلوا المعسكر وانقضوا على الأعداء وأعملوا فيهم القتل وأراد معظمهم الفرار فصاروا يلقون بأنفسهم فى النهر من أعلى الاستحكامات وإذ اختنق عدد كبير في الاستحكامات فقد تيسر للآخرين الهرب ، ومن المؤكد أن

الملك نفسه قد لاذ بالفرار وألقى بنفسه فى سفينة ، غير أن كثرة الذين وصلوا إليها سابحين قد حطمت قاعها فغرق مع الغارقين[1] » .

وبعد ذلك لم يبق أمامى ، لكى أجد مكان هذه المعركة ، سوى معرفة الأماكن التى كان النيل عندها يجاور الجبل الليبى فى عصر يوليوس قيصر ، ولهذا الغرض حددت فى هذه الرسالة مجرى الفرع السكانوبى للنيل ابتداء من مصبه عند إيتاى البارود ، وكذا ابتداء من مدينة منوف عند قمة الدلتا كان مجرى هذا النهر ، فى عصر سترابون بعيدا جدا عن الجبل. وينتج عن ذلك أن النيل لم يكن يجاور الجبل إلا بين إيتاى البارود ومنوف .

وبعد فان الجهة الوحيدة من الجبل التى يمكن أن تتفق مع هذه دون شك هى ، كما يرى القارىء ، ذلك الجزء الذى يقع بين القريتين المسماتين كوم شريك وعلقام وهو الجزء الذى يكون انحناءة تتقدم فى الوادى ، وتعترض — كما يمكن القول — الاتجاه الطبيعى للنهر بين إيتاى البارود ومنوف .

وإذن فإنه على هذه الانحناءة ، بين كوم شريك وعلقام ، قد وقعت المعركة الفاصلة بين يوليوس قيصر وبطليموس .

إن هذه الجهة — كما سبق لنا القول فى هذه الرسالة — كانت ولا تزال نقطة استراتيجية ذات أهمية بالغة ، وعندها فى الواقع وقعت المعركة الشهيرة بين أمازيس Amasis وأبرييس Apriès ، والمعركة الدموية بين عمرو بن

---

(١) هيرتيس . حرب الاسكندرية . ترجمة ويلى طبعة ١٨٠٦ ج ٢ ص ٣٢٢ و٣٢٥

العاص وبين الإسكندريين ، مجتمعين عند كوم شريك لوقف زحف هذا الفاتح إلى الإسكندرية .

وكما قلت بمزيد من التفصيل فى الفصل الثالث من هذه الرسالة — فان فحص هذا المكان قد أوحى إلى عبقرية الامبراطور نابليون الأول أن المعركة الفاصلة بين الملك بطليموس ويوليوس قيصر لا يمكن أن تكون قد وقعت إلا فيه ، وقد أقام هو نفسه معسكرا هناك يرى مكانه على الخريطة الكبيرة لمصر التى رسمها علماء الحملة الفرنسية لمصر .

الحرب الفاصلة بين الملك ويوليوس قيصر

وقعت فى الخريف

نحن نقرأ فى هيرتيس ما يلى :

« بين المعسكر وبين الطريق الذى اتخذه قيصر ، كان يجرى نهر صغير ضفتاه مرتفعتان جدا وكان يصب فى النيل ، وهذا النهر كان على مسافة سبعة ألفى رومانى من معسكر بطلميوس ، ولما علم الأمير أن قيصر سيأتى بهذا الطريق ، أمر كل فرسانه وخيرة مشاته بأن يحولوا دون عبور قواتنا لهذا النهر ، وبأن يهاجموها بتفوق من ضفة إلى أخرى[١] » .

وهذه الفقرة تقودنا إلى استنتاج ما يلى :

---

(١) هيرتيس . حرب الاسكندرية . طبعة ١٨٠٦ . ص ٣٢١ .

(أولا) لابد أن الطريق الذى اتخذه قيصر كان بين النهر والجبل الليبى . كما سبق أن بينا .

(ثانيا) إن هذا الحادث وقع فى الخريف ، لأنه (أولا) لكى يمكن اعتبار مجرى الماء الذى عاق طريق يوليوس قيصر ، نهرا يصب فى النيل ، لابد أنه بدا لقيصر نابعا من الجبل ؛ لأن طريق هذا القائد العظيم كان بين الجبل والنيل .

على أن قيصر لم يعبر النيل مطلقا بل كان متجها عند ما غادر الاسكندرية نحو الشاطىء الذى يقال إنه جزء من إفريقيا . وإذن فإن هذا الجبل هو بشكل قاطع الجبل الليبى كما سبق لنا القول . (وثانيا) إن المعروف أن أرض مصر العليا ومصر الوسطى تنقسم — من أجل سهولة الرى دون كثير نفقات — إلى عدة أحواض كبيرة ، تحد من جهة بجسور كبيرة تمتد عرضا من شاطىء النيل حتى الجبل ، ومن جهة أخرى بسد النيل والجبل نفسه ، وبعد أن تصل مياه النيل التى تزيد مساحة بعضها على ٤٠٫٠٠٠ هكتار ، وحين تمتلىء الأحواض العليا تماما ، فإن الجسور تقطع لكى تهبط المياه إلى الأحواض الدنيا .

وبعد أن ينتهى الرى ، يلقى فى النيل الفائض المتراكم فى الأحواض الأخيرة وهى أحواض أبو قشيشة وريكا .

وهذا الصرف يحدث فى النيل : جزء منه بقطع الجسور التى تفصل مياه النهر عن مياه الأحواض ، وجزء آخر بجعل الماء يجرى عند سفح الجبل خلف الجيزة لكى يصرف بعد ذلك فى النيل بواسطة القناطر المسماة قناطر الرحاوى

والواقعة على بعد ٢٤ كيلو مترا شمالى الهرم الأكبر ، ومع هذا فإن كمية كبيرة من هذه المياه تستمر فى طريقها عند سفح الجبل أو خلف تلال الرمل حتى تصل إلى النيل وراء القرية المسماة بنى سلامة .

وحتى بداية القرن الحالى ، كانت بقايا مياه الرى هذه تذهب إلى النيل وراء قرية كوم شريك عن طريق ترعة صرف تسمى (المصرف) ويرى جسرها العالى مبينا على خريطة الحملة الفرنسية ومارا بقرية واقد الواقعة على مسافة ستة كيلو مترات شمال غربى كوم شريك ، والقصص الشعبية، وشهادات الكتاب العرب وغيرهم ، والمظهر الخارجى للأرض ، تشهد كلها بقدم طريقة الرى هذه التى تتم بمساعدة ترع الصرف .

وإذا أدركنا ذلك فان النهر الصغير الذى يتحدث عنه هيرتيس فى الفقرة السابقة لا يمكن أن يكون إلا ترعة صرف ، لأن قيصر رآه يصب فى النيل .

واضح إذن أن الأمير قد عبر هذه الترعة حين خاض الحرب الفاصلة ، وأن هذا النوع من الترع إنما يغذيه الفائض من مياه الرى — وذلك أمر لا يحدث إلا فى بداية الخريف حين يصل ماء النيل إلى أعلى مستوياته .

وإذن فان المعركة الفاصلة التى اشتبك فيها يوليوس قيصر مع الملك بطليموس بين كوم شريك وعلقام قد دارت فى بداية الخريف ، ومما يؤيد صحة هذا الاستنتاج أن مصر فى الفصول الأخرى تشتد حاجتها إلى الماء بحيث لا يمكن أن تتركه يضيع فى النيل دون جدوى عن طريق أية ترعة .

إن ترعة الصرف التى كانت تمر بقرية واقد والتى تحدثنا عنها، تتفق تماما

مع النهر الصغير الذى أشار اليه هيرتيوس ، كما تتفق إلى حد بعيد مع مكان معسكر الملك على مقربة من قرية تسمى (الطيرية) واقعة بين كوم شريك وعلقام ، على مسافة ٧ آلاف رومانى من ترعة واقد المعدة للصرف . ويؤسفنى جدا أن الظروف لم تتهيأ لى لكى أقوم فى تلك الأماكن ببحوث خاصة بين واقد وكوم شريك وعلقام ، ولعلى لو فعلت لعثرت على بعض آثار لمعسكر الملك يوليوس قيصر .

ونحن نلاحظ فى ختام هـذا الملحق وفق ماذكره هيرتيوس [1] « أن الأهالى — حين بدأت حرب الاسكندرية — كانوا يقولون فى مجالسهم إن مذبحة بومبى لم تمنع قيصر من البقـاء فى بلادهم ، وأنهم إذا لم يطردوه فسوف يهبط بمملكتهم إلى ولاية رومانية دون شك وأنه لن يتأخر عن ذلك بينما تحول رداءة الجو فى ذلك الفصل من السنة دون أن يتلقى مددا بطريق البحر .

وبعد ، فإن الفترة الوحيدة من السنة التى لم تكن السفن الشراعية تستطيع فيها أن تسير فى البحر آمنة مطمئنة من جراء سوء الجو ، هى تلك التى تبدأ مع نهاية الخريف وتمتد طول الشتاء . وإذن فإن حرب الاسكندرية قد بدأت فى نهاية الخريف أو فى مدخل الشتاء ، ولما كانت هذه الحرب قد انتهت فى أوائل الخريف ، فإنه ينتج من ذلك أن المدة الكاملة لهذه الحرب تتراوح بين تسعة أشهر وعشرة .

ولست بحاجة لأن أضيف مايعرفه الجميع ، وهو أن هذه الحرب قد دارت فى سنة ٤٨ قبل الميلاد .

---

(١) هيرتيس . حرب الاسكندرية . طبعة ١٨٠٦ الجزء ٢ . الصفحة ٣٢١

الملحق الثاني [1]

طول القدم والاستاد والألفى عند الرومان

طبقا لمقاسات جوانب الأهرام وأبى الهول

طول القدم طبقا الاهرام

إن بلنيوس إذ يتحدث عن أهرام ممفيس يقول[2] : « إن أكبرها يغطى مساحة ثمانية يوجيرات Jugéres . وطول كل ضلع من أضلاعه ٨٨٣ قدما ، وعرض القمة ٢٥ قدما ؛ أما الهرم الثانى فيبلغ طول كل ضلع من أضلاعه ٧٣٧ قدما ، وأما الهرم الثالث فانه أصغرها ، وهو يلفت النظر أكثر من الهرمين الأولين ، وقد شيد بأحجار الحبشة . وطول قاعدته ٣٦٣ قدما . ولم يبق أى أثر للتركيبات التى كان لا بد من عملها لرفع الأهرام »
. . . . (.... L.XXXVI,C12) .

وأضلاع قواعد هذه الأهرامات الثلاثة كما قاسها الجنرال (وايز) Wise وكما روجعت أخيرا بمعرفتنا ، هى بالأمتار ٨و٢٣٢متر و٧ر٢١٥ متراً و٤٥ر١٠٧ متراً على التوالى . ولكن النسب التى بين رقم ٨٨٣ ورقمى ٧٣٧ و٣٦٣ بدلا من أن تكون مساوية ، أو على الأقل مقاربة ، للنسب التى بين الرقم ٨ر٢٣٢ ورقمى ٧ر٢١٥ و٤٥ر١٠٧ ، نجدها أكبر منها . نظراً لأن الأولى ٢٠ر١

---

(١) استخرجت هذا الملحق من ملحق آخر لم ينشر بعد ، أضفته الى الترجمة العربية لرسالتى عن عمر الاهرام والغرض منها كما قرأته فى سبريوس .

٢) وصف مصر . الآثار . الجزء ٩ الصفحة ٤٤٦

و٢ر٤٣ بينما الأرقام التى تدل على النسب الحقيقية للأضلاع ليست سوى ١ر ٨ و٢ر١٧ إلى واحد فى المائة تقريبا . الأمر الذى يدل على أن رقم ٨٨٣ هو أكبر من اللازم .

هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فان نفس رقم ٨٨٣ قدما لا يتفق مطلقا مع ثمانية يوجيرات الذى ذكره نفس المؤلف عن سطح كل واجهة من واجهات الهرم الأكبر ، لأن البوجيرا الرومانى يساوى ٢٨٨٠٠ قدما مربعا كما بينه أيدلر Ideler [1] ، وبعملية حسابية تبين لنا أنه إذا كان طول ضلع قاعدة الهرم الأكبر ٨٨٣ قدما ، فإن كل واجهة من الوجهات المائلة نحو الأفق ، طبقا للاحظاتى ، بمقدار ٥١ درجة و ٤٥ دقيقة ، تشمل أحد عشر يوجيرا وليس ثمانية وينتج من ذلك اذن أن رقم ٨٨٣ قدما قد اعتراه تبديل بالتأكيد ، وأن ناسخى كتاب بلنيوس قد كتبوه أكبر من الطول الحقيقى لضلع قاعدة الهرم الأكبر .

وإذا خفضنا هذا العدد إلى ٧٨٣ ، فإن النسب بين الأضلاع وهى ٧٨٣/٧٣٧ و ٧٨٣/٣٦٣ طبقا لمقاسات بلنيوس ، تكون مساوية تقريبا لتلك الناتجة من مقاساتى وهى ٢٣٢و٥/٢١٥و٧ و ٢٣٢و٨/١ ٧و٤٠ أى أو ١و٠٨ و ٢و١٧ . ذلك من ناحية .

ومن ناحية أخرى فإن الثمانية يوجيرات تغطى طبقا لرأى ذلك المؤلف واجهة الهرم الأكبر إلى نصف يوجيرا تقريبا .

---

(٣) مذكرة أيدلر Ideler ترجمة الأب حلمة والمرفقة بترجمته لجغرافية بطليموس . طبعة ١٨٢٨ — الصفحة ١٠٠ وما يليها .

ولما كانت الأعداد ٧٨٣ و ٧٣٧ و ٣٦٣ لم تتأثر طبقا لكل احتمال بأى خطأ ،أو بخطأ جسيم على الأقل ؛ فإن تقسيمها للأعداد المترية المطابقة لنفس الأضلاع على التوالى ، يؤدى إلى أثبات صحة هذه الأعداد بتساوى نتائج القسمة الثلاث فيما بينها إلى حد ١ أو ٢ فى الألف تقريبا ، وكل من نتائج القسمة هذه يجب أن تعطى ، بأجزاء مترية ، طول القدم الرومانى . وبهذه العملية يجد الإنسان أن ٢٣٢ر٨ مقسومة على ٧٨٣ تساوى ٢٩٧٣ر٠ من المتر ، وأن ٢١٥ر٧ مقسومة على ٧٣٧ تساوى ٢٩٢٧ر٠ من المتر . وأخيراً أن ١٠٧ر٤٥ مقسومة على ٣٦٣ تساوى ٢٩٦٠ر٠ من المتر . ولما كان ناتج القسمة الأول مساويا لناتج القسمة الأخير إلى حد واحد فى الألف تقريبا ، فإنه ينتج من ذلك :

أولا — أن رقمى ٧٨٣ و ٣٦٣ قدما المنسوبين فى كتابات (بلين) إلى أطوال أضلاع الهرم الأكبر والهرم الثالث هما بالتأكيد مجردان من كل خطأ فى النسخ .

ثانيا — أن طول القدم هو ٢٩٧٣ر٠ أو ٢٩٦٠ر٠ من المتر . غير أن فرق ٣ أو ٤ ملليميرات الذى يرى بين ناتج القسمة الثانى - الذى هو ٢٩٢٧ر٠ من المتر — وبين ناتجى القسمة الآخرين ، يثبت أن رقم ٧٣٧ الذى يشير إلى طول ضلع قاعدة الهرم الثانى ، يتضمن خطأ طفيفا من النساخ فى رقم عشراته . فالواقع أن قسمة ٢١٥ر٧ متر على هذا الرقم مخفضا إلى ٧٢٧ تعطينا ٢٩٦٧ر٠ من المتر ، وهى قيمة مساوية إلى حد ملليمتر واحد تقريبا ؛ لكل من ناتجى القسمة السابقين ، وهما ٢٩٧٣ر٠ و ٢٩٦٠ر٠ من المتر .

ومتوسط هذه النتائج الثلاث الذى هو ٢٩٦٦ر٠ يدل إذن على طول القدم الرومانى مع تقريب كاف جدا فى أمثال هذه البحوث .

ومع هذا كله فإنه إذا أغفل الإنسان التصويب الطفيف فى طول ضلع الهرم الثـانى ، واقتصر على اعتبار ناتج القسمة الإجمالى المطابق له وهو ٢٩٢٧ر٠ على أنه صحيح بدرجة كافية ، فان متوسط ٢٩٧٣ر٠ و ٢٩٢٧ر٠ و٢٩٦٠ر٠ من المتر لا ينخفض إلا إلى ٢٩٥٣ر٠ من المتر وهو رقم لا تزال تشمله دائرة التقريبات المطلوبة هنا .

ومتوسط المتوسطين ٢٩٦٦ر٠ ، ٢٩٥٣ر٠ من المتر الذى هو ٢٩٥٩ر٠ من المتر يجب إذن أن يحدد بصفة نهائية طول القدم الرومانى طبقا لمقاسات أضلاع قواعد أهرام الجيزة الـكبرى الثلاثة .

طول القدم طبقا لمقاسات أبى الهول

يتحدث بلنيوس عن أبى الهول فيقول [1] : « إن محيط رأس هذا الوحش ، مقيسا على الجبهة ، هو ١٠٢ قدم . والطول الاجمالى هو ١٤٣ قدما . وارتفاعه من البطن إلى قمـة الرأس هو ٦٢ قدما ... »

وهذه الأبعاد الثلاثة قد قيست حديثا بمعرفتنا بالأمتار ، فوجد أن الأول أو محيط الرأس هو ٧ر٣٠ مترا ، والثانى أو الطول الاجمالى ٢ر٤٢ مترا ، والثالث أو الاتفاع من بطن الحيوان إلى قمة رأسه هو ٤ر١٨ متراً . والرقم

---

(١) بلين كما نقله المسيو جومار . وصف مصر . الآثار : الجزء ٩ . الصفحة ١٤٥

الأخير أو الـ ١٨٫٤ متر ليس نتيجة عملية قياس مباشر مثل الرقمين الأولين . فإن الرمل الذى يغطى جسم الحيوان حتى الظهر تقريبا ؛ قد منعنا من ذلك .

وإلى القارىء الطريقة التى اتبعتها للوصول إلى هذه النتيجة : أن ارتفاع قمة الرأس عن ظهر أبى الهول قد قيس أولا ووجد أنه ٧٫١ متراً دون أن يتضمن نصف متر يرتفع به الشعر عن الرأس . وبعد ذلك نظراً لاستحالة قياس ارتفاع الظهر عن البطن أو سمك جسم الحيوان بالمعنى العمودى لكى نضيف إليه الرقم السابق ونحصل على البعد المطلوب ، قد لجأت إلى بحوث خاصة : لقد بحثت فى أنداد أخرى مصرية لأبى الهول هذا عن النسبة التى يمكن أن توجد بين السمك المقصود وبين أجزاء أخرى من الحيوان ، ووجدت فى الواقع أن عرض الصدر فى كل أبى هول فحصته مساو لسمك الظهر عند بطن الحيوان (١) . وعلى ذلك أجريت قياساً لعرض صدر أبى الهول المجاور لأهرام ممفيس فإذا هو ١١٫٣ مترا وأضفت ذلك الرقم إلى الرقم ٧٫١ مترا ، فكان المجموع ١٨٫٤ مترا ، ومع ذلك هو — بناء على ما تقدم — ارتفاع قمة رأس أبى الهول عن بطنه .

ولما كان الأمر كذلك فان قسمة ٢٠٫٧ متراً ، ٤٢ متراً ، ١٨٤ متراً على ١٠٢ ، ١٤٣ ، ٦٢ قدما ، مع مراعاة طول القدم الرومانى — أن هذه القسمة بنتائجها الثلاث المتساوية فيما بينها إلى حد ملليمتر أو اثنين تقريبا إذا حدث — تشهد بصواب الأرقام ١٠٢ ، ١٤٣ ، و٦٢ قدما المذكورة فى كتابات بلنيوس

---

(١) من بين آباء الهول التى فحصتها يوجد اثنان صغيران نقلا إلى منشآت الميناء لمسيو كورديه بالاسكندرية .

عن محيط رأس أبي الهول وطوله الإجمالى وارتفاع قمة رأسه عن البطن .

إن اتفاق ناتجى القسمة هذين فيما بينهما يثبت صحة الرقمين المقابلين لدى بلنيوس ويخطىء الرقم الثالث . ونحن بحصولنا هكذا على الأرقام ٢٠٢٩ر. مترا ، ٢٩٥١ر. متراً ، ٢٩٦٨ر. متراً بعمليات القسمة الثلاث ، نستوثق من جهة من صحة الرقمين ٦٢،١٤٣ قدما اللذين ذكرهما بلنيوس عن الطول الإجمالى وارتفاع الظهر عن البطن عند أبي الهول . ومن جهة أخرى نتأكد من خطأ الرقم ١٠٢ المذكور فى فقرة بلنيوس عن محيط الرأس مقيسا على الجبهة . لأنه بقسمة ٢٠٧ر٢ متراً على هذا الرقم نحصل على الناتج ٢٠٢٩ر. الذى لا يتفق مع الناتجين الآخرين . والآن فإن رقم ١٠٢ يكتب بالأحرف الرومانية CII التى لا تختلف عن الأحرف LXX التى تساوى ٧٠ إلا بتعديل طفيف فى حرف L وبحذف الشرطتين المائلتين والدقيقتين جدا اللتين فى XX . وإذن فإن من الممكن جدا أن يكون الناسخ قد أخطأ ونسخ الأحرف ٢١١ بدلا من الأحرف LXX ويبدو لى أن هذا محتمل جدا وخصوصا أن قسمة ٢٠٧ر٢ متر على هذا الرقم الأخير — أى على ٧٠ قدما — يعطينا ناتجا ٢٩٥٧ر. متراً ، وهو رقم يتفق جيدا مع ناتجى القسمة ٢٩٥١ر. متراً ، ٢٩٦٨ر٢ متراً .

ومتوسط ٢٩٥٧ر. متراً ، ٢٩٥١ر. متراً ، ٢٩٦٨ر. متراً الذى هو ٢٩٥٩ر. متراً يجب على ذلك أن يكون بالأجزاء المترية طول القدم عند بلنيوس أو طول القدم الرومانى طبقا للمقاسات المقارنة لأبي الهول .

والآن فإن هذه النتيجة تتفق تماما مع النتيجة التى سبق أن وصلنا إليها طبقا للأهرام — وهو ما يدل على صحة نتيجتنا ، وخصوصا أنها مساوية

لمتوسط النتيجتين ٢٩٥٥ر٠ متراً ، ٢٩٦٣ر٠ متراً اللتين وصل إيدلر[1] إلى أولاهما ووصل جوسلان[2] إلى ثانيتهما بعد بحوث مختلفة أجراها هذان العالمان العظيمان .

طول الاستاد والالفى الرومانى mille

لما كان الاستاد stade الرومانى هو ٥٠٠ قدم والألفى mille هو ١٠ ستاد ، فانه يكفى أن نضرب طول القدم ، أو ٢٩٥٩ر٠ متراً فى ٥٠٠، ونضرب الناتج فى ١٠ ، لكى نعرف طول هذين المقياسين اللذين كانت تقاس بهما المسافات عند الرومان .

وهكذا نجد أن :

الاستاد الرومانى = ٩٥ر١٤٧ متراً

الألفى الرومانى = ٥ر١٤٧٩ متراً

(١) Ideler مذكرة ملحقة بجغرافية بطليموس ، ترجمة الأب حلمه . الصفحة ١٢٢

(٢) جوسلان Gosselin مذكرة ملحقة بالترجمة الفرنسية لسترابون . الجزء ٥ . صفحة ٥٣٧ وما يليها .

مذكرة

رسمت لأجل هذه الرسالة أربع خرائط صغيرة وثلاث خرائط كبيرة .
والأولى هى :

١ — خريطة مدينة الإسكندرية القديمة وضواحيها على مقياس ١
من ٠٠٠و٢٠

٢ — خريطة على مقياس ٢ من ٠٠٠ر١٠٠ للجهات القريبة من
لأسكندرية شاملة بحيرة مريوط وبحيرتى أبو قير وأدكو وكذا المجارى
القديمة للماء والمدن القديمة التى حددت مواضعها بالبحوث التى قمت بها .
وهاتان الخريطتان منشورتان وملحقتان بهذه الرسالة .

٣ — تصميم معمل نبيذ اكتشف فى مديرية مريوط عند جهة تسمى
« القصر » (انظر الفصل الثالث من الرسالة).

٤ — خريطة مختصرة لخريطتى الكبيرة الخاصة بالوجه البحرى ، وفيها
اقتصرت على بيان المجارى الرئيسية للماء وبعض المدن والقرى . وهى تشبه
تصميم رسم تتبعت فيه المجرى القديم للفرع الكانوبى للنيل وكذا الفرع
البولبيتينى طبقا للبحوث التى قمت بها (انظر الفصل الثالث من هذه الرسالة) .
والفرع البيلوزى موضح عليها أيضا ولكن بشكل تقريبى . وقد بينت بها أيضا
الطرق التى سار فيها متريداتيس ويوليوس قيصر لكى يتقا بلا قرب كوم شريك
ويحاربا الملك فى المعركة الفاصلة .

أما الخرائط الكبيرة الثلاث — فهى :

١ — خريطة تخطيط مدينة الإسكندرية القديمة مع الحناءات مناسيب

الانخفاضات التى عرفت من سبرغور الميناء الكبير ، وكذا مناسيب مسح المدينة القديمة ، ومقياس الرسم هو ١ على ٥٠٠٠

٢ — خريطة الجهات القريبة من الإسكندرية بمقياس ١ على ٠٠٠ر١٠ وهذه الخريطة منشورة وملحقة بالرسالة . ولكنها مخفضة إلى ١ على ٠٠٠ر٥

٣ — وأخيرا خريطة كاملة لمدينة الإسكندرية كما هي اليوم، وهذه الخريطة مرسومة بمقياس ١ على ٥٠٠٠ وحركات الأرض مؤشر عليها بمنحنيات المسح . وهى منشورة وللبيع .

القاهرة فى ٣١ ديسمبر ١٨٦٦

محمود الفلكى

تحقيق حديث لطول القدم الرومانى

فى سنة ١٨٧٢ حين كلفت أنا والكولونيل بيكر بك Becker Bey من الحكومة المصرية بالسفر إلى الدانمارك لزيارة المعرض ، ومشاهدة منتجات الشمال ، ودراستها ، ومحاولة إيجاد طريق تجارى مباشر بين مصر الجميلة الوادعة وبين سكانديناڤيا الهائلة النزيهة — مررت بنابولى واستطعت أن أحقق ثمانى أقدام رومانية اكتشفت أثناء أعمال الحفر التى أجريت أخيرا فى مدينتى بومبى وهركولانوم Herculanum اللتين قضى عليهما هياج بركان فيزوف Vésuve منذ أكثر من ثمانية عشر قرنا . وهذه الأقدام مصنوعة من المعدن ، وهى مستطيلة ، ومكونة كبرجل طول ذارعيه يكون الطول الإجمالى لهذا المقياس ، ولما كان مغلقا ، فإن له نصف هذا الطول الأخير . وهى مقسمة على واجهة من اثنى عشر جزءا متساويا ، وعلى واجهة أخرى من ستة عشر جزءا متساوية أيضا .

وبعد أن فتحت هذه البراجل بحيث صار الفرعان خطا مستقيما واحدا ، يتكون منه الطول الإجمالي للقدم بأقسامه الاثنى عشر من جانب والستة عشر من جانب آخر ، طبقتها على صفحة من الورق ، وقستها بعناية بديسمتر مزدوج مضبوط جدا ، ومصنوع من العاج ، فكانت النتائج الآتية :

الرقم	الطول	
١	٢٩٢٥ر٠ متراً	الكسور لم تظهر
٢	٢٩٦٥ر٠ «	« « «
٣	٢٩٧٠ر٠ «	« « «
٤	٢٩٥٠ر٠ «	« « «
٥	٢٩٥٥ر٠ «	« « «
٦	٢٩٧٠ر٠ «	باقية سليمة مع كسورها
٧	٢٩٥٠ر٠ «	« « « «
٨	٢٩٦٠ر٠ «	« والكسور معمولة جيدا وقابلة جدا للقراءة
المتوسط	٢٩٥٦ر٠ متر	

ويتضح من هذا الجدول أن الأقدام الثمانية ليس لها نفس الطول على وجه الدقة ، ولكن السبعة الأخيرة منها لا تختلف فيما بينها إلا بمليمترين على الأكثر ، بينما القدم الأول يختلف عنها بأربعة ملليمترات ونصف ، وبناء على ذلك يمكن استبعاده والاقتصار على اعتبار الأقدام السبعة الأخيرة التي يكون متوسط طولها ٢٩٦٠ر٠ ، وهذه النتيجة تتفق تماما مع النتيجة التي وصلت إليها بمقارنة مقاسات الأهرام الثلاثة وأجزاء أبي الهول ، كما قام بها

بلنيوس بالأقدام الرومانية وكما قمنا بها بالأجزاء المترية ، لأن الفروق هنا تعدو جزءا من عشرة من المليمتر ، وهذا برهان قاطع على صحة نتائج بحوثى .

محمود الفلكى

كوبنهاجن فى ٦ سبتمبر ١٨٧٢ [1]

(١) انتهت الرسالة فى ١٤ ديسمبر ١٨٦٦
وانتهت الخرائط فى أول ديسمبر ١٨٦٦
وتم التحقيق الحديث لطول القدم الرومانى بالقرب من نابولى فى سنة ١٨٧٢

من مؤلفات ورسائل محمود باشا الفلكي

١ — التفاضل والتكامل — بالعربية طبع بمطبعة بولاق سنة ١٨٤٢

٢ — نبذة مختصرة فى تعيين عروض البلاد وأطوالها المتحيرة وذوات الأذناب واللحى . مخطوط بالعربية بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٩٦

٣ — رسالة فى شدة المجال للمركبة الأفقية للقوى المغناطيسية الأرضية فى ألمانيا وبلجيكا ، نشرتها أكاديمية العلوم البلجيكية سنة ١٨٥٤ ضمن مطبوعاتها تحت عنوان « بحوث متوجة لعلماء أجانب »

٤ — رسالة فى التقويمين الإسلامى واليهودى ، نشرتها أكاديمية العلوم البلجيكية سنة ١٨٥٥ بالجزء السادس ضمن مطبوعاتها تحت عنوان « بحوث متوجة لعلماء أجانب »

٥ — رسالة فى تعيين زاوية الميل للمحصلة الكلية للمجال المغناطيسى الأرضى وفى شدة المجال المغناطيسى فى بريطانيا وهولندا وبلجيكا وفرنسا ، نشرتها أكاديمية العلوم البلجيكية فى ٨ نوفمبر سنة ١٨٥٦ ضمن مطبوعاتها تحت عنوان « بحوث متوجة لعلماء أجانب »

٦ — رسالة فى الحالة الحاضرة للمواد المغناطيسية الأرضية فى باريس وما حولها نشرتها أكاديمية العلوم الفرنسية ضمن مطبوعاتها فى ١٢ مايو سنة ١٨٥٦

٧ — رسالة فى التقويم العربى قبل الإسلام ، وفى ميلاد النبى وعمره صلى الله عليه وسلم — قدمت إلى جلسة أكاديمية العلوم البلجيكية يوم ٨ إبريل سنة ١٨٥٨ وطبعت ضمن مطبوعاتها تحت عنوان « بحوث متوجة لعلماء أجانب »

٨ — رسالة فى وصف الكسوف الكلى للشمس فى دنقله يوم ١٨ يوليو ١٨٦٠

بحثتها أكاديمية العلوم فى باريس بجلستها فى ٢٢ يوليو ١٨٦١ واعتبرتها ضمن البحوث المتوجه لعلماء أجانب وطبعت فى باريس ١٨٦١

٩ — رسالة فى مشابهة (كان) الناقصة للفعل الفرنسى Avoir . نشرت بالمجلة الأسيوية التى تصدرها أكاديمية العلوم البلجيكية

١٠ — رسالة فى عمر الأهرام والغرض من بنائها كما يقرآن على نجم الشعرى. نشرتها أكاديمية العلوم البلجيكية ضمن مطبوعاتها بالجزء ١٤ السلسلة الثانية سنة ١٨٦٢

١١ — رسالة عن الاسكندرية القديمة وضواحيها والجهات القريبة منها التى اكتشفت بالحفريات وأعمال سبر الغور والمسح وطرق البحث الأخرى . ألقاها فى سنة ١٨٦٦ وطبعت فى كوبنهاجن سنة ١٨٧٢ بعد ادخال دراسات إضافية فيها

١٢ — رسالة بالعربية فى التنبؤ بمقدار فيضان النيل طبعت بمطبعة بولاق

١٣ — رسالة بالعربية فى بيان المزايا التى تترتب على إنشاء مرصد فلكى للحوادث الجوية . طبعت بمطبعة بولاق

١٤ — رسالة فى المقاييس والمكاييل طبعت فى كوبنهاجن سنة ١٨٧٣

١٥ — محاضره عن الفرع الشبيني للنيل ـ وهو الذى كان فى عهد هيرودتس أهم فرع له بعد الفرع الكانوبى (فرع رشيد) والفرع البيلوزى (فرع دمياط) . محاضرة ألقاها بالمجمع العلمى المصرى يوم ٤ يونيه سنة ١٨٧٤ وطبعت ضمن السلسلة الأولى من مطبوعات المجمع رقم ٥١٣

مؤلفات وبحوث

للاستاذ / محمود صالح الفلكى

مترجم الكتاب

الكتب :

١) بحوث فى الشئون المالية والاقتصادية الدولية والقومية
طبع بالمطبعة الأميرية فى سنة ١٩٤٦

٢) العلم يدعو للايمان
« تأليف كريس موريسون — ترجمة محمود صالح الفلكى »
نشرته مؤسسة فرانكلين وصدرت منه خمس طبعات
ملتزم النشر ـ مكتبة النهضة

٣) التنمية الاقتصادية وقواعدها الأساسية فى الدول الناشئة
طبع سنة ١٩٥٩ ـ ملتزم النشر ـ مكتبة النهضة

٤) التكتلات الاقتصادية الغربية
نشأتها . أنظمتها . أغراضها المباشرة . أهدافها البعيدة
طبع سنة ١٩٦٢ ـ مكتبة النهضة

البحوث والدراسات :

١) فصل الجنية المصرى عن الجنيه الاسترلينى
(نشر بالعدد الأول من السنة الثامنة من صحيفة التجارة والصناعة ـ يناير ١٩٣٢)

٢) رسم سياسة مستديمة للقمح فى مصر
طبع بالمطبعة الأميرية سنه ١٩٣٣

٣) القروض الحكومية كوسيلة لامتصاص الأموال الفائضة ومكافحة الغلاء
طبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٩٤٣

٤) المؤتمر الدولى لشئون النقد ـ أهدافه واشتراك مصر فيه
طبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٩٤٤

٥) سوق المال فى مصر ووجوب توسيع نطاقها
نشر بجريدة الأهرام سنة ١٩٤٥

٦) وجوب رفع مستوى المعيشة لسواد الشعب
طبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٩٤٥

٧) الأرصدة الاسترلينية التى لمصر على بريطانيا
طبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٩٤٥

٨) التخطيط الاقتصادى ووجوب إنشاء هيئة عامة للخطط القومية
طبع بالمطبعة الأميرية سنة ١٩٤٦

٩) البرنامج المالى لمؤتمر بريتون وودز
نشر فى مجلة مصر المعاصرة لجمعية الاقتصاد والاحصاء والتشريع
مجلد رقم ٣٦ لسنة ١٩٤٥

١٠) مشكلة النقد الدولية
نشر فى مجلة مصر المعاصرة لجمعية الاقتصاد والإحصاء والتشريع
مجلد رقم ٣٧ لسنة ١٩٤٦

١١) صندوق النقد الدولى ـ والبنك الدولى للانشاء والتعمير
نشر فى مجلة مصر المعاصرة ـ العدد رقم ٢٢٣ / ٢٢٤ سنة ١٩٤٦

١٢) مصر فى الهيئة التنفيذية لصندوق النقد الدولى
طبع فى المطبعة الأميرية سنة ١٩٤٦

١٣) مصر وفك قيود التجارة الدولية
طبع فى المطبعة الأميرية سنة ١٩٤٦

١٤) أهداف الإصلاحات الضريبية فى عهد الثورة
نشر بمجلة الضرائب سنة ١٩٥٤

١٥) التنمية الاقتصادية والنظام الضريبي فى مصر
نشر باللغة الفرنسية فى باريس بمجلة العلوم والتشريع المالى
عدد اكتوبر/ديسمبر ١٩٥٤

١٦) التخطيط القومى للتنمية الاقتصادية
محاضرة ألقيت فى الجمعية المصرية للاقتصاد والاحصاء والتشريع
فى ٢ أبريل سنة ١٩٥٦

١٧) حول تجميد أرصدتنا الاسترلينية
نشر بجريدة الجمهورية فى ٢ أغسطس ١٩٥٦

١٨) التمويل الخارجى وتخطيطنا القومى
نشر بجريدة الأهرام فى ٢٧ ديسمبر ١٩٥٥

١٩) بعد تأميم شركة قناة السويس
نشر بجريدة الجمهورية فى ٤ أغسطس ١٩٥٦

٢٠) نحو سياسة واقعية للعون الأمريكى فى آسيا والشرق الأوسط
نشر بجريدة الأهرام فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٦

٢١) مشكلة تمويل التصنيع
محاضرة ألقيت فى مأدبة الروتارى يوم ١٧ ديسمبر ١٩٥٧

٢٢) تعبئة المدخرات القومية لأجل التقدم الاقتصادى
محاضرة ألقيت فى مأدبة الروتارى يوم ٩ فبراير ١٩٥٨

٢٣) صندوق الاستثمار وتعبئة المدخرات القومية
نشر بجريدة الأهرام سنة ١٩٦٠

٢٤) الرأسمالية الغربية واشتراكيتنا العربية
نشر بمجلة بناء الوطن سنة ١٩٦١

فهرس

الفصل الثانى

الفصل الثالث

ضواحى الاسكندرية والجهات القريبة منها

الملحق الاول

مكان ميادين قتال يوليوس قيصر فى مصر

الملحق الثاني

قام بالاشراف على الطبع والمراجعة

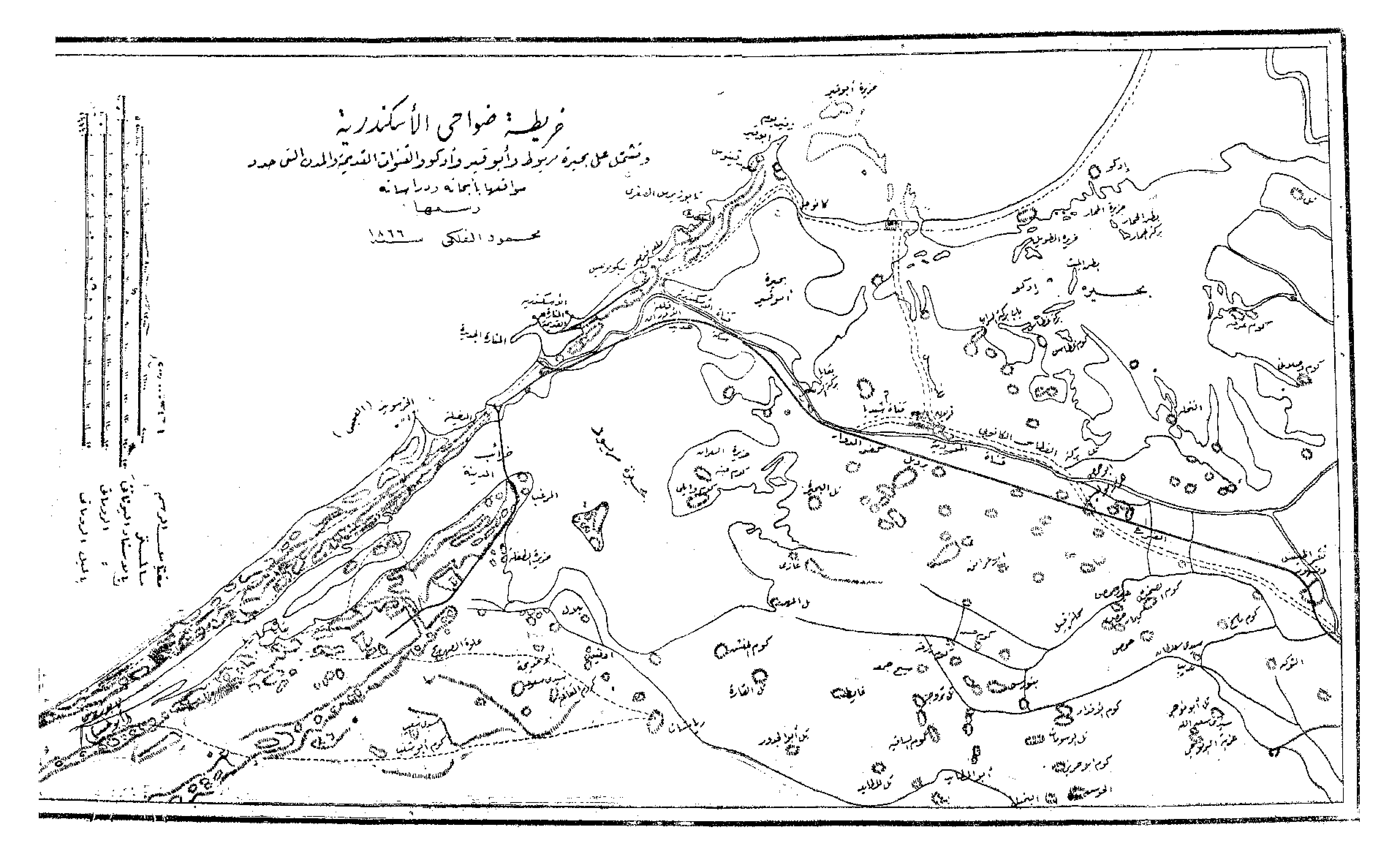
الأستاذ محمد محمود زيتون

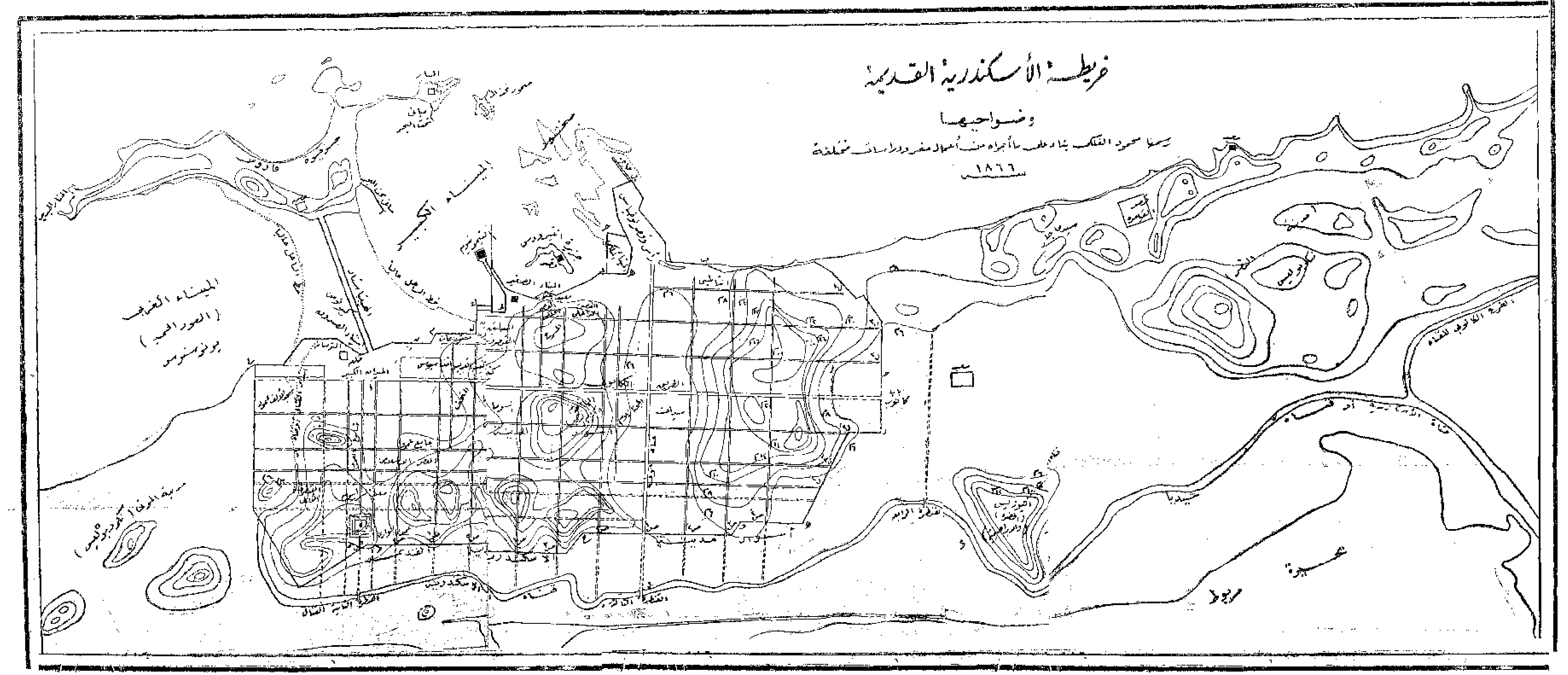
مدير الصحافة والشئون الثقافية بالمحافظة

وأمين الهيئة المحلية

لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

مطبعة دار نشر الثقافة ت ٢٢١٩٨ اسكندرية


خريطة ضواحي الأسكندرية
وتشتمل على بحيرة مريوط وأبو قير وادكو والقنوات القديمة والمدن التي حدد
مواقعها بأبحاثه ودراساته
رسمها
محمود الفلكي سنة ١٨٦٦
بحيرة أبو قير
بحيرة ادكو
ادكو
تل العجل
كوم الشقافة
المرغب
خرائب المدينة



مقياس الرسم ١ : ٢٠٠٠٠
بالمتر
بالاستاد اليوناني
بالروماني


Bibliotheca Alexandrina
06557856